

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٠ - شعبان ١٤٢٦هـ - سبتمبر ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - NO 350 - SEP 2005
متنزه سلام: واحة في قلب الرياض
وادي القرى
ماركيز ورحلة العودة إلى المنبع
Mngool.com
www.ahlaltareekh.com



مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٠- شعبان ١٤٢٦هـ - سبتمبر ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - No.350 - SEP. 2005



ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد. مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

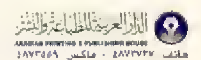
الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠ ، ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢...، سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٢١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







يمثل منتزه سلام قفزة نوعية في المرافق الترويحية الموجودة في مدينة الرياض، بسبب تميز موقعه، وتوسطه المدينة، ولتوافر المرافق والخدمات، وتعدد البيئات التي يشتمل عليها. وقد قامت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض على تطويره، وتنفيذه في إطار الرؤية المستقبلية للمخطط الإستراتيجي الشامل لمدينة الرياض، ليكون مرفقًا عامًا يخدم كل أحياء مدينة الرياض وزائريها.

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٢) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



دعوة وآراء

يسعدني أن أكتب إليكم أسطري هذه مستهلاً إياها بتحية عطرة مكررًا إعجابي الشديد وغير المحدود بهذه المجلة، مجلتنا «الفيصل» التي ننتظر وصولها إلينا شهرًا بعد شهر انتظار الملهوف والعطشان للماء.

كما أحب أن أسجل شكري الكبير لكم على اهتمامكم الشديد برسائل القراء ومقترحاتهم، وهذا واضح جدًا من خلال صفحة (رسائلكم) التي نستفتح بها المجلة، واسمحوا لي أن أساهم بعدد من النقاط البسيطة جدًا، وأرجو منكم التكرم بقبولها:

ـ أولاً ندعو الغالية «الفيصل» إلى زيارة اليمن، وبالتحديد وادي حضرموت لتنقل إلى القارئ الكريم صورة عن هذه المدن ومدى التطور الذي شهدته في العصر الراهن، خصوصًا بعد الوحدة اليمنية المباركة.

ـ بعد نشر الموضوع الرائع (فيلبي وبنات سبأ) في العدد ٣٤٦، اسمحوا لي أن أصحح هذا الشيء البسيط الذي ورد في صفحة ٩٧ ما بين (شيام وتريم وسيئون» اسم شبام ورد شيام، وأعتقد أنه غلطة مطبعية لا غير.

وورد شيء آخر حيث ذكر في صفحة ٩٧ أيضًا وصف للأشجار، ولم يذكر شجرة النخيل التي يمتاز بها الوادي أكثر من غيرها من الأشجار المذكورة، وحقيقة الموضوع واقعي جدًا، وأكرر لكم دعوتنا إلى الفيصل بزيارة وادي حضرموت.

ـ من ناحية المسابقة أضم رأيي إلى رأي الإخوة الذين يرون أنها مناسبة على وضعها الحالي.

ـ لما له من أهمية بالغة ولأنه يعد لغة العصر يطلقون عليه «الكمبيوتر»، نرجو منكم التكرم بتخصيص صفحة أو صفحتين لموضوعات الكمبيوتر ومواقع الشبكة العنكبوتية المفيدة أسوة بباقي المجلات، ولو أننا نعرف أن هناك مجلات متخصصة بهذا الشأن.

ـ نرجو منكم عمل استبيان للمجلة من شأنه تطوير المجلة إلى الأفضل وجعل جوائز الاستبيان اشتراكات في المجلة من أجل زيادة التواصل بين الفيصل ومحبيها .

وفي الختام أرجو منكم المعذرة عن إطالة الرسالة، وأكرر لكم إعجابي الشديد بالمجلة وموضوعاتها المتنوعة، متمنيًا لكم وللمجلة المزيد من التقدم والازدهار.

أحمد عمر الشعاف

حضرموت ـ سيئون

التحرير:

نشكر لك اهتمامك، وحرصك على الإدلاء برأيك، وهذا ما نأمل من جميع الإخوة القراء، ونشكر لك التصحيح، وفيما أوردته عن زيارة «الفيصل» لوادي حضرموت، نفيدك أننا نشرنا كثيرًا من الاستطلاعات والمقالات عنه في أعداد سابقة، وسوف يتم إعداد الاستبيان قريبًا، أما تخصيص صفحة أو صفحتين للكمبيوتر فنراه يناسب الفيصل العلمية أكثر.

الرياض مدينة سياحية

استمتعت كثيرًا بما نشر عن مدينة الرياض سواء عن المخطط الإستراتيجي الشامل للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، أو عن متنزه الثمامة، ومن يطلع على هذين الموضوعين يقف على ما يبذل من جهد لتطوير هذه المدينة لتكون في مصاف أرقى العواصم العالمية، وأن تكون هناك نظرة مستقبلية طويلة المدى تؤكد أن ما تحقق لم يكن خبط عشواء، وإنما نتاج لتخطيط دقيق يقوده صاحب

السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

ونأمل أن يكون للقطاع الخاص دور في الاستثمارات السياحية المطروحة التي ستتقل الرياض لتكسب صفة المدينة السياحية التي توفر أنواعًا من الترفيه النظيف لروادها.

وفق الله الجميع لما فيه الخير، والشكر للإخوة في «الفيصل» الذين يحرصون على تقديم الجديد المفيد للقراء.

عيد مرزوق الشريف

الرياض . السعودية

التحرير:

نشكر لك مشاركتك. ونعدك بسلسلة من المقالات عن المشروعات السياحية والترفيهية في مدينة الرياض التي سترسم ملامحها في المستقبل، ويسرنا تلقي مشاركاتك وملاحظاتك.

استطلاع "الفيصل"

لاحظت في الفترة الأخيرة اهتمام المجلة بالاستطلاعات سواء عن المدن أو معالمها الحضارية من مراكز ومتاحف وغيرها، وفي ظني أن هذا اتجاه محمود، لأن المجلة تظل مرجعًا يستفيد منه القراء في أي لحظة، على الرغم مما نراه من طغيان الفضائيات والقنوات التلفازية.

وآمل أن يتم الاهتمام وتركيز الضوء في المراكز الحضارية الإسلامية، وأتمنى أن أجد استطلاعات عن مالي والنيجر، لأنهما شهدتا وجودًا حضاريًا إسلاميًا، ولا تزال الآثار القائمة تحكي قصة انتشار الإسلام من خلال القوافل التجارية لا الغزوات والحروب، إذ عكس التجار العرب سماحة الإسلام في تعاملهم، فشجعوا أهل البلاد التي حلوا فيها على دخول الإسلام.

و«الفيصل» في إطار دورها الريادي تستطيع أن توفي هذا الجانب حقه من التوثيق. شاكرًا لكم ما تقومون به من جهود كبيرة.

عبدالكريم سراج

نيجيري مقيم بالرياض

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع القراء، وقد سبق للمجلة أن نشرت مقالات واستطلاعات عن المناطق التي أشرت إليها، ويسعدنا أن تكون أحد المشاركين في توضيح الصورة الحقيقية من واقع المعايشة، ونأمل إذا كان في الإمكان ترشيح من تراه جديرًا للقيام بهذه المهمة، مكررين لك الشكر لحرصك على التواصل مع المجلة.

ردود سريعة

الأخ يوسف خان ـ الرياض ـ السعودية:

نشكر لك اهتمامك، ويسرنا نشر استطلاع عن بنجلاديش وغيرها من الدول الآسيوية، وإذا كنت متابعًا للمجلة فستجد أن هناك كتابًا من الدول التي ذكرتها، واستطلاعات عن بعض معالم هذه الدول. ولكن هذا لا يمنع أن نتلقى المزيد، فأبواب «الفيصل» مشرعة لكل صاحب قلم يستطيع تقديم مادة مفيدة وماتعة للقراء الكرام وفق سياستها التحريرية التي يعرفها كل متابع لها.

الأخ سمير صابر عبدالعزيز ـ القاهرة ـ مصر:

نشكر لك تهنئتك بالعام الثلاثين للمجلة، ونقدر لك ارتباطك بالمجلة منذ مدة طويلة، ونأمل أن يكون القادم أجمل وأحلى، وأن ينال رضا الإخوة القراء.

الأخت هاجر إبراهيم وهبي ـ الخرطوم ـ السودان:

ستجدين في هذا العدد استطلاعات عن عادات قبائل جنوب السودان وتقاليدها، كما سبق نشر استطلاعات أخرى في أعداد سابقة، ويسعدنا تلقي المقالات والاستطلاعات عن أي مدينة في السودان، وأهم ما نهتم به هو تقديم معلومات مفيدة في إطار جميل من خلال صور معبرة، ولعل إيجاد الصور للموضوعات التي ننشرها من أكثر المشكلات التي تواجهنا، فنرجو من جميع الإخوة الذين يرسلون استطلاعات إلى المجلة الحرص على إرفاق صورة عالية الجودة.



متنزه سلام: واحة في قلب الرياض

حسين حسن حسين

قسم التحرير

شهدت مدينة الرياض نموًا كبيرًا في مساحتها، وفي عدد سكانها، وترافق مع ذلك تطور حضري وعمراني واسع. ومن مظاهر هذا التطور تزايد المرافق الترويحية التي تهيئ لسكان المدينة جوًا من الراحة والمتعة وتجدد النشاط. فقد أصبحت كل أنحاء المدينة محاطة بالحدائق العامة المفتوحة، والمتنزهات، ودور الملاهي والألعاب. وتحاول جميعها الإفادة من طبيعة الرياض وتوظيفها لتكون عنصر جذب لروادها.

ويمثل متنزه سلام الذي افتتحه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في الرابع عشر من شهر ذي القعدة عام ١٤٢٤هـ، قفزة نوعية في المرافق الترويحية الموجودة في الرياض، بسبب تميز موقعه، وتوسطه المدينة، ولتوافر المرافق والخدمات، وتعدد البيئات التي يشتمل عليها.

وكانت الهيئة العليا لتطوير الرياض قد قامت على تطويره، وتنفيذه في إطار الرؤية المستقبلية للمخطط الإستراتيجي الشامل لمدينة الرياض، ليكون مرفقًا عامًا يخدم كل أحياء مدينة الرياض، وزائريها.

ويأتي هذا المتنزه ضمن عدد من المشروعات الحضرية والعمرانية في وسط المدينة، بدأت ببرنامج تطوير منطقة قصر الحكم بمراحله الثلاث، ومشروع مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، وغيرها من المشروعات: كتطوير مقرات المؤسسات الحكومية العامة في المنطقة، مثل الدفاع المدني، والمقر الجديد للمحكمة الكبرى، بالرياض.



وكل هذه المشروعات يتم تنفيذها في إطار الرؤية المستقبلية للمدينة، والمهام التي حددها المخطط الإستراتيجي الشامل لمدينة الرياض عمومًا، مع الاهتمام بوسط المدينة، برفع مستواه الحضري والعمراني بما يؤهله لإبراز القيمة المعنوية للرياض عاصمة للبلاد، ومدينة ذات نمط عمراني متميز.

كما تهيئ هذه الرؤية الرياض لتستوعب الأنشطة الاقتصادية الحديثة، مع القيام بدور فاعل في تطوير صناعة السياحة الثقافية، وإظهار العلاقات الاجتماعية الإيجابية في الأحياء السكنية في وسط المدينة، ورفع مستوى أدائها الثقافي والسلوكي.

واقتضى تطبيق هذه الرؤية على أرض الواقع قيام الهيئة بتطوير المنشآت التراثية والثقافية، وتأهيلها، وتفعيل برامجها، واستكمال المرافق العامة، والمؤسسات الخدمية.

ويؤخذ في الحسبان توجيه برامج التطوير الخاصة بالمنطقة، لتدمج في الإطار العام لبرامج التطوير في المنطقة.



متنزه سلام والبيئة المحيطة

ويعدّ متنزه سلام أحد المشروعات التنفيذية، الذي روعي في تصميمه أن يكون قادرًا على خدمة جميع سكان المدينة، وزائريها في إطار تتكامل فيه الناحيتان الجمالية والوظيفية.

تميز الموقع

كانت في موقع متنزه سلام، مزرعة قديمة شهيرة تحمل الاسم ذاته، واشتهرت بجودة نخيلها. وكانت تسمى بالمحرّق بعد تعرضها لحريق في أثناء إحدى الحروب، ثم تملكها الأمير عبدالله بن عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ وزاد في نخلها، وقامت حولها قديمًا عدة أسواق.

كانت المزرعة عند نزع ملكيتها تحتفظ ببعض نخلها الجيد، إضافة إلى مسجد صغير بناه الأمير عبدالله بن عبدالرحمن في سنة ١٣٦٠هـ، وكان من أوائل المباني الخرسانية في مدينة الرياض.

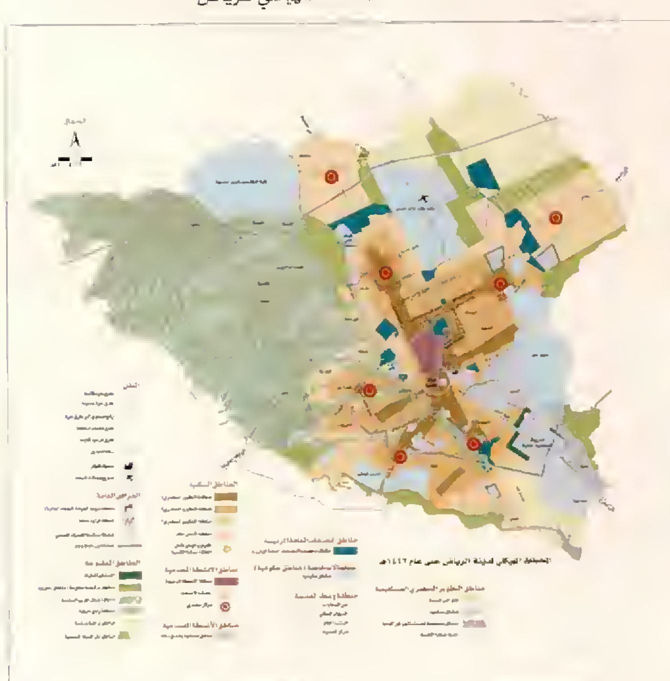
عندما توسعت الرياض عمرانيًا، ازدادت أهمية

تعد البحيرة الصناعية التي تقع في الجزء الجنوبي للمتنزه أكبر بحيرة صناعية في المملكة، وتصل مساحتها إلى نحو ٣٤ ألف م٢، وتستوعب من المياه ما يزيد على ١١٠ آلاف م٣، وأقصى عمق لها ٤ أمتار

يعدّ متنزه سلام أحد المشروعات التنفيذية، الذي روعي في تصميمه أن يكون قادرًا على خدمة جميع سكان المدينة، وزائريها في إطار تتكامل فيه الناحيتان الجمالية والوظيفية

موقع مزرعة سلام، إذ أصبحت في وسط المدينة، مطلة على طريق الملك فهد أكبر الطرق في الرياض، بمحاذاة منطقة قصر الحكم، ويحدها من الشمال شارع طارق بن زياد، ومن الشرق شارع سلام، ومن الجنوب شارع عسير، في منطقة سكنية تمتاز بكثافتها العمرانية، وقربها من منطقة قصر الحكم، وبرامجها التطويرية.

المخطط الهيكلي للرياض



مزايا جمة

تقوم الفكرة الأساسية في تصميم مشروع متنزه سلام على الإفادة من مميزات الموقع، سواء من حيث المساحة الكبيرة، أو من حيث الموقع المتميز في إنشاء مرفق عام على مستوى المدينة يخدم جميع أحيائها وسكانها، ويشكل معلمًا ورافدًا لصناعة السياحة في المدينة، بالإضافة إلى الأخذ في الحسبان متطلبات الأحياء المجاورة، التي تعاني بشكل خاص نقص المناطق المفتوحة، وقبل هذا كله متطلبات المخطط الإستراتيجي، ومطالبه التطويرية في منطقة وسط المدينة، ودورها تجاه جميع أحياء المدينة.

وعلى هذا أصبحت الفكرة تكمن في إيجاد منطقة طبيعية خضراء، عالية التجهيز مفتوحة، ومتصلة تتضمن أنماطًا متعددة من البيئات، وقادرة على استيعاب أنشطة ترويحية، وثقافية متنوعة ومتجددة على مدار العام، ومتاحة في معظم الأوقات، وكانت الرؤية أن هذا المتنزه بوقوعه في وسط المدينة يحقق الفائدة لعموم سكان المدينة، وزائريها.

كما أن تنوع بيئاته يوفر مزية إرضاء مختلف أذواق الزوار، ويتيح لهم هذا التنوع مع المساحة الكبيرة حرية اختيار الأنشطة، والشعور بقدر أكبر من الخصوصية، نسبة إلى ما يتوافر في الحدائق العامة.

وتأتي الأحياء المحيطة بالمتنزه في مقدمة المستفيدين، فالمتنزه بمسطحاته الخضراء يسهم إلى كبير في الحد من التلوث الكيماوي، المنبعث من محاور الحركة الكثيفة في المنطقة، والنشاط التجاري الصاخب فيها والحد من الضوضاء، ويسهم بقدر كبير





وسائل الترفيه متوافرة في المتنزه

في تحسين البيئة السكنية للمنطقة عمومًا، ويرفع من مستواها الحضري.

ومن جهه أخرى، فإن مسطحات المتنزه، وبحيرته الضخمة تشكل نظامًا ديناميكيًا لتحسين أجواء مدينة الرياض، وتتيح نمطًا إيجابيًا من ترشيد موارد المدينة، وإعادة تدوير المياه، وتحويل طبيعتها السلبية (المياه الأرضية) إلى عنصر إيجابي مفيد.

وتقرر تخصيص مناطق للحياة الفطرية لتسهم مع الطبيعة الخضراء للمتنزه في إغناء الحياة الفطرية في وسط المدينة.

وكان من أهم الأهداف التي روعيت في المتنزه، تحقيق أعلى درجات المتعة للزائرين، وذلك بإتاحة الفرصة لهم بممارسة أنشطة متعددة، مثل: الرياضات، والألعاب المائية والترفيهية، كما أنها توفر ممرات للمشاة والخيول، والدراجات، وملاعب للأطفال الصغار، فضلاً عن أماكن الجلوس المختلفة البيئات التي تجمع بينها صفتا الجمال والراحة، كما أنها تتسم بتوافر الخصوصية والأمان.

بيئات المتنزه

يتميز المتنزه بوجود مساحات كبيرة من المناطق المفتوحة، والمتباينة في تكوينها وتجهيزها، وبما يقدمه من برامج ترويحية، وثقافية.

وقد أسهمت الطبيعة الطبوغرافية لأرض المتنزه في توفير هذه البيئات المختلفة، بما تحتويه من عناصر.

ولإيجاد انسجام وتناغم بين ما هو مستحدث، وما هو طبيعي، تم دمج العناصر المعمارية والطبيعية القديمة للمتنزه في المرافق والخدمات المستحدثة.

اشتملت بيئة المزرعة على ما بقي من نخل مزرعة سلام القديمة، وما أضيف إليها، وتكونت بيئة التلال من

مسطحات المتنزه، وبحيرته الضخمة تشكل نظامًا ديناميكيًا لتحسين أجواء مدينة الرياض، وتتيح نمطًا إيجابيًا من ترشيد موارد المدينة، وإعادة تدوير المياه، وتحويل طبيعتها السلبية إلى عنصر إيجابي مفيد

التربة الناتجة من حفر البحيرة. وإجمالاً يمكن القول إن المتنزه يتكون من أربع بيئات، ومناطق متباينة وهي:

المزرعة: إنعاش الذاكرة

تشمل هذه البيئة ما تبقى من نخيل المزرعة القديمة، وما أضيف إليها من نخيل مثمر، وهي تقع في الجهة الشمالية من المتنزه، ويصل إجمالي نخيل المتنزه في المنطقة المزروعة إلى ١٢٥٠ نخلة.

وتمتاز هذه المنطقة بأنها فضاء مفتوح، ولا توجد محددات من أي نوع للجمهور باستثناء النخيل، وظلالها، مما يهيئ لهم فرصة الاستمتاع بجو طبيعي يحيي في النفوس ذاكرة المزارع التقليدية، وبساتين النخيل التي كانت تطوق مدينة الرياض قديمًا، ويستطيع الزائر اختيارالمكان الذي يريده بحرية.

ولارتفاع النخيل وطبيعة تكوينها، وكثافتها النسبية العالية في المتنزه، تمتاز منطقة المزرعة بوفرة الظلال معظم أوقات النهار.

كما تخلو هذه المنطقة من ملاعب الأطفال، والتكوينات الحديثة، باستثناء متطلبات الإضاءة حفاظًا على أجوائها الطبيعية، كنموذج للمزارع التقليدية.

التلال: بساط أخضر

تقع منطقة التلال في وسط المتنزه . تقريبًا .. وقد نتج تكوينها الطبوغرافي من أعمال حفر البحيرة في وسط المتنزه. فتكونت بذلك مجموعة من التلال المتباعدة التي لا يتجاوز ارتفاعها ستة أمتار، وتمتاز بانحدار بسيط، يجعلها آمنة للمشاة من كل الأعمار والفئات تقريبًا.

وتتخلل منطقة التلال في أجزائها المنبسطة، ممرات المشاة وكذلك ملاعب الأطفال، التي تسهل مراقبتها من السطوح المرتفعة للتلال، وعمومًا تكسوها مسطحات خضراء، حتى إنها تبدو كبساط من النجيل (الثيل)، وتتناثر فيها أعمدة الإنارة.

البحيرة الصناعية

تعد هذه البحيرة التي تقع في الجزء الجنوبي للمتنزه أكبر بحيرة صناعية في المملكة، وتصل مساحتها إلى نحو ٣٤ألف م٢، وتستوعب من المياه ما يزيد على ١١٠ آلاف م٣، وأقصى عمق لها ٤ أمتار.

وتنقسم البحيرة إلى منطقتين، إحداهما لركوب القوارب، والأخرى للنظام البيئي الطبيعي، وهذا المسطح المائي بمساحته الكبيرة يمثل نقطة جذب أساسية لزوار المتنزه، في الوقت نفسه يقوم بعدد من الوظائف المكملة لبقية عناصر المتنزه.

وتؤثرالبحيرة بمساحتها الكبيرة، في مناخ المتنزه، من حيث زيادة نسبة الرطوبة، وتلطيف درجة الحرارة، كما أن بعض جيوبها الممتدة في النواحي الشرقية

بنيت حواف البحيرة بطبقات متدرجة من الصخور الجيرية المحلية، للحفاظ على حواف المناطق المحيطة بالبحيرة من بقية أجزاء المتنزه، وهي تشكل الجدار الفاصل بين البحيرة، والمناطق المحيطة بها


2004



والجنوبية من المتنزه، تشكل جزءًا من المنطقة البيئية التي تشتمل على أنواع متعددة من الكائنات الفطرية، والنباتية والحيوانية.

ومن أبرز التحديات في هذا العنصر الحفاظ على مستوى مياهها من جهة، وعدم تسربها إلى الطبقات الأرضية، وما ينتج من ذلك من زيادة في منسوب المياه الأرضية في المنطقة، وإضرارها بالمباني، والمنشآت المجاورة من ناحية أخرى.

أما التحدي الآخر، فيكمن في الحفاظ على المستوى الصحي المطلوب، فالبحيرة من المسطحات المائية الراكدة، وهي بيئة ملائمة لنمو الحشرات الضارة، وتكاثرها.

فيما يتعلق بإدامة مياه البحيرة (١١٠آلاف م٣)، وتفادي تسربها إلى المناطق المجاورة، وتعويض الفاقد، تم التعامل مع هذا الجانب من خلال عزل أرض البحيرة بطبقات متتالية من الرمال والطين المدكوك، التي تسهم في عزل مياه البحيرة نسبيًا، كما بطن قاعها بطبقات متتالية من المواد الهيدروكربونية العازلة، وبنيت حواف البحيرة بطبقات متدرجة من الصخور الجيرية المحلية، للحفاظ على حواف المناطق المحيطة بالبحيرة من بقية أجزاء المتنزه، وهي تشكل الجدار الفاصل بين البحيرة، والمناطق المحيطة بها. وقدر الفاقد اليومي من مياه البحيرة بنحو ٢٥٠٠م٣ بسبب أجواء الرياض الجافة، المرتفعة الحرارة إلى جانب المياه المستخدمة في ري المسطحات الخضراء، لذا كان لزامًا توفير مصدر يومي يغطي نسبة الفاقد من المياه، ويكفي لري مرافق المتنزه، فجرى إمداد المتنزه بالمياه من المياه السطحية المستخرجة من نظام تخفيض منسوب المياه الأرضية في طريق الملك فهد، ومعالجتها عبر محطتي معالجة، وإعادة تنقيتها في موقع المشروع.





المناطق المفتوحة تجد اهتمام الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض

ولتحقيق السلامة البيئية لسطح البحيرة المائي المتسع نسبيًا، ولضمان تجدد المياه، ولتفادي نمو الكائنات الضارة، ومصادر التلوث وتكاثرها كان لا بد من اتخاذ عدد من الإجراءات المتكاملة، التي تبقي المياه نقية، صافية، خالية من الميكروبات، والكائنات الضارة، فكان الإجراء الأول إعادة معالجة المياه وتنقيتها من الشوائب إلى المستوى الملائم للاستعمال الصحي في ري المسطحات عبر معامل التنقية بالتناضح العكسي، واستخدمت الزراعة وسيلة للحفاظ على نقاء المياه، إذ تمت زراعة ١٠.٥٠٠ شجرة مائية مضادة لنمو الطحالب في المناطق المنخفضة خاصة، وزودت البحيرة بنوافير، ومضخات لتكوين تيارات مائية دائمة في مياه البحيرة، ومنعها من الركود، كما تم توظيف الإضاءة الليلية لمياه البحيرة، لتكون، بالإضافة إلى عنصرها الجمالي، مقاومة لنمو الكائنات الضارة، كما أخذ في الحسبان دور المراكب، والرياضات المائية في تحريك المياه، ومنعها من الركود.

كما تمّ الاعتماد على البحيرة كخزان مياه لتزويد

تقع المنطقة البيئية في الجزء الجنوبي الشرقي من المتنزه، وتستفيد في تكوينها من منطقة صغيرة من التلال المنخفضة، والمسطحات الخضراء، وجيوب ممتدة من البحيرة، وتشكل بيئة طبيعية لنمو أنواع مختلفة من الحياة الفطرية

مرافق المتنزه بالمياه، وري مسطحاته الخضراء مما يضمن تجدد مياهها.

المنطقة البيئية: مستودع الحياة الفطرية

تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المتنزه، وتستفيد في تكوينها من منطقة صغيرة من التلال المنخفضة، والمسطحات الخضراء، وجيوب ممتدة من البحيرة، وتشكل بيئة طبيعية لنمو أنواع مختلفة من الحياة الفطرية.

ولحساسية الحياة الفطرية، وحاجتها إلى رعاية خاصة، كان لا بد من وجود مرشدين لتوجيه الجمهور.

مرافق وخدمات

يشتمل المتنزه على مجموعة من المرافق والخدمات تمنحها تميزها، وقدرتها على اجتذاب الراغبين في الترفيه والترويح، ومن ذلك:

. الممرات:

لقد أصبحت رياضة المشي من أبرز سمات مدينة الرياض، وقد تمت تهيئة أماكن كثيرة لممارسة هذه الرياضة المحببة إلى الكثيرين، ولكن يتميز متنزه سلام بكونه بساطًا أخضر، وتشكيلة من المسطحات المائية، مما يتيح جوًا طبيعيًا جميلاً لراغبي ممارسة رياضة المشي، وقد تم إعداد ممرات تقوم بوظيفتين، الأولى في التحكم في حركة الزوار الكثيفة بعيداً عن المسطحات الخضراء، التي تتلف بفعل المشي المكثف، كما تقوم هذه الممرات بدور الموجه لحركة المشاة الاستطلاعية لعناصر المتنزه، ويتضمن المتنزه أربعة أنواع من ممرات المشاة، وجميعها متاحة لحركة مختلف الفئات العمرية، وذوي الاحتياجات الخاصة.

. الممرات الخدمية:

وتشمل الممرات المتصلة بمداخل المتنزه، ومراكز الاستقبال، ومواقع الخدمات في المتنزه، وتمتاز باتساعها، ورصفها، وإضاءتها، ووضوحها، ما يجعلها قادرة على استيعاب الأعداد الكبيرة في وقت واحد.

وجهزت بعض الممرات لعربات الخدمة، وأغراض الصيانة، والطوارئ، وإدارة المتنزه.

. الممرات الداخلية:

وتتكون من شبكة من الطرقات المتعرجة المتخللة للمناطق البيئية في المتنزه، وهي طرق بسيطة مرصوفة تسمح بالحركة في أرجاء بيئات المتنزه، وتربط بين العناصر المختلفة في أقصر مسافة ممكنة، كالربط بين المصليات، وملاعب الأطفال.

. ممرات المشاة:

يشتمل المتنزه على ممرين للمشاة، الأول داخلي في شكل دائري، وهو متسع، ومرصوف جيداً، ويمتاز بالإضاءة الكثيفة، ويمر عبر معظم أرجاء المتنزه، وعبر بيئاته الأربع المختلفة، بطول يصل إلى كيلو متر، ويستوعب أعداداً كبيرة من المشاة في وقت واحد.

ويحيط الممر الثاني للمشاة بسور المتنزه من الخارج، وهو أيضًا مرصوف ومضاء، ومشجر، ومحاط بموانع أسمنتية تعزله عن حركة السيارات، وهو متاح طوال الوقت في أوقات عمل المتنزه، وفي أثناء غلقه.

. الأنشطة الترويحية

يضم المتنزه عدداً من الملاعب التي تعدّ من عناصر

تمتاز هذه المنطقة بأنها فضاء مفتوح، ولا توجد محددات من أي نوع للجمهور باستثناء النخيل، وظلالها، ما يهيئ لهم فرصة الاستمتاع بجو طبيعي يحيي في النفوس ذاكرة المزارع التقليدية، وبساتين النخيل التي كانت تطوق مدينة الرياض قديمًا



تميز المتنزه من غيرها من المناطق المفتوحة، وتأتي في مقدمتها الألعاب المائية، حيث يتيح مسطح البحيرة الإفادة من أنواع مختلفة من الألعاب البحرية، مثل قوارب التجديف، وقوارب البدالات، وقوارب التصادم، وقوارب التحكم عن بعد.

وتوجد ملاعب للأطفال، وهي مناطق رملية منبسطة تحوي ألعابًا حركية للأطفال، تمتاز بمواقع مكشوفة، تسهل على الزوار مراقبتها عن بعد، وتمتاز بانتشارها في أرجاء المتنزه، وهناك الممرات الخاصة بركوب الخيل، حيث توجد الخيول العربية وخيل البوني، والدراجات الهوائية، والتزلج وسيارات التحكم عن بعد، والقطار، وتقدم في المتنزه عروض ترفيهية.

. المرافق الخدمية

يضم المتنزه مسجدين، الأول يقع في وسطه، وهو مسجد تاريخي يتجاوز عمره ستين عامًا، وقد بناه سمو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي - رحمه الله -. وكان إمامه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن حمدان - رحمه الله -. وقد جددت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض مبناه، وزودته بالتجهيزات اللازمة مع الإبقاء على تكويناته القديمة، وهو يستوعب نحو ٥٥٠ مصليًا بما فيها مساحة القبو والسرحة. وهناك مسجد خارجي محاذ للمتنزه من الجهة الشرقية بمساحة ٦٨٠ م٢، ويستوعب نحو ٦٠٠ مصلٍ، كما يشتمل المتنزه على مصليات موزعة في مختلف أرجائه.

وتستوعب مواقف السيارات بالمتنزه لـ ٣٥٠ سيارة، وبه خمسة مداخل رئيسة، ومواقع لدورات المياه.

وفي المتنزه سيفتتح قريبًا مطعم يطل على البحيرة، ومطعم عائم، وهناك مقهى رئيس، وبه حديقة حيوان مصغرة، تتضمن حديقة الطيور، وكهف الزواحف، وبيت محمي، ومنطقة خاصة بالفراشات.



الأطفال يجدون متعتهم في المتنزه بسلام وطمأنينة



الحداثـة الغربيـة وأزمة العقل الأوربي

عبد الغني بــارة

سطيف ـ الجزائر

إنّ المسعى المتوخّى من وراء هذه الرّحلة، ليس عرض المقولات النّقدية لمشروعات الحداثة النّقدية الغربية، بل هو وقوف عند المسكوت عنه في هذه المشروعات، ليس لمجرّد التمتّع في ظلالها، والاستئناس برنينها، أو الاستمتاع ببريق ضوئها الوهّاج، الذي فتن القلوب، وسحر الأعين، بقدر ما هو كشف وتعرية لما تعامى عنه الحداثيون العرب، أو تغاضوا عنه في مشروعاتهم النّقدية، التي اتّخذت من الحداثة الغربية أساسًا لها في تأسيس مشروعيتها.

وهو بصنيعه هذا يتوخّى الوصول إلى نتيجة فحواها، أنّ المناهج النّقدية الغربية، وإنْ بدت للناظر فاتنة مُغرية، لما تتمتّع به من قدرة الإغراء والغواية، من خلال ما تطرح من آليات بحث، وإجراءات مقارية للنّاقد الغريب عنها، فهي قاتلة للجانب الشّعوري الإنساني، الذي اعتاده النّاقد في دراسة النصوص، شأنها في ذلك شأن الأوراق الاصطناعية التي يزيّن بها الغصن العاري، مغرية كلّ ناظر إليها، لكن ما إن يتقرّب منها حتّى يتكشّف له من حقيقتها ما أخفاه بعده عنها.

باختصار، هي الوجه الآخر للغرب/ المركز، الذي يرى في نفسه أصلاً للحضارة الإنسانية، ومركزًا يشعّ بالمعرفة بمختلف صنوفها، وما عداه، أي: الشّرق، هامش وأطراف، بل عدم، لا بقاء له إلاّ إذا نهل من فيض عطائه، وكريم فضله. وليس هذا فحسب، فما يدّعيه أنصار المشروع الحداثي في نسخته الغربية، من علمنة للاتجاهات النّقدية عندما جعلوها الوارث الشّرعي لنتائج الفلسفة التجريبية والعقلية، ليس سوى حجب وتغليف للسلطة الدّينية (المسيحية/ اليهودية).



التي ادّعوا أنّهم ثاروا عليها في نهاية القرن السّادس عشر. وأظهروا العداء لها؛ إذ المستتر وراء مقولاتهم، أنّ المؤسسة الدّينية هي الأب الرّوحي الذي يعزى إليه فضل التأسيس للمصطلحات النقدية للحداثة الغربية.

ليس من السّهل الوقوف عند تعريف شامل لمصطلح «الحداثة» La Modernite، ويرجع ذلك إلى تشعّب المجالات التي تردّد عليها هذا المصطلح: فهو مرتبط بالسياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة. وعلى الرغم من محاولات النقّاد للإحاطة بما يرونه مفهومًا لهذا المصطلح، إلاّ أنّهم أقرّوا بصعوبة المبتغى. لأنّه، ببساطة، ذلك السّؤال المتجدّد في كلّ حين، الذي يرفض الانصياع والخضوع لأي جواب، فهو، دائمًا، مهاجرٌ لا يكاد يحطّ الرّحال بمكان حتّى ينتقل إلى غيره في رحلة دائمة، فهو فلوت يأبى أن يُمسك به، لأنّ في إمساكه قتلاً له وقضاءً على حرّيته، هو الحاضر/ الغائب.

فهي، أي الحداثة، ترفض النّعوت التي تجعلها بارزة، كما ترفض المعيارية التي قد توقعها في سمة المذهبية، وتجعلها محدّدة في مقولات نقدية. ولعلّ هذا

الرّفض والامتناع عن الظهور والجلاء هو الذي يضمن للحداثة ديمومتها وحضورها المكثّف في كلّ الأزمنة والأمكنة، وما مصطلح «ما بعد الحداثة» Post Modernite الذي يشيع استعماله لدى أهل الذّكر من النقّاد اليوم، إلاّ تأكيد لتمنّع الحداثة عن التحديد والرّضوخ لمعنى محدّد. فهي بهذا الثوب الجديد (ما بعد الحداثة) تُراجع نفسها وتستجمع قوّتها من جديد لمواصلة رحلة اللاّ معنى. يعرّفها جان بودريار مؤكّداً صعوبة اختصارها في مذهب أو مدرسة، أو حتّى مجرّد قوانين، فيقول: «ليست الحداثة مفهومًا سوسيولوجيًا، أو مفهومًا سياسيًا، أو مفهومًا تاريخيًا بحصر المعنى، وإنّما هي صيغة مميّزة للحضارة، تعارض صيغة التّقليد. .. ومع ذلك تظلّ الحداثة موضوعًا غامضًا يتضمّن في دلالته، إجمالاً، الإشارة إلى تطوّر تاريخي بأكمله، وإلى تبدّل في الذّهنية» (١).

وحتّى يتسنّى للباحث الوقوف عند مصطلح «الحداثة» في أصل وضعه في أرض النّشأة، هناك بأوربا، يحسن به أن يعود إلى المعجم الغربي، في محاولة لتحديد مختلف الدلالات لهذا المصطلح. ولعلّ من المغالطات التي حجبت الحقيقة عن الباحثين عن دلالة هذا المصطلح، هو عزله عن السياق الفكري الذي نشأ فيه، وعزله كظاهرة فكرية عن الظروف الاجتماعية التي لفظته، وتجريده وتفريغه من الشحنات العاطفية والدلالية التي أودعت فيه قبل أن ينتقل إلى بيئة أخرى.

أوّلاً: الحداثة وأزمة الإنسان الأوربي

إنّ مصطلح «الحداثة» عند الغربيين له ظروفه التاريخية والزمنية الخاصّة التي ارتبط ظهوره بها. والبحث في المعجمات الغربية يفضي بالدّارس إلى جملة من المصطلحات تتشابه مع مصطلح الحداثة، بل تتشابك معه، ولا يكاد يبين منها، لا لشيء إلاّ لأنّها تتفرّع من جذر كلمة «مودرن» MODERN، وهي: MODERNITE ، MODER-NISME ، MODERNISATION. فمصطلح MODERNISME، ارتبط ظهوره بظروف تاريخية محدّدة، ولعلّ وجود اللاّحقة ISME، ما يؤكّد مذهبيته، وهو المفهوم الذي يقرّه صاحب الموسوعة الكبيرة (لاروس) LAROUSSE (٢)، إذ تعرّف (المودرنيزم) بأنّها مجموعة العقائد والميول التي لها هدف مشترك يتمثّل في تجديد الثيولوجية، والعقد الاجتماعي وسلطة الكنيسة، لجعلهم يتماشون مع ما نؤمن به أنّه ضروري في حياتنا. بعبارة أخرى، اقترن ظهور هذا المصطلح بالأزمة الدينية التي مرّت بها أوربا في العصور الوسطى.

وهو الرأي الذي أقرّته الدكتورة خالدة سعيد، إذ تقول : «هكذا تمثّلت الحداثة الأوربية منذ بداياتها في الصراع مع المؤسسات الدّينية وقوانين الكنيسة والتقاليد الاجتماعية والمفهومات الموروثة، ثمّ في مرحلة متأخّرة مع التقاليد الأدبية لصالح مبادئ الحرّية والفردية والابتكار والعفوية» (٣).

هكذا، يبدو أنّ الحداثة (مودرنيزم)، انطلاقًا من هذا المعطى، حركة ولدت داخل التّراث الأوربي، وارتبط

الحداثة، ترفض النّعوت التي تجعلها بارزة، كما ترفض المعيارية التي قد توقعها في سمة المذهبية، وتجعلها محدّدة في مقولات نقدية. ولعلّ هذا الرّفض والامتناع عن الظهور والجلاء هو الذي يضمن للحداثة ديمومتها وحضورها المكثّف في كلّ الأزمنة والأمكنة

ظهورها بوضع تاريخي معيّن، يعدّ بمنزلة الأصل الذي لا غنى لأيّ باحث من الرجوع إليه لتقصّي السياق الذي نبت فيه مصطلح الحداثة، كما أنّ هذا الارتباط الوثيق بين المصطلح والظروف التي أفرزته، يجعل كلّ اقتباس أو نقل لهذا المصطلح خارج أرض النّشأة مخاطرة قد تجرّ صاحبها إلى الوقوع في فخّ التبعية الفكرية، وهو ما حدث حقيقة، في ما سيكشفه البحث في حينه.

ويرى النّاقد فاضل ثامر بأنّ الحداثة Modernite، هي الإطار العام والدائرة الكبيرة التي تحتوي حركة الحداثة Modernisme، فهذه الأخيرة، والقول للناقد، تلاشت وانتهى ظهورها في أواخر العشرينيات، وهي الفترة التي أعلن فيها النقّاد في أوروبا عن مرحلة «ما بعد الحداثانية» Post Modernism، «... وقد راح النّاقد الغربي منذ مطلع الثلاثينيات يميل إلى استخدام مصطلح (ما بعد الحداثانية) Post Modernism بل إنّ ردود الفعل المضادّة للحداثانية دفعت بعض النقّاد إلى الحديث عن اتجاه جديد مضاد، وأسموه بـ (ضد الحداثانية) Anti.Modernisme، ويتّضح ذلك بشكل خاص بالنّسبة إلى تجربة الأدب الإنجليزي» (٤).

إذًا، فالحداثة الغربية هي نتاج الدكتاتورية الإقطاعية، وسلطة الكنيسة (محاكم التّفتيش)، وهي في الأدب ثورة على الممارسة الشّعرية المتحجّرة، كما جاءت نتيجة سيطرة الرأسمالية في أوربا، التي تحوّل معها الإنسان إلى قطعة غيار أو معادلة، أو قل تشيّأ، وفقَد الجانب الرّوحي فيه، وهو ما جعل المبدع يحيا غريبًا في مجتمعه، منطويًا على نفسه، فكان دائمًا «... يجد بهجة في الالتحام ببعض الاتجاهات الفلسفية التشاؤمية الصوفية والنزعات الإشراقية السرية والنهلستية (العدمية) والعبثية والوجودية وغيرها» (٥).

هكذا، يمكن القول، إنّ الحداثة Modernite، كما سلف ذكره، تختلف عن الحداثانية Modernisme، بعبارة فاضل ثامر، كونها تجاوزًا للزّمن، وليست حركةً آنيةً ارتبط ظهورها بظروف معيّنة، فهي دعوة إلى التمرّد على كلّ قاعدة أو مذهبية، لأنّ تحديدها يعني موتها والقضاء على روح الإبداع فيها، فهي ذلك المشروع الذي لم يكتمل بعدُ، «فإذا ما كانت الحداثانية الغربية حركة وقتية وآنية استنفدت أهدافها فإنّ الحداثة، نزوع دائم للابتكار وجوهر متواصل قابل للاستئناف والتواتر والاطّراد. إنّ الحداثة.. بهذا المعنى تظلّ مصطلحًا شاملاً يضمّ تحت قبّته الواسعة أغلب حركات التجديد في الأدب والفن» (٦).

إذا تمّ التّسليم مع الناقد فاضل ثامر، بأنّ الحداثة تجاوز للزمن والتاريخ، وبأنّها تمرّد أبدي على المذهبية أو القواعد التي تحدّدها ضمن سياق معيّن، فهل يعني ذلك أنّ هذا المصطلح تخطّى الحدود الأوروبية، وأصبح ملكًا مشاعًا بين جميع الثقافات، أفلا يكون هذا الحكم قاصرًا، ولا سيّما أنّه يقرّ بتواري الحداثة (المودرنيزم) في نهاية العشرينيات، علمًا بأنّ الحداثة منذ أن ظهرت في نهاية القرن السادس عشر، كثورة على سلطة الكنيسة بقيت إلى أن نادى أنصار فلسفة الشكّ، بزعامة نيتشه، الثورة على سلطة العقل، حامل لواء

الحداثة تختلف عن الحداثة الثانية كونها تجاوزًا للزّمن، وليست حركةً آنيةً ارتبط ظهورها بظروف معيّنة، فهي دعوة إلى التمرّد على كلّ قاعدة أو مذهبية، لأنّ تحديدها يعني موتها والقضاء على روح الإبداع فيها، فهي ذلك المشروع الذي لم يكتمل بعدُ



جاك دريدا

الحداثة، فكان أن برز في نهاية الستينيات ما يعرف باسم «ما بعد الحداثة» كمشروع نقد للحداثة، لا لإلغائها وقتلها، وإنّما لتصحيح مسارها، وجعلها دائمًا وأبدًا مشروعًا متجدّدًا غير قابل للتحديد.

كما أنّ ترجمة الناقد للمصطلح بقوله (حداثانية)، توقعه في تناقض مع ما يذهب إليه، إذ الكلمة بإضافة اللاّحقة (نية)، التي تعني المذهبية، تعبّر عن معنى التطرّف، وكأنّ الأصل هو (الحداثة)، أم أنّه بالتّفريق بين الحداثة والحداثانية، يعني ما هو متداول اليوم عند الأوربيين؛ الحداثة كمصطلح كَتُوم، فَلُوت، غير قابل للتعريف، فتكون مقابلة لمشروع «ما بعد الحداثة»، والحداثانية، هي الحداثة التي اقترن حضورها بالعقل الأوربي، الذي يتعرّض اليوم من قبل مشروع «ما بعد الحداثة» للتقويض.

أمّا أنّ الحداثة (مودرنيزم) مصطلح يعبّر عن الآنية، وهو ما يلغي حضوره اليوم، فهو ينفي بذلك تمركز العقل الغربي حول نفسه، ومن ثم يلغي مشروع «ما بعد الحداثة»، الذي لا يستقيم له وجود إلاّ بتفكيك هذا العقل. هذا من جهة، كما أنّه، من جهة أخرى، ينفي المرجعية الدّينية لمصطلح الحداثة؛ الذي وإنْ أبدى معاداته للكنيسة كسلطة مناهضة للعقل، فهو دعوة إلى تجديد الفكر الدّيني، بل وإقرار بشرعيته، أو قل هو

تصحيح لمساره حتّى يبقى مواكبًا لما جدّ من تطوّر.

وهي، أي الحداثة، عند الشّاعر الفرنسي بودلير، الذي يعتبره محمد برادة من الأوائل الذين حاولوا صياغة مفهوم للحداثة، مرتبطة بالجمال الدّائم والأبدي فيقول: «... الحداثة هي العابر والهارب والعرضي: إنّها نصف الفنّ الذي يكون نصفه الآخر هو الأبدي والثّابت(٧). وهكذا تغدو الحداثة بالمفهوم البودليري عشقًا لكلّ ما هو غامض وجميل وفاتن، حتّى وإن كان اصطناعيًا، هي لغة الكيمياء السحرية، أين يغيب العقل فاسحًا المجال لأهواء النّفس.

تلك هي الحداثة عند بودلير، توتّر وحيرة، بل ويأس؛ إذ كيف يُعقل أن يلهث الإنسان وراء سراب، وهو على علم بذلك ؟ أهو ضرب من الفنّ الذي اقترن بالمشروع الحداثي، أين يجد الإنسان الجمال والمتعة في الغموض واللاّمعنى ؟ هل الفهم، والحال هذه، أصبح بضاعة مزجاة يوصف كلّ داع له بالرّجعية والتخلّف ؟ ألا يكون الإنسان حداثيًا إلاّ إذا ارتدى لبوس الإلغاز؟ نعم فعليه، إنْ أراد أنْ يُحتفى به في مسرح الحداثة كشخصية محورية، أن يرضى بعدم الفهم، ويسلّم به طريقة في التّفكير. فالحداثة، بهذا المفهوم، تعني «ذلك المسار المتواصل واللاّنهائي التوّاق إلى الجدّة على الدّوام. فهي إذن انفتاح على كلّ الفضاءات وإدماج لكلّ مستحدث وجديد ولا تكفّ عن التوسّع والاحتواء. ولعلّ هذا ما يفسّر تجرّدها عن كلّ تعريف محدّد أو مستنفذ لتظلّ في النّهاية مفهوما للحاضر والمستقبل معًا» (٨).

الحداثة حركة انفصال. إنّها تقطع مع التّراث والماضي، ولكن لا لنبذه وإنّما لاحتوائه وتلوينه وإدماجه في مخاضها المتجدّد. ومن ثمّة فهي اتّصال وانفصال، استمرار وقطيعة

لكن أليس في ظهور مصطلح «ما بعد الحداثة» تهديد «للحداثة»، أو إعلان رسمي عن موتها، إذ ليس يُعقل أنْ يبقى هذا المفهوم صالحًا والعالم في تغيّر مستمرّ، والمعرفة في صيرورة دائمة: من التفكير الميتافيزيقي، إلى العلم التّجريبي، إلى العقل الأداتي، إلى الفلسفة الظاهراتية. حتّى إنّ البادئة «ما بعد» (Post) تحمل معنى التّجاوز والبعدية، وتشير إلى أنّ مرحلة تاريخية ستقوم مقام أخرى أصبحت مستنفذة وبالية (٩).

إذًا، فالمتأمّل في صيحات أنصار مشروع «ما بعد الحداثة» يسلّم بأنّ الحداثة مسخت ولم يعد لها وجود. هذا ما يبدو من ظاهر المصطلح، لكن المضمر فيه هو أنّ مشروع ما بعد الحداثة لا يعدو أن يكون محاولة لتجذير فكرة الحداثة وترسيخها بإعادة مراجعتها وتوجيه النّقد لها، حتّى يتسنّى لها تأكيد هيمنتها على السّاحة الفكرية.

فقد تعدّدت المفاهيم، من أنّ مشروع ما بعد الحداثة تحطيم للحداثة التي تقوم على العقل (اللّوغوس)، ومحاولة للنّبش في الخلفيات المعرفية التي أقامت صرح الفلسفة العقلية قصد تدميرها، كما يذهب إلى ذلك جاك دريدا زعيم الاتجاه التّفكيكي، وقبله نيتشه، وشاعت مصطلحات، كالاختلاف، والتشتّت، والهوّة، ولا نهائية الدّلالة، والعدمية، والتناص، لإعطاء هذا المشروع شرعية الوجود في سوق الرّواج، لكن هذا الزّخم من المفاهيم، وهذه الإعلانات ما هي - في الحقيقة - إلاّ وسيلة لتأكيد هيمنة الحداثة، هذا إذا ما تمّ التّسليم بأنّ الحداثة، هي السّؤال المتجدّد، وذلك المشروع الفلوت الذي لم يكتمل بعدُ، والذي يأبى الانصياع لأيّ مفهوم. ..

ولا يكاد يخفى على الباحث في تركيبة المجتمع الغربي مدى اليأس الذي وصل إليه الفرد الأوربي في القرن العشرين، فقد قادته كشوفات العلم التّجريبي إلى طريق مسدود وأبواب موصدة. فلم يكن يملك إزاء هذا الوضع، الذي قادته إليه الآلة التي صنعها العقل والتجربة بدعوى جلب السّعادة، إلاّ التمرّد على كلّ يقين موضوعي، ليس بتصحيح مساره، مراجعًا الأدوات التي قادته إلى هذا المصير، محاولاً تجاوزها بإحلال آليات جديدة مكانها، أو التعديل فيها وجعلها لائقة وظروفه التي جدّت، بل تحوّل من النّقيض إلى النّقيض، من سلطان العقل والتجريب إلى سجن الشكّ والعدمية. هذه الأخيرة التي تكاد تكون ملازمة للمشروع الحداثي، بل سمته الرئيسة، وأحد عناوينه البارزة، أين يتمّ فيها «افتقاد القيم العليا لقيمتها، وغياب الأهداف الكبرى، وانعدام الجواب عن السّؤال البسيط لماذا؟» (١٠).

تُرى، أيُعقل أن يصل الإنسان الأوربي إلى هذا الانفصام والشرذمة، وهو الذي سعى جاهدًا في القرن السّابع عشر إلى القضاء على سلطة الكنيسة، التي قتلت الجانب الإرادي فيه كإنسان له حرّية الاختيار؟ أهو مصير حتمي كُتب على هذا الإنسان؛ لا يكاد يتخلّص من قبضة الكنيسة حتّى يجد نفسه حبيس سلطة العقل والعلوم التّجريبية، ليصل في نهاية المطاف، بعد هذا الصّراع، إلى التحرّر من كلّ قيد يحدّ من حرّيته. وهو في ذلك يظنّ بأنّه قد تحرّر نهائيًا من كل سلطة كانت تأسره، ونسي بأنّه قد وقع في سجن أخطرَ، أدهى وأمرّ من سابقيه، ألا وهو سجن التّيه والضياع؛ الذي فيه يتجرّد الإنسان من إنسانيته، فيغدو مجرّد حيوان يلهث وراء الشّهوات التي لا ينتهي الطلب عليها، يتساوى فيه المقدّس بالمدنّس، المعنى باللاّمعنى، الذّكر بالأنثى، أين يفقد كلّ واحد اسمه فلا يبقى إلاّ (هو) و(هي). أو مثل ما يقول فلوبير: «كلّ ما أريد أنْ أفعله هو أن أنتج كتابًا جميلاً حول لا شيء وغير مترابط إلاّ مع نفسه وليس مع عوالم خارجية يفرض نفسه بحكم قوّة أسلوبه» (١١).

ليس هذا بالأمر الغريب، بل هو المصير الطبيعي لمسيرة ثلاثة قرون، فلا غرو - إذًا - إنْ كان اليأس هو المآل للإنسان الأوربي في القرن العشرين. «في الواقع إنّ هذه الاتجاهات الفنّية تتضمّن تحطيم كلّ ما هو إنساني، إنّها هدم تقدّمي لكلّ القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرّومنسي والطبيعي ... إنّها لا تعيد صياغة الشّكل، بل تأخذ الفنّ إلى ظلمات الفوضى واليأس ... وهذا يعني أنّ الحداثة لا تأخذ بيد الفنّ إلى موطن الإبداع وإنّما إلى التّهلكة ... إنّها رحلة إلى عوالم فنّية مجهولة لا يمكن أن يكتب لها التّوفيق» (١٢).

هكذا أصبح الفرد الأوربي جسدًا بلا روح، يحيا حياة العمى في وضح النّهار، شأنه في ذلك شأن ت. س إليوت في قصيدته: (الأرض اليباب)؛ إذ يقول: «أنا تايرسياس أعيش حياتين على الرّغم من العمى. أنا رجل عجوز ذو ثديين أنثويين متغضّنين، إلاّ أنّني أستطيع الرّؤية في اللّحظة الحاسمة» (١٣). وهو في ذلك يشبه أيضًا أحد

ليس من السّهل الوقوف عند تعريف شامل لمصطلح "الحداثة" ويرجع ذلك إلى تشعّب المجالات التي تردّد عليها هذا المصطلح: فهو مرتبط بالسياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة، وعلى الرغم من محاولات النقّاد للإحاطة بما يرونه مفهومًا لهذا المصطلح، إلاّ أنّهم أقرّوا بصعوبة المبتغى

أبطال رواية كتبها «إلياس كانيتي» عام ١٩٣٥م، يحاول فيها البطل أن يجد طريقة يصل بها إلى رفوف المكتبة وهو مغمض العينين، وفي أثناء التجربة يرتكب الأخطاء التي يرتكبها الأعمى، ليصل حسب ما يتوهمه إلى إدراك قيمة الحظّ والمصادفة في اكتشاف الأشياء (١٤).

إنّه - باختصار - ضرب من العبث، يجسّد حقيقة الأزمة التي وصل إليها العقل الغربي في القرن العشرين، أين أصبح الفرد معزولاً عن الأشياء، بل بعيداً عن إخوانه من بني البشر. لا لشيء إلاّ لأنّه - ببساطة - وقع أسيراً في سجن النّسق، نسق العقل بالمفهوم الكانطي الدّيكارتي: أين تنفصل الذات العارفة (الكوجيطو) باعتبارها (الدّاخل) في الذّات عن البدن (الخارج) عنها، حتّى تتمّ عملية إدراك الذّات للحقيقة المنحبسة، بما تدّعيه من فروض، داخل العقل/ النّسق/ المثال.

هكذا، على أساس هذا الصراع بين ثنائية الدّاخل/ الخارج في الفكر الفلسفي الغربي، يتبيّن للباحث مدى ارتباط المشروع النّقدي الحداثي بالفلسفة الغربية؛ إذ يجمع النقّاد على أنّ الخطاب النّقدي منذ نظرية المحاكاة عند أرسطو إلى ما هو عليه الآن، كان صراعاً بين هذه الثنائية؛ من سلطة المعايير العقلية (الدّاخل) عند الكلاسيكيين إلى الارتماء في أحضان الطبيعة عند الرّومانسيين (الخارج).

إذاً، فنشأة المذاهب النّقدية في أوربا، لم تكن عبثاً من عفو الخاطر، أو تجسيداً لنزوة أفراد، كلّما خاب مسعاهم في اتجاه أزاحوه وأقاموا غيره، بل القضية أعقد ممّا يتصوّرها المرء، فهي نتاج مناخ فكري وحضاري لمسيرة أمّة عبر تاريخها الطويل، وليس أدلّ على ذلك سوى ما حدث للإنسان الأوربي في القرن العشرين: إذ المتأمّل في ما وصل إليه هذا الفرد من شكّ وعدمية، يجد أنّ هذا المآل كان ردّة على الموضوعية التي صنعها العقل وأقرّها، وجسّدتها الثورة الصناعية في القرن التّاسع عشر.

فمن الطبيعي، والحال هذه، أن تظهر الحركة الرّومانسية في الأدب، مثلاً، وأن يفرّ هذا الإنسان إلى الطبيعة بحثاً عن أناه، عن الإنسان الذي قتلت فيه الآلة القدرة على تغيير عالمه، وهو إذ يفعل ذلك، يحدوه أمل إعادة التفاؤل إلى هذه الذّات المشروخة، لكن، أنّى يكون له ذلك والعلم بمذاهبه التّجريبية قد قتل فيه كلّ يقين وإيمان بوجود الحقيقة/ المعنى، بعدما فشل هذا العلم، وهو يملك العقل أداةً، في تفسير الوجود.

وقد تأكّد فشل العلم - حقيقةً - عندما أعلن أينشتاين (١٨٧٩ - ١٩٥٥م) في بداية القرن العشرين نسبية الأحكام والنّظريات الفيزيائية في نظرية أسماها «النّسبية». ونظرية التّحليل النّفسي على يد العالم النّمساوي فرويد، مؤكّدة غياب اليقين الموضوعي، وكذا في ما أثاره نيتشه في نهاية القرن التاسع عشر، من شكوك حول مفهوم الحقيقة. باختصار، هو نهاية اليقين La fin de la certitude على حد تعبير ميشال فوشو، أين يظهر بوضوح مع «مبدأ اللاّيقين» الذي صاغه «هايزنبارغ» Heisenberg في فيزياء الكوانتا كمدخل لنهاية

هناك من يرى بأنّ الحداثة حداثتان: حداثة تستند إلى العلم التّجريبي والعقل الأداتي. ويقصدون بذلك البنيوية. وحداثة تستند إلى فلسفة الشكّ التي قامت على أساس تقويض العقل الغربي (اللّوغوس) الذي يقف وراء اليقين الموضوعي. ويعنون بذلك اتّجاهات "ما بعد البنيوية". أو "ما بعد الحداثة"

الحتمية، بحيث يستحيل تحديد وضعية الجزئي وسرعته في آن واحد. بالمعنى الإبستمولوجي للكلمة، هو نهاية الانسجام المطلق بين الذّات العارفة (الذّات التي تلاحظ) وبين موضوع المعرفة (الموضوع الملاحَظ)» (١٥).

هكذا، وانطلاقًا ممّا سبق، يمكن القول إنّ الصراع بين ثنائية الدّاخل/ الخارج في الفكر الفلسفي الغربي - كما تمّ توضيحه آنفًا - انتقل إلى المشروعات النّقدية الحداثية بوساطة اللّغة؛ باعتبارها أداة الإفصاح عن المعرفة، وأحد أبرز أضلاع المربّع الأربعة التي على أساسها يقوم صرح التّفكير الفلسفي في أوروبا: (العالم الميتافيزيقي (الله)، العالم الفيزيقي (المادّي)، الإنسان، اللّغة).

تُرى هل اللّغة مجرّد وسيط بين الإنسان وتجربته الإبداعية، تمثّل الأشياء وتعبّر عنها ليس غيرُ، أم أنّها مستقلّة بذاتها، معبّرة عن نفسها، بل إنّ الأشياء تخرج إلى الوجود من اللّغة. وحتّى الإنسان نفسه، فكما يقول هيدغر: «اللّغة بيت الوجود في بيتها يقيم الإنسان. وهؤلاء الذين يفكّرون بالكلمات ويخلقون بها هم حرّاس ذلك البيت، وحراستهم تحقّق الكشف عن الوجود» (١٦).

يعدّ هذا القول بمنزلة الإعلان الرّسمي لاستقلالية اللّغة عن الأشياء، وتأكيد مدى وفاء الفكر الغربي لماضيه؛ إذ بانفصال اللّغة عن عالم الأشياء تغيب الحقيقة/ المعنى من الواقع (الخارج)، وتتحوّل إلى اللّغة (الدّاخل) باعتبارها حاملة للحقيقة/ المعنى في مستودعها. ليبقى الصراع قائمًا بين هذه الثنائية، التي تعدّ بمنزلة المدخل الرّئيس الذي يلج منه البحث إلى الفكر الفلسفي الغربي، والمعين الذي يأخذ بيده ويسعفه في البحث عن الرّوابط القائمة بين الفكر الفلسفي والمشاريع النّقدية للحداثة الغربية.

هذا باختصار ما سيحاول البحث الوصول إليه في رحلته الاستكشافية، وهو إذ يفعل ذلك - كما سلف ذكره في غير هذا الموضع - ظنًّا منه بأنّ أزمة الخطاب النّقدي العربي المعاصر كامنة في مدى الاختلاف القائم بين الجو الفكري الذي نشأت فيه الحداثة الغربية، وبين البيئة العربية المستقبلة لهذا المشروع. وقد بدا واضحًا في أثناء عرض ما وصل إليه الإنسان الغربي

نشأة المذاهب النّقدية في أوربا، لم تكن عبثًا من عفو الخاطر، أو تجسيدًا لنزوة أفراد، بل القضية أعقد ممّا يتصوّرها المرء، فهي نتاج مناخ فكري وحضاري لمسيرة أمّة عبر تاريخها الطويل

فرويد


إليوت

ضائعًا على حدّ تعبير الدّكتور شكري محمد عيّاد. فقدَ الثّقة في نفسه، فراح يرتدي لبوس الأدب الرّمزي، «وهكذا نزلت بهم هزيمة ١٩٦٧م وهم يشعرون بأنّهم مخدوعون وممتهنون ومسؤولون أيضا. وهذه أحوال ثلاثة قد يكون واحد منها داعيًا إلى الثورة أو التمرّد. ولكنّها مجتمعة لا تنتج إلاّ حالة من العدمية المقترنة بالسلبية واللاّمبالاة. .. كان هذا المناخ المرضي الكئيب تربة صالحة جدًّا لانتعاش الحداثة» (١٧).

لكن الإنسان العربي لم يصنع ثورة علمية أنجبت له الآلة، ولم تكن له مؤسّسة دينية اسمها الكنيسة كانت تضطهد العلماء، وهو لم يعمد إلى جعل العقل سلطانًا عليه في تسيير شؤونه، مع ما هو عليه من تخلّف، فلم يكن أبدًا ليجعل سلطة محدودة تسير به إلى التّيه والضّياع مثلما هو الحال عند الفرد الغربي. فبدلاً من محاولة البحث عمّا يمكن أن يتّخذ مسوّغًا للارتماء في أحضان المشروع الحداثي الغربي، فلمَ لا يسعى النقّاد إلى الاهتمام بواقع الإنسان العربي، في محاولة لتأسيس مشروع حداثة عربية ؟ وهو ما سيحاول البحث الإجابة عنه في حينه.

ثانيًا: الحداثة وما بعد الحداثة

هناك نقطة يجب توضيحها قبل مواصلة السّير، وتتعلّق بمصطلح الحداثة، الذي كان الحديث عنه نزرًا في البداية، لسعة المفهوم وتشعّب المجالات التي تردّد عليها، مثلما تمّ ذكره في حينه، إذ سيتبيّن من خلال البحث عن الأصول الفلسفية للحداثة أنّ الصراع كان يدور بين قطبي الدّاخل والخارج أو الشكّ واليقين، وكان كلّ ممثّل لأحد هذه الأقطاب يبني نظرته على أنقاض من جاء قبله، وسيتّضح أنّ نقاط التّشابه بين هذه الأقطاب، مع ما في ظاهرها من تناقض، هو الغالب.

في القرن العشرين، أنّ القضية أعمق من مجرّد استيراد مصطلحات، أو مناهج نقدية لمقاربة النّصوص الإبداعية. فهل يتسنّى، والحال هذه، المقارنة بين أزمة الفرد الأوربي، وواقع الإنسان العربي؟

هل على الإنسان العربي أن يتحمّل نتائج أزمة لم يشارك في صنعها؟ أم أنّه يمكن إيجاد صلات مشتركة بينهما؟ إنّ الذي حدث بعد نكسة ١٩٦٧م أوجد جيلاً

لكن ظهر في النّصف الثّاني من هذا القرن، استنادًا دائمًا الفكر الفلسفي، مصطلح «ما بعد الحداثة»، الذي تمّ الوقوف عنده سابقًا، وهو ما خلق مأزقًا داخل تصنيف اتجاهات الحداثة؛ إذ يستخدم البعض كلمة «حداثة» بصفة العموم فتشمل كلاًّ من البنيوية والسيميولوجيا ونظرية القراءة واستراتيجية التّفكيك، وتستند هذه النّظرة إلى أساس أنّ هذه المشروعات النّقدية جاءت مناهضة للنّقد الانطباعي السياقي (الاجتماعي، الواقعي، التاريخي، النّفسي)، أضف إلى ذلك فهي تتقاطع في ما بينها مشكّلة كلاًّ متكاملاً، مع ما يوجد من فروق دقيقة في ما بينها، معبّرة في ذلك عن التداخل الذي كان بين اتجاهات الفكر الفلسفي، مصدر وجودها الأصلي.

وهناك من يرى بأنّ الحداثة حداثتان: حداثة تستند إلى العلم التّجريبي والعقل الأداتي، ويقصدون بذلك البنيوية، وحداثة تستند إلى فلسفة الشكّ التي قامت على أساس تقويض العقل الغربي (اللّوغوس) الذي يقف وراء اليقين الموضوعي، ويعنون بذلك اتجاهات «ما بعد البنيوية»، أو «ما بعد الحداثة»، كما يحلو للبعض تسميتها، كالسيميولوجيا، ونظرية التلقّي واستراتيجية التّفكيك.

هكذا، كان لكلّ رأي الحقّ فيما يدّعيه، لكن من خلال المناقشة يتّضح أنّ الرأي الثّاني كان أكثر دقّة وموضوعية في موقفه، لأنّه يعتقد بأنّ مصطلح «ما بعد الحداثة» يعبّر حقيقة عن مرحلة مخالفة لمرحلة الحداثة؛ إذ جاء مناهضًا لمفاهيمه التي قام على أساسها، أي العقل/ النّسق/ اللّغة. فالبنيوية، مثلاً، تعطي للّغة أو النصّ فضل إنتاج المعنى دون الارتكاز على مركز إحالي خارجي، كالمؤلف صاحب النصّ. أو القارئ، أو العوامل الأخرى (البيئة، التاريخ، الجانب النّفسي)، وهي في ذلك تستند إلى الفلسفة العقلية (المثالية)، التي ترى أنّ الحقيقة أو المعنى ينتجه العقل المغلق على نفسه، كما تتكئ على العلم التجريبي في علمنة الآليات أو الإجراءات التي يُقارَب بها النصّ للوصول إلى اليقين الموضوعي، بعيدًا عن الانطباعية والأحكام القيمية التي سادت النّقد من قبل.

أمّا اتجاهات «ما بعد الحداثة»، فهي تجعل من القارئ، المبدع الحقيقي للنصّ، وأنّ النصّ ليس ثابتًا قارًا محكم الوثاق، بل هو نصوص متعدّدة (تناص)، مهاجرة في الزّمن لا يمكن الإمساك بها، لذا فهم ينادون بإرجاء الدلالة، وفتح باب القراءات المتعدّدة إلى ما لا نهاية، وهم في ذلك يستندون إلى زعيمهم نيتشه، الذي يعدّ الحقيقة وهمًا من الأوهام (١٨) التي أقرّها اللّوغوس حتّى يحافظ على ثباته، لذلك دعا إلى أنّ الحقيقة أو المعنى غير موجودة في العالم الآخر (العقل، الميتافيزيقا) كما يدّعي فلاسفة العقل، وإنّما هي في العالم الظاهري، عالم السّطوح القابل للتأويل اللاّنهائي، عالم الفوضى، الذي تتعدّد تفاسيره بعدد القرّاء، فالحقيقة هي الاعتقاد، فقد يكون الشرّ خيرًا، والمدنّس مقدّسًا، والحقيقة زيفًا ووهمًا، واليقين شكًّا.

التفكيكية، في كلّ دعاويها بدءًا من نيتشه وصولاً إلى دريدا كانت ثائرة على التّفكير الميتافيزيقي، بدعوى أنّه أقرّ بوجود الحقيقة وادّعى ملكيتها، فكانت معظم سهام نقدها موجّهة له. لكن المتأمّل في خطابات أنصار التّفكيك يجد بأنّهم سلّموا بأنّ الميتافيزيقا موجودة في فكرهم رغمًا عنهم

أضف إلى ذلك، كما سلف ذكره في مقدّمة المدخل، فإنّ البادئة «ما بعد» Post تشير إلى التجاوز والبعدية، أي أنّ مرحلة ستنبثق من قلب المرحلة السّابقة وحتّى تستقيم اتّجاها له شرعية الوجود عليها أن تلغي بظهورها ما كان سببًا في ميلادها، جريًا على سنن الطّبيعة، وما دام أنّ هناك مرحلة سابقة للحداثة (ما قبل الحداثة)، فمن المنطقي أن تكون مرحلة تالية للحداثة (ما بعد الحداثة) التي بدورها سيتمّ تجاوزها.

وتوخّيًا للموضوعية في تحليل الآراء ومناقشتها، وفاءً لمنهج البحث، يحسن، والحال هذه، استخدام الجدول التوضيحي الآتي :

الحداثة	ما بعد الحداثة
١ ـ العقل (اللّوغوس)	١ ـ اللاّعقل
٢ ـ عالم المثل (العالم الحقّ)	٢ ـ عالم الظواهر (عالم السّطح)
٣ ـ الحقيقة	٣ ـ الوهم
٤ ـ اليقين الموضوعي	٤ ـ الشكّ والعدمية
٥ ـ بنية مغلقة (النّسق)	٥ ـ تفكيك (فوضى)
٦ ـ حضور (المقول)	٦ ـ غياب (المسكوت عنه)
٧ ـ بلوغ ووصول	٧ ـ إرجاء وتعليق
٨ ـ مركزية	٨ ـ تشتيت وانتشار
٩ ـ مدلول	٩ ـ دالّ
١٠ ـ قراءة	١٠ ـ إساءة قراءة
١١ ـ جنس أدبي	١١ ـ نص/ تناص
١٢ ـ علمية موضوعية	١٢ ـ تأويلية

إلاّ أنّ سؤالاً يبقى يلوح في الآفاق، تُرى لمَ يُجمع كلّ الباحثين في حقل النّقد الحداثي على استحالة وجود تعريف ثابت للحداثة ؟ أليس في هذا ما يوحي بأنّ الحداثة، وإنْ قسّمت إلى حداثتين فإنّها في الأخير تظلّ حداثة واحدة، وما مصطلح «ما بعد الحداثة» سوى نقد ومراجعة للحداثة، ومحاولة لتجذيرها وتأكيد حضورها الأبدي، حتى تحافظ على تفلّتها من كلّ تحديد، فهي مشروع لم يكتمل بعد، هي الحاضر والمستقبل معًا، «الحداثة حركة انفصال، إنّها تقطع مع التّراث والماضي، ولكن لا لنبذه وإنّما لاحتوائه وتلوينه وإدماجه في مخاضها المتجدّد. ومن ثمّة فهي اتّصال وانفصال، استمرار وقطيعة: استمرار تحويلي لمعطيات الماضي وقطيعة استدماجية له. هذا الانفصال والاتصال تمارسهما الحداثة حتّى على نفسها، فما يسمّى ما بعد الحداثة لا يمثّل مرحلة تقع خارج الحداثة «وبعدها» إنّه أقرب ما يكون إلى مراجعة الحداثة لنفسها لنقد بعض أسسها وتلوينها» (١٩)، أو كما يقول آلان تورين: «إنّ فكرة الحداثة لا تستمدّ قوّتها من طوباويتها الإيجابية، طوباوية بناء عالم عقلاني، بل من وظيفتها النّقدية، وهي لا تحتفظ بتلك القوّة إلاّ ما دامت مقاومة للماضي مستمرّة» (٢٠).

وإلى المذهب نفسه يذهب علي حرب؛ إذ يقول: «فالحداثة تجربة لا تكتمل ومشروع هو دومًا قيد التأسيس. بمعنى أنّها انفتاح دائم على ما يحدث لاستيعاب ما يتشكّل من العلاقات والرّؤى والعوالم وتوجّه مستمرّ صوب مناطق جديدة يعاد، مع اكتشافها تعريف الأشياء بقدر ما يُصار إلى إعادة صوغ أشكال التّفكير وأدوات الفهم وأنظمة المعرفة ... فهي موقف نقدي من الذّات والحقيقة والفكر


هيدغر

يتيح الخروج على المراجع والنماذج» (٢١).

هكذا، وتأسيسًا على ما تقدّم يمكن القول، إنّ ظهور مصطلح الحداثة، ارتبط، في أصوله الغربية، بمشروع الفكر الغربي في الثورة والتمرّد على كلّ سلطة يقينية، وثوقية. تجعل الإنسان حبيس نمط تفكيرها. فمن الثورة على سلطة الكنيسة (الفكر الميتافيزيقي)، إلى الثورة على العقل الأداتي، الذي كان بديلاً عن الفكر اللاّهوتي. وكأنّ العقل الغربي يدور في حلقة مفرغة. يؤسّس لفكر ثمّ يعلن الثورة عليه بما يناقضه ويعاديه؛ من العقل إلى اللاّعقل، أو من اليقين إلى الشكّ والعدمية.

كما أنّ من أبرز النتائج التي يرصدها البحث، هو انغلاق مفهوم الحداثة في نسخته الغربية على نفسه؛ إذ لا يمكن إيجاد أي مقابل لهذا المصطلح خارج الأصول الفكرية التي نبت في كنفها، وهو ما يزيد من صعوبة النقل أو التبنّي لمن يروم الانفتاح على نتاج الفكر الغربي. فهي، أي الحداثة، وإنْ أبدت تمرّدًا على سلطة الكنيسة، إلاّ أنّها لم تكن سوى توجيه وتصحيح لمسارها، بمحاولة إلغاء التفسير الأسطوري للأشياء، وتعويضه بالنّظرة الموضوعية، التي تعتمد على العقل والتجربة. وحتّى مشروع ما بعد الحداثة، الذي يبدو وكأنّه ردّة على الحداثة وتجاوز لها، لا يعدو أن يكون مجرّد نقد لمسارها قصد تجذيرها كمشروع يبقى دائمًا قيد التأسيس، لم يكتمل بعدُ. ..

وغني عن البيان بعد هذا، أنّ الحداثة بتفلّتها من كلّ تحديد، وثورتها على كلّ يقين، لا تعبّر إلاّ عن أزمة الإنسان الأوربي، الذي يبقى الخاسر الوحيد في المشروع الحداثي؛ إذ إنّ ثورته على سلطة الكنيسة في القرون الوسطى، لم تكن إلاّ لغرض تحرير الإنسان من اضطهاد محاكم التّفتيش، التي صادرت كلّ تفكير

"إنّ فكرة الحداثة لا تستمدّ قوّتها من طوباويتها الإيجابية، طوباوية بناء عالم عقلاني، بل من وظيفتها النّقدية، وهي لا تحتفظ بتلك القوّة إلاّ ما دامت مقاومة للماضي مستمرّة"


نيتشه

يتنافى وما أقرّه آباء الكنيسة، بل إنّ العالِم يُحاكم لمجرّد وشاية قد تكون باطلة، ولا يسمح له حتّى الدفاع عن نفسه. فكان العلم التجريبي البديل والمخلّص، ومن بعده العقل، الذي أهدى جميع كشوفاته إلى التقنية في القرن التاسع عشر، واعتقد الإنسان الأوربي معه أنّه سيطر على الطبيعة بوساطة العقل ممثّلاً في التكنولوجيا والآلة، بيدَ أنّ الحلم تحوّل إلى كابوس؛ إذ غدا العقل سببًا في شقاء الإنسان الأوربي بدل سعادته، في القرن العشرين، وليس أدلّ على ذلك ممّا أحدثته الآلة في الحرب الكونية الثانية باليابان.

هذا الانقلاب الذي أحدثه العقل في أوروبا، جعل الفرد يعلن الثورة ضدّ كلّ يقين موضوعي، وبدل أن يحاول محاورة هذا العقل، تمرّد عليه، فكان الشكّ بديلاً، ليجد هذا الإنسان نفسه حبيس سجن آخر، أدهى وأمرّ، إنّه سجن العدمية، الذي يتيه فيه كلّ يقين، يتحوّل فيه المقدّس إلى مدنّس، والنظام إلى فوضى، والمعنى إلى اللاّمعنى، والحضور إلى غياب. ..

ثالثًا: المرجعية الدّينية للحداثة الغربية

قبل أن تصل الرّحلة إلى نهايتها ارتأت أنّها تقف عند قضية هي من الأهمية بحيث يمكن معها كشف بعض المحجوب من كثير ما تخفيه مشروعات الحداثة الغربية في مستودعها. هذا المسكوت عنه هو الجذور الدّينية (المسيحية واليهودية)، التي يمكن القول بأنّها الأساس الذي تستند إليه المشروعات الفكرية في أوربا.

وغني عن القول، بأنّ ثورة العلم التّجريبي كانت على الكنيسة، بدعوى أنّها تدعو إلى التّفسير اللاّهوتي، وأنّها تضطهد العلماء ولا ترضى بالأحكام التي يقرّها العلم. هذا ما يجعل أيّ واحد يظنّ بأنّ الكنيسة الممثّل الأوّل للدّيانة المسيحية معادية للعلم والتّفكير العقلي، لكن الذي لا يمكن التغاضي عنه هو أنّ الكنيسة لا تمثّل الديانة المسيحية، وإن ادّعت الحقّ في ذلك، وإلاّ كيف يمكن تفسير ما كان يحاول «بيكون» القيام به، «كان يريد أن يضع علمه التّجريبي في خدمة الكنيسة، وأن يضطلع العلماء بالتّبشير» (٢٢)، أليس في هذا محاولة لجعل العلم في خدمة الكنيسة. كما أنّ الذي قام به رجال الدّين الذين اضطهدتهم الكنيسة البروتستانتية في إنجلترا هو السعي إلى تأسيس دولتهم في البلاد

الجديدة (أمريكا) على التّبشير، حتّى ولو اضطرّوا إلى استعمال أساليب القوّة، في ما عرف باسم «رسالة الرّجل الأبيض»؛ إذ إنّ وقفة قصيرة مع تاريخ نشأة أمريكا تعطي للباحث نظرة عن مدى وفاء الحداثة الغربية لماضيها الفكري (الفلسفي). فميلاد الولايات المتّحدة الأمريكية كان بإعلان حرّية الذّات الأمريكية في دستور البلاد، وذلك بعد إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦م، لذلك شهدت الولايات المتّحدة الأمريكية حملات الهجرة إليها من أوربا؛ إذ لجأ الأوربيون، خاصّة الإنجليز، إلى الرّحيل من أوطانهم هربًا من بطش الكنيسة البروتستانتية التي منعت المتطهّرين من ممارسة شعائرهم الدّينية. فكانت هجرتهم - إذًا- هربًا من سيطرة الكنيسة، عساهم يجدون في البلاد الجديدة ما كانوا يأملون تحقيقه، أي الحرّية في ممارسة طقوسهم الدينية، وبناء مدينة فاضلة يقودها «الرّجل الأبيض»، رمز الطهارة والنّقاء. إلاّ أنّ الرّجل الأبيض الذي فرّ لتحقيق حرّيته التي صادرتها الكنيسة، ولتأسيس المدينة الفاضلة، كان يضمر عداءً للآخر/ الهنود الحمر، من خلال هذا المشروع؛ إذ هاجر أملاً في التّبشير تأكيدًا لمبدأ الغرب/ الفاتح/ النّموذج/ المركز، والهنود/ البدائي/ الحيوان/ الهامش. إنّه قهر من نوع آخر، «نهاية التاريخ» بالمفهوم «الفوكويامي»، حيث حقّقت الذّات/ الغرب مأربها بوصولها إلى المدينة الجديدة (أمريكا)، تاركة الآخر/ الشرق في الصحراء كرمز للبداوة والتخلّف(٢٣).

هذا ما يجعل الباحث يقول، إنّ التّفكيكية، أبرز المشروعات الحداثية وأكثرها التصاقًا بالفكر الفلسفي، هي آخر المشروعات النّقدية التي استقبلت الزّخم الفكري الفلسفي الغربي بكلّ خلفياته، كما أنّها أوكلت لنفسها مهمّة المراجعة والنّقد لهذا الفكر من خلال تقويضه وتعرية بناه للوصول إلى الأساس الذي قام عليه العقل، لكن سلّمت بالإخفاق وقالت باستحالة الوصول إلى الحقيقة، فزرعت الشكّ ونادت بلا نهائية الدّلالة ومبدأ تعدّد القراءات، وبأنّ النصّ هو في الحقيقة مجموعة نصوص (تناص)، لذا من الصعب القبض على الدّلالة فيه.

وهي، أي التفكيكية، في كلّ دعاويها بدءًا من نيتشه وصولاً إلى دريدا كانت ثائرة على التّفكير الميتافيزيقي، بدعوى أنّه أقرّ بوجود الحقيقة وادّعى ملكيتها. فكانت معظم سهام نقدها موجّهة له، لكن المتأملّ في خطابات أنصار التّفكيك يجد بأنّهم سلّموا بأنّ الميتافيزيقا موجودة في فكرهم رغمًا عنهم، بل إنّهم يحملون إرثها، في الوقت الذي يحاولون التخلّص منها، وها هو ذا نيتشه، زعيمها الرّوحي يقرّ بذلك فيقول. إنّه لا استغناء «لنا أعداء الميتافيزيقا الذين لا إله لهم» «عن العقيدة المسيحية» (٢٤). ولعلّ هذا ما جعل دريدا يقرّ بصعوبة المهمّة، أي تفكيك الميتافيزيقا الغربية، إذ وجد بأنّها متشابكة متمركزة حول ذاتها ويرفد بعضها بعضًا، بحيث يصعب معها فعل التقويض.

وها هو ذا هللس ملر أحد أبرز التّفكيكيين في النّقد

الحداثة الغربية هي نتاج الدكتاتورية الإقطاعية، وسلطة الكنيسة (محاكم التّفتيش). وهي في الأدب ثورة على الممارسة الشّعرية المتحجّرة، كما جاءت نتيجة سيطرة الرأسمالية في أوربا، التي تحوّل معها الإنسان إلى قطعة غيار أو معادلة، أو قل تشيّأ، وفقد الجانب الرّوحي فيه

الأمريكي يعترف بما يجمعه بالفيلسوف الفرنسي دريدا، فيقول: «لقد فكّرت في السبب الذي يجعل أمريكيًا (بخليقتي البروتستانتية) ينجذب إلى فكر دريدا مثلاً. وأعتقد أنّني توصّلت إلى الجواب، فهناك شبه بين أحد أوجه البروتستانتية الأمريكية، بل البروتستانتية إجمالاً، والتّراث اليهودي في أوروبا، وذلك أنّ الاثنين لا يطمئنّان إلى التماثيل، والرموز، والصور المنحوتة، كما أنّهما يشكّان في أنّ الأشياء قد لا تكون لما هو أصلح في عالم هو أفضل العوالم الممكنة، إنّه نوع من ظلام الرؤية الغريزي...» (٢٥).

هذا الاعتراف من النّاقد هللس ملر بموروثه البروتستانتي - اليهودي، يؤكّد المكانة التي حظي بها التّفكيك عندما هاجر من فرنسا إلى أمريكا، بخلاف البنيوية التي أشاحوا وجوههم عنها. وكأنّ حفاوة الاستقبال كانت تنمّ عن الماضي المشترك بين التّفكيك والذّات الأمريكية التي تشكّلت على مبادئ دستور ١٧٧٦م، الذي أقرّ حرّية الذّات الأمريكية التي لا تقف أمامها أي سلطة، وقد تبيّن في حديث «ملر» بأنّ الشكّ يراود الفرد البروتستانتي في كلّ يقين.

وبحثًا عن الحقيقة الكامنة وراء هذه التّصريحات

سعى الدكتور عبدالوهاب المسيري، وهو الباحث المختصّ في التراث اليهودي، إلى الإمساك بالخيط الذي يوصله إلى الجذور التي تربط بين التّفكيكية واليهودية، وقد تمكّن، استنادًا إلى المصطلحات التي يقوم عليها التّفكيك الوصول إلى الصلات الموجودة بينه وبين التّراث اليهودي

سعى الدكتور عبدالوهاب المسيري، وهو الباحث المختصّ في التراث اليهودي، إلى الإمساك بالخيط الذي يوصله إلى الجذور التي تربط بين التّفكيكية واليهودية، وقد تمكّن، استنادًا إلى المصطلحات التي يقوم عليها التّفكيك الوصول إلى الصلات الموجودة بينه وبين التّراث اليهودي. أوّل هذه الخيوط، هو أنّ معظم دعاة الحداثة (التّفكيك) من أصل يهودي (دريدا، هارولد بلوم، جابيس، كريستيفا، ليفيناس. ..)، أمّا الخيوط الرّئيسة، فتتمثّل في المناهج التي اتّبعها هؤلاء والمصطلحات التي استخدموها في التّرويج لفلسفتهم.

عرف عن اليهود أنّهم شعب مشتّت في كلّ بقاع العالم، لا يملكون أرضًا يؤسّسون عليها كيانهم، وما فلسطين إلاّ أرض اغتصبوها، واليهودي في قرارات نفسه يعلم بأنّه سيبقى طول حياته في السعي إلى تحقيق حلم الأرض، أو كما يسمّونها «أرض الميعاد»، لكن الأكيد في كلّ هذا أنّ اليهودي يثير شفقة العالم بأنّه إنسان مضطهد، مشرّد، لا أرض له، ولا مأوى، وهو في الحقيقة لا يريد الرّجوع إلى الأرض المحتلّة بالقوّة، «فقد اقتلع اليهود من وطنهم الأصلي وتمّ إحلال شعب آخر محلّهم، كما تمّ توطينهم في بلاد غريبة عنهم واليهودي يعيش في بلاد الغير وكأنّه مواطن فيها مندمج في أهلها، مع أنّه في واقع الأمر ليس كذلك، فهو فيها وليس منها. فهو الغريب المقيم أو المقيم الغريب، أو الحاضر الغائب، وهو كذلك المتجوّل الدّائم الذي يحلم دائمًا بأرض الميعاد، وعلى وشك العودة دائمًا، ولكنّه لا يعود. .. فهو الدّال المنفصل عن المدلول أو الدالّ الذي له مدلولات متعدّدة بشكل مفرط» (٢٦).

أليس هذا ما يقوله دريدا ومن شايعه، إنّها الدّلالة المؤجّلة، ولا نهائية التّفسير، والشكّ في كلّ قراءة تقوم على إقرار المعنى الواحد، لأنّ في ذلك عدم إقرار

بوجود الفرد اليهودي، الذي يبقى هائمًا يؤجّل العودة إلى أرض الميعاد إلى حين. ولو حاولت أن تجد تعريفًا لليهودي لوجدت عدّة تعريفات. فهناك اليهودي المحافظ، والإصلاحي، والمجدِّد، وهناك الملحد، واليهودي غير اليهودي، واليهودي المتهوّد، واليهودي بالاختيار، أو كما عرّف بأنّه «من يصفه النّاس بأنّه كذلك.. أو من يشعر في قرارات نفسه أنّه كذلك» (٢٧).

ولعلّ هذا ما يلمسه الدّارس في الفلسفة الظاهراتية، التي أسّسها «نيتشه»، حيث تصنع الإرادة القوية الحقيقة، فهي غير موجودة إلاّ من منظورها أو فيما تعتقد، إنّها الحقيقة التي يعتقد اليهودي في قرارات نفسه أنّها حقيقة، فهي متعدّدة تعدّد ما يعتقده النّاس. فاليهودي/ الحقيقة اعتقاد من منظور معيّن يبقى قابلاً لتعدّد الدلالة بتعدّد قراءات النّاس له.

كما يُلاحظ أنّ العقيدة اليهودية تقوم على تعدّد التّفاسير؛ إذ الأصل عندهم هو التوراة ككتاب مقدّس تلقّاه النبيّ موسى ـ عليه السّلام ـ من اللّه في جبل سيناء، ويشاع عندهم، أنّه تلقّى شريعتين: «الشّريعة الشّفوية»، و«الشّريعة المكتوبة»، أمّا المكتوبة فهي التي توارثها اليهود كلّهم، أمّا الثّانية فهي التي توارثها الحاخامات فقط، وتفسيراتهم التي دوّنت في التلمود تجسّد هذه الشّريعة الشّفوية (٢٨).

المتعامل به والمتوارث عن العقيدة اليهودية هو التفسير الحاخامي، أي أنّ التلمود هو السائد أمّا التوراة فهي غائبة، لأنّ التّفاسير الحاخامية ألغت حضورها بتعدّدها؛ إذ كلّ تفسير منها يحيلك إلى تفسير آخر إلى ما لا نهاية، دون أن تصل إلى تفسير نهائي للكتاب المقدس الأصل (التوراة)، بل أصبح التلمود في ظلّ تعدّد التفاسير الحاخامية هو الكتاب المقدّس، فهو بمنزلة النص الثاني، لأنّه مكتوب بيد الإنسان، وهو لذلك ثابت متغيّر مطلق وغير مطلق. باختصار هو مجموعة نصوص تحجب النصّ الأصل، لذا تغيب الدلالة وتؤجّل إلى ما لا نهاية، لأنّها تناص. فالتّفسير الحاخامي بهذا الشّكل هو القارئ التّفكيكي الذي اصطنعه نيتشه ودريدا، إنّه إرادة القوّة الذي يدخل النصّ من أي زاوية يشاء منصّبًا نفسه وصيًّا على النصّ/ التوراة بدعوى أنّ صاحبها قد مات (موت الإله، موت المؤلّف)، لكن الأغرب في هذا هو أنّه لا يوجد قارئ واحد، بل هم قرّاء كثر، أي لا يوجد تفسير حاخامي واحد، بل هي تفاسير، كلّ واحد منها يحيل إلى الآخر، دون أن يكون هناك تفسير قارّ، فيحجب النصّ/ الأصل، ويضيع في ظلّ هذه التّفاسير، فتتعدّد الدّلالة ويصبح النصّ نصوصًا، والمقدّس مدنّسًا، والمطلق نسبيًّا، والحضور غيابًا، والقراءة إساءة قراءة، هو اليهودي الذي يعني كلّ شيء ولا يعني أيّ شيء. وحتّى القارئ التّفكيكي الذي يدّعي بأنّه هو الذي ينتج الدلالة بعد وفاة صاحب النصّ، إنّما هو يخدع نفسه؛ إذ لا سلطة على النصّ الذي يأسر أيًّا كان في شبكة دلالاته، ليصبح القول قوله والكلمة كلمته، ألم يقل سوسير بأنّه نظام من العلامات منغلق على نفسه. فالقارئ، والحال

الحداثة انفتاح دائم على ما يحدث لاستيعاب ما يتشكّل من العلاقات والرّؤى والعوالم وتوجّه مستمرّ صوب مناطق جديدة، يعاد مع اكتشافها تعريف الأشياء بقدر ما يُصار إلى إعادة صوغ أشكال التّفكير وأدوات الفهم وأنظمة المعرفة

هذه، لا يقول ما يعني وإنّما ما تعنيه الكلمات في النّظام. لهذا يسلّم بالفشل في القراءة، تاركًا المكان لغيره، والغير للغير إلى ما لا نهاية.

لهذا رفض دريدا النّصوص الشّفاهية ودعا إلى ما أسماه «علم الكتابة»، لأنّه يعتقد بأنّ الخطاب الشّفهي يشكّل مركزية الحضور؛ حضور صوت المؤلّف الأمر الذي يؤثّر في عملية التأويل ويحجب ما تخفيه الكتابة. وهو في هذا ينقد محاورات أفلاطون على لسان سقراط، حيث أثبت أنّ أفلاطون سيطر بصوته على الحوار، فقرأت النّاس سقراط الأفلاطوني، لا سقراط الحقيقي الذي حجبه أفلاطون باللّغة الشفاهية، ولو ترك الكتابة تعبّر عن نفسها لما كان سقراط الذي تعرفه اليوم النّاس. وهو يتّهم بذلك الفلسفة العقلية (المثالية) بإلغاء الكتابة، وإعطاء المركزية للخطاب الشفاهي. والفلسفة العقلية إذ تفعل ذلك، لأنّها ترى في الكتابة قتلاً للحقيقة وتشويهًا لها، فهي حتّى تبقي على الحقيقة لا تدوّنها. فجاءت، من هذا المنطلق، معاداة دريدا للعقل الغربي. فنادى بعلم الكتابة حتّى يبقى القارئ في مواجهة شقوقها وفضاءاتها دون تأثير من صاحبها، فيصبح القارئ هو صاحب النصّ، وهذا ما حصل - كما سلف ذكره - في العقيدة اليهودية؛ إذ حلّ الحاخام/ القارئ محلّ الإله/ الكاتب.

وتشير الباحثة «جياتري سبفاك» في ترجمتها لكتاب دريدا (في علم الكتابة)، إلى أن هذا الفيلسوف الفرنسي يهودي «سفاردي»، وإلى أن بعض مقالاته مذيّلة بتوقيع «حبر يهودي» اسمه «رابي» Rabbi (٢٩). لمَ «سفاردي» بالتّحديد، لأنّ «دريدا» ينتمي إلى التّراث السّفاردي، هذا التّراث تبنّى أسلوبًا في التّفكير يسمّى الأسلوب «الماراني»، الذي انتشر في أوروبا الغربية ابتداءً من القرن الثّامن عشر، واليهود الذين تبنّوا هذه الطريقة في التّفكير عرفوا باسم «المارانو»، وهم يهود يقطنون شبه جزيرة أيبريا، الذين أخفوا اليهودية وأظهروا الكاثوليكية، وهذا هو جوهر التّفكير الماراني: أن تقول شيئًا وأنت تقصد غيره (٣٠).

ولعلّ هذا ما يفسّر ما يحاول دريدا قوله من خلال ما يروّجه لمبدأ تعدد القراءات ولا نهائية الدلالة، لأنّه يؤمن بأنّ ما يقوله النصّ في أصل وضعه غير ما يقوله في سطحه، فلو أبقى على حياة صاحب النصّ لما كان هذا الشّطط، لكن ما دام أنّه رهن ميلاد القارئ بموت المؤلّف، فهو يسعى إلى التمويه والمغالطة. وهو إذ يقرّ ذلك، ينشر الشكّ في كلّ النّصوص، بدعوى أنّها تقف حاجزًا أمام حرّية القارئ، لكن المضمر في كلامه هو أنّه يؤمن بالتّفكير الماراني الذي يبدي صاحبه عكس ما يبطن، فالشكّ وإلغاء كلّ يقين هو ما يبطنه، ويبدي حرصه على حرّية القارئ ويحارب مركزية الصوت ومركزية العقل، حتّى يبقى تراثه الماراني بعيدًا عن الأنظار ولا يثار الشكّ في ما يدعو إليه، ما دام أنّ المكتوب ليس له صاحب، فهو يقول ما يقول، وسيبقى بقاء القراءات دون أن يكون هناك تفسير يصل إلى المسكوت عنه في خطابه.

وإن كان دريدا يخفي التّفكير الماراني وراء خطاباته غير قابلة التأويل، ها هو ذا جابيس الماراني التّفكير - أيضا - يكشف صراحة مقاصد المشروع التّفكيكي في صورته النّيتشوية، لا المارانية، «هل من الممكن أن تكون حرّيتنا مربوطة إلى المحاولة اليائسة للكلمة لكي تفلت من الكلمة ... إنّ علينا التخلّص من المقدّس في داخلنا لكي نعيد اللّه إلى نفسه ونصل أقصى حدود الاستمتاع بحرّيتنا كبشر» (٣١).

هكذا، يخلص البحث من خلال هذه الوقفة إلى أنّ ارتباط خطاب ما بعد الحداثة باليهودية أعقد من أن يستكنه كاملاً، يكفي أنّ هذه الوقفة قد أطلّت برأسها

حــول بعض مــا شــاء لهــا هذا الخطاب، في الوقت الحــالي، أن تطلّع عليــه في انتظار مــا ســيــســمح به مستقبلاً في قراءات أخرى. وحسبه هذه المصطلحات - أيضًــا - دليــلاً على بعض مــا بقي مــســتــوراً، وهي مصطلحات شاعت في كتابات دريدا، منها: التشتيت كرمز لتشتّت اليهود في العالم وغياب أرض تأويهم، الانتشار رمز الهجرة الأبدية للفرد اليهودي، الذي خرج من وطنه إلى غير رجعة، الاختلاف كرمز لتعدّد مفاهيم الفرد اليهودي، الذي يعني كلّ شيء ولا يعني أي شيء، هو من يعتقده النّاس كذلك، أو من يظنّ في قرارات نفسه أنّه كذلك (غياب الدلالة)، الهوّة كرمز لتحوّل الدلالة في كلّ قراءة وعدم ثبات المعنى، لأنّ اللّغة لا تعترف إلاّ بمنطقها الهروبي، لأنّها ذلك الشيء الذي لا شيء له والنوع الذي لا نوع له، أي اليــهــودي الذي لا تعريف له، والتّفسير الحاخامي الذي لا أصل له.

هكذا، ومن على شرفة ما أقرّه البحث، يمكن القول، إنّ النّبش الذي اتُّخذ منهج معاينة لاستكناه المسكوت عنه في مشروع الحداثة الغربية، وإن هو كشف وفضح ما يضمره هذا الخطاب، وما لم يشأ أن يجلو على السّطح، إلاّ أنّه يقرّ بصعوبة الحفر في التّربة الثقافية لهذا المشروع، لأنّ تعدّد مراكز الثقافة التي ينتمي إليها الفكر الحداثي، وتشعّب المرجعيات التي يتّكئ عليها، بين تراث فلسفي، وديني، يجعل من الصعوبة بمكان الوقوف عند كل معلم من معالم هذا الزّخم الفكري.

إنّ هذه النتائج التي تمّ استخلاصها، تعبّر صراحةً عن الأزمة التي يعانيها العقل الغربي. فهو عقل متمركز حول ذاته، لا يؤمن بغير يقينيته منهجًا في البحث والكشف، وهو ما أدّى بالمفكّرين الغربيين في القرن العشرين إلى البحث عن آليات لتقويض هذا العقل، بيدَ أنّهم في أثناء التقويض قتلوا معه الذّات الإنسانية، باعتبارها ذاتًا عارفة أو متعالية، فوقعوا في المحظور. ألا وهو سجن العدمية، الذي أحال الإنسان الأوربي إلى حياة الفوضى والضياع، ففقدَ هذا الإنسان الرغبة في الحياة، فكان الإسراف في المتع واستنفاذ أقصى ما يوجد في ذاته من ممكنات ملاذًا له، فكانت التجربة الباطنية (الشبقية) كنتيجة طبيعية.

ولعلّ ما يحسن بالباحث قوله، تأسيسًا على ما تقدّم، إذا كان هذا حال العقل الأوربي في مسيرته، وهو، كما تمّ استخلاصه، عقل متمركز حول نفسه، فأين الخطاب النّقدي العربي المعاصر من كلّ هذا؟ ألا يقع في فخ التناقض وهو يتعامل مع المشروعات النّقدية الغربية، ما دام أنّها مشروعات خرجت من عباءة الفكر الفلسفي الغربي؟ إذا كان ذلك كذلك، فهو خطاب مشرذم بين مرجعيات متعدّدة يناقض بعضها بعضًا، خطاب ضاع بين هالة الكشوفات التي وصل إليها الفكر الغربي، والإغراءات المتكرّرة لهذا الغرب/ الآخر له، لتبنّي مشروعاته النّقدية في إطار مبدأ المثاقفة، مع أنّها غدت مطابقة ومماثلة، إذ إنّه ارتمى في أحضان المشروعات النّقدية الغربية الأصل، باحثًا عن ذاته الضائعة، محاولاً مدّ الجسور بين أصوله في التّراث وأصول الغرب الذي ارتضاه قبلةً لمعتقده الجديد، وذلك بإيجاد ما يقابل النظريات الغربية في التّراث العربي، متناسيًا الفروق الجوهرية بين الحضارتين.

من المغــالطات التي حــجــبت الحــقــيــقــة عن البـاحـثين عن دلالة مـصطلح الحـداثة هذا المصطلح. هو عـزله عن الـسـيـاق الفكري الذي نشـأ فـيـه، وعـزله كظاهرة فكرية عـن الظروف الاجـتـمـاعـيـة التي لفظتـه

تلكم - إذاً - هي الأزمة، التي عصفت بالإنسان الأوربي نتيجة المشروع الحداثي، حاول الباحث التقرّب منها لقراءتها، وتقديمها بالوجه الذي ارتضاه لهذه القراءة، دون أن يكون في ذلك ادّعاء بامتلاك الإجابة الشّافية القارّة، التي تتسلّط بما تعتقده، فهي لا تعدو أن تكون فاتحة لمتعة القراءة، واللذّة التي لا يملك القارئ سلطة أمام رغباتها، المتجدّدة في كلّ حضور، الحاضرة في كلّ قراءة متجدّدة.. .

الهوامش والمراجع

١. مادة: Encyclopedia Universalis، Modernite، نقلاً عن: محمد برادة: اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة «فصول»، م٤، ع٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٢.

2- La Grande Encyclopedie Larousse . Bibliotheque, Larousse, Paris, 1975 , P 8068 .

٣. خالدة سعيد: الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، القاهرة، م٤، ع٣، ١٩٨٤، ص٢٧.

٤. فاضل ثامر: مدارات نقدية (في إشكالية النّقد والحداثة والإبداع)، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط١، ١٩٨٧، ص١٧٨.

٥. المصدر نفسه، ص١٧٦.

٦. فاضل ثامر: مدارات نقدية، ص١٨٠.

٧. محمد برادة: اعتبارات نقدية لتحديد مفهوم الحداثة، ص١٢.

٨. سعيد المتديّن: الحداثة وما بعد الحداثة (تثبيت الأصول أم كسر النّماذج)، مجلّة «فكر ونقد»، الرّباط، المغرب، س٣، ع٢٢، أكتوبر ١٩٩٩، ص٣٠.

٩. المصدر نفسه، ص٣١.

١٠. محمد سبيلا: التحوّلات الكبرى للحداثة (مساراتها الابستمولوجية ودلالاتها الفلسفية)، مجلّة «فكر ونقد»، الرّباط، المغرب، س١، ع٢، أكتوبر ١٩٩٧، ص٤٧.

١١. مالكم براديري، وجيمس ماكفارلن (محرران): الحداثة، ترجمة: مؤيد حسن فوزي، دار المأمون للتّرجمة والنّشر، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٦.

١٢. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١٣. المصدر نفسه، ص٨٩.

١٤. مالكم برادبري، وجيمس ماكفارلن: الحداثة، ص ص٩٠، ٩٢.

١٥. ميشال فوشو: تاريخ الأفكار والعقل المنعكس (قراءة في ماهية العقل الغربي)، تقديم وترجمة: محمد شوقي الزّين، مجلّة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي - بيروت/ باريس، ع١٠٢، ١٠٣، جانفي، فيفري ١٩٩٨، ص١٣٦.

16- Martin Heidegger, "Letter on Humanism", (1947) trans, Frank Capuzzi and J. Glenn Gray in Martin Heidegger, Basic Writings, ed. David Farrel Krell (New York : Harper & Row, 1977), p. 193.

نقلاً عن: د. عبد العزيز حمّودة: المرايا المحدّبة (من البنيوية إلى التّفكيك)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ذو الحجّة ١٤١٨ هـ - أبريل/ نيسان ١٩٩٨ م، ص١٥٣.

١٧. د. شكري محمد عيّاد: المذاهب الأدبية والنّقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ربيع أوّل ١٤١٤ هـ - سبتمبر/ أيلول ١٩٩٣ م، ص٤٥.

١٨. محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي: الحقيقة، دار توبقال للنّشر، المغرب، ط٢، ١٩٩٦، ص٦.

١٩. محمد سبيلا وعبد السّلام بنعبد العالي: الحداثة، دار توبقال للنّشر، المغرب، ط١، ١٩٩٦، ص٥.

٢٠. آلان تورين: نقد الحداثة، ترجمة: صيّاح الجهيم، ج١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨، ص٤٢.

٢١. علي حرب: الممنوع والممتنع (نقد الذّات المفكّرة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط٢، ١٩٩٨، ص٢٤٦.

٢٢. د. عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية (إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٦١.

٢٣- المصدر نفسه، الصفحات، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٢٤١، ٢٥٧.

٢٤. سعد البازغي: ما وراء المنهج، ضمن كتاب: إشكالية التحيّز (رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد)، سلسلة المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط٣، ١٩٩٨، ص١٩٨.

٢٥. المصدر نفسه، ص١٩٩.

٢٦. د. عبد الوهاب المسيري: اليهودية وما بعد الحداثة (رؤية معرفية)، مجلّة «إسلامية المعرفة»، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ع١٠، س٣، خريف ١٩٩٧، ص٩٧.

٢٧. المصدر نفسه، ص٩٨.

٢٨. د. عبد الوهاب المسيري، اليهودية وما بعد الحداثة، ص٩٥.

29- Gayatric C. Spivak, (tr) : Of Grammatology (Baltimore: The John Hopkins Univ. Press, 1976), pp. IX , P. 317. نقلاً عن: سعد البازغي: ما وراء المنهج، ص. ٢٠١

٣٠. د. عبد الوهاب المسيري: اليهودية وما بعد الحداثة، ص٩٦.

٣١. سعد البازغي: ما وراء المنهج، ص٢٠٢.



تحقيق

وادي القرى

تركي بن إبراهيم بن عبدالله القهيدان

القصيم ـ السعودية

وَادي القُرَى من بلاد ثمود، وكانت فيه عُيُون وَزُرُوع قال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِين. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ ﴾ الشعراء: ١٤٦ ـ ١٤٨. وحتى وقتنا الحالي يعدّ وَادي القُرَى من أهم المناطق الزراعية بمنطقة المدينة المنورة، وذلك لتوافر المياه، وخصوبة التربة. وهو من أهم الأودية في المملكة التي تتميز بظواهرها الجيومورفولوجية والسياحية. ويمتاز وَادي القُرَى أيضًا بموقعه الجغرافي، فهو يقع على خط التجارة القديم بين الشمال والجنوب، وكانت على ضفافه عدة محطات من محطات الطريق الشامي، ثم أصبحت محطات على خط سكة حديد الحجاز.

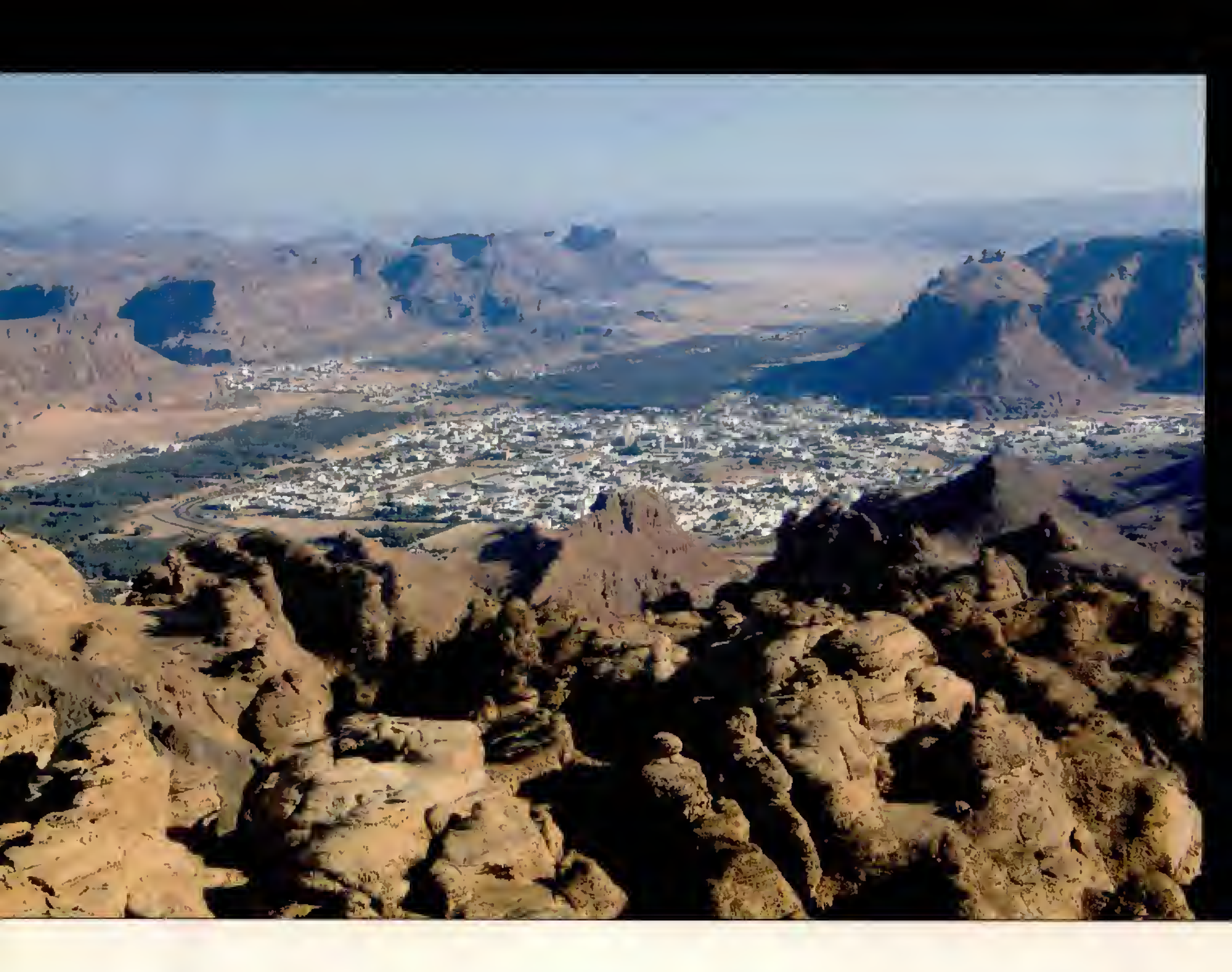
لذا يضم وَادي القُرَى آثاراً نادرة جعلت الباحثين يتقاطرون إليه بحثاً عن آثاره، وهو جدير بأن يبحث الباحثون في تاريخه، ويكتب عنه الكُتَّاب، وينقب المنقبون عن آثاره. فقد تميز باستيطان يمتد منذ العصور الحجرية القديمة إلى يومنا هذا، وهذا ما أكدته أعمال المسح الأثري التي تمت في المنطقة.

الموقع

يقع وَادي القُرَى شمال غرب المدينة المنورة، ويبعد عنها نحو ٢٩٣كم وجنوب غرب تيما على بعد ١٢٨كم تقريباً. وهو ينحدر من الشمال نحو الجنوب ماراً بمدينة العُلاَ. كما ترفده عدة روافد من الجهة الشرقية والغربية.

المنطقة في كتابات الجغرافيين والمؤرخين

حظيت منطقة العُلاَ باهتمام عدد من الجغرافيين المسلمين الأوائل والمؤرخين القدماء، فقد تناولت كتبهم جوانب مختلفة في المنطقة عن المعالم الجغرافية والتاريخية والآثارية. ويأتي في مقدمتهم ياقوت الحموي



الذي عني بالمعالم الجغرافية في الجزيرة العربية. كما حظي وَادِي القُرَى بنصيب وافر من المعلومات فذكر عنه: «بين وادي القرى والمدينة ست ليال قال الراجز:

جـــــاوزن رمـل أيـلـة الـدهـاسـا

وبطن حـسـمى بلدا هرمـاسـا

أي: واسعا، وأيلة قريبة من وادي القرى» (١)، كما حدد لنا المسافة من وادي القرى إلى تيماء حينما نقل لنا قول أبو عبيد الله السكوني: «من وادي القرى إلى تيماء أربع ليال» (٢). وسمّي وَادِي القُرَى بهذا الاسم: لأن الوادي فيه قرى منظومة من أوله إلى آخره، ويؤكد ذلك صاحب كتاب معجم البلدان فيقول: «وادي القرى واد بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها سمي وادي القرى. قال أبو المنذر: سمي وادي القرى: لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة، وكانت من أعمال البلاد وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد قال أبو عبيد الله السكوني وادي القرى والحجر والجناب منازل قضاعة، ثم جهينة، وعذرة، وبليّ، وهي بين الشام



حفريات وتلال أثرية في موقع المابيات

والمدينة يمر بها حاج الشام».

وكانت قديماً منازل ثمود وعاد. وبها أهلكهم الله، وآثارها إلى الآن باقية، ونزلها بعدهم اليهود. واستخرجوا كظائمها، وأساحوا عيونها، وغرسوا نخلها. فلما نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفا، وكان لهم فيها على اليهود طعمة وأكل في كل عام، ومنعوها لهم على العرب، ودفعوا عنها قبائل قضاعة وروي أن معاوية بن أبي سفيان مرّ بوادي القرى فتلا قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمنين. في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ ونَخْلٍ﴾. الشعراء: ١٤٦-١٤٨. ثم قال: هذه الآية نزلت في أهل هذه البلدة، وهي بلاد ثمود فأين العيون؟ فقال له رجل: صدق الله في قوله أتحب أن أستخرج العيون؟ قال: نعم. فاستخرج ثمانين عينا، فقال معاوية: الله أصدق من معاوية (٣).

أيضاً يؤكد ياقوت في موقع آخر أن الوادي كثير القرى بقوله: «هو واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القرى، والنسبة إليه وادي، وإليه نسب عمر الوادي» (٤).

ونقل لنا صاحب كتاب (سير أعلام النبلاء) كلام سلمان الفارسي بما نصه: «مر بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتي وبقراتي هذه؟ قالوا: نعم فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاؤوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل يهودي بوادي القرى. فوالله لقد رأيت النخل، وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي، وما حقت عندي حتى قدم رجل من بني قريظة وادي القرى، فابتاعني من صاحبي، فخرج بي حتى قدمنا المدينة» (٥).

وذكر صاحب كتاب (الوافي بالوفيات): «بعث زيد بن حارثة إلى وادي القرى فلقي هنالك قوماً من فزارة، فقاتلهم، فارتث زيد من بين القتلى وبعث زيدا أيضا إلى فزارة فقتل أم قرفة، وغيرها» (٦).

وفي السنة السابعة للهجرة فتح رسول الله صلى الله وَادِي القُرَى، فلما فرغ من خيبر أتى وَادِي القُرَى فدعا أهله إلى الإسلام فامتنعوا عليه وقاتلوه ففتحه عنوة، وغنم أموالهم، وأصاب المسلمون أثاثاً ومتاعاً فخمس

بعد مرحلة الرواسب الرباعية تعرضت المنطقة لبراكين نتج منها ظهور الحرة ذات الصخور السوداء. وهي عبارة عن مجموعة من الصخور البركانية منها: بازلت. ميكا. ألوفيني. ومن يسلك طريق الحرة يشاهد آثار تلك البراكين على جوانب الطريق



منظر جوي يوضح الظواهر الطبيعية في الطريق بين العلا والحرة ويلاحظ اختلاط حجارة الحرة السوداء مع الصخور الرسوبية الحمراء

رسول الله ذلك، وترك النخل والأرض في أيدي اليهود، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر. فقيل: إن عمر أجلى يهودها فيمن أجلى وقسمها بين من قاتل عليها. وقيل: إنه لم يجلهم؛ لأنها خارجة عن الحجاز (٧).

وعن عنتر العذري أنه استقطع رسول الله ﷺ أرضا بوادي القرى فأقطعها إياه، قال: رأيت رسول الله ﷺ حين غزا تبوكًا صلّى في مسجد وادي القرى (٨).

وأكد لنا صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» أن سكان المنطقة أصحاب كرم وبذل، حيث يقول: «ويسكن بين أيلة وتبوك إلى وادي القرى قبائل لخم وجذام وجهينة وبليّ، وبلادهم بلاد إبل وألبان وأسمان، وهم ينتجعون مراعي هذه الأرضين، ولهم كرم وبذل لما في أيديهم، وهم يسكنون بيوت الشعر وينتقلون من موضع إلى موضع لايقيمون بمكان. ولهم مصايف ومرابع يدورون عليها، وينتقلون إليها مع الدهر، وهم مترددون إليها» (٩).

وقد نسب إلى وَادِي القُرَى جماعة منهم يحيى بن أبي عبيدة الوادي، أصله من وادي القرى، واسمه يحيى بن رجاء بن مغيث مولى قريش، ثقة في الحديث، قال لنا أبو عروبة: كنيته أبو محمد، وقال: رأيته، وسمعت منه، ومات في سنة ٢٤٠هـ في جمادى الأولى، هكذا ذكره علي بن الحسين بن علي بن الحراني الحافظ في تاريخ الجزري وجمعه وعمر بن داود بن زاذان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه المعروف بعمر الوادي المغني، وكان مهندسا في أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ولما قتل هرب، وهو أستاذ حكم الوادي (١٠).

سمّي وَادِي القُرَى بهذا الاسم: لأن الوادي فيه قرى منظومة من أوله إلى آخره. ويؤكد ذلك صاحب كتاب معجم البلدان فيقول: "وادي القرى واد بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر. فيه قرى كثيرة، وبها سمي وادي القرى

جيولوجية وجيومورفولوجية وادي القرى

مما لا شك فيه أن الظواهر الجيومورفولوجية في منطقة وادي القرى قد تشكلت عبر أزمان جيولوجية مختلفة، فالمنطقة يظهر فيها طبقات تشكلت في بيئة ترسيب، وأخرى ناتجة من عوامل باطنية (البراكين)، وحركات أرضية (التواءات).

ويمكن لنا أن نقول: إن المنطقة مرت بالمراحل الآتية:

- مرحلة الترسيب:

في الطبقات السفلية للوادي تظهر صخور رسوبية،

نوعها كلسية ذات أحجار (رملية) Sandstones، كما تظهر سافات الترسيب، وهي عبارة عن شرائح رسوبية قليلة السمك، يمكن مشاهدتها بشكل واضح قرب مدافن الخريبة، وتشير قلة سماكة سافات الترسيب إلى أن الترسيب حدث ما بين كل شريحة وأخرى خلال فترة زمنية طويلة، قد تمتد إلى آلاف السنين، كما تؤكد أن المنطقة مرت بمرحلة ترسيب هادئة، وأن بيئة الترسيب قد تمت في فترة غمر كامل للمنطقة، بل من المحتمل أن تكون جزءًا من قاع بحر (تيشس) في الزمن القديم - أي البحر المتوسط في الوقت الحالي.

. مرحلة الرفع:

بعد مرحلة الترسيب يبدو أن المنطقة تعرضت لحركة رفع، وإن صدق حدسي فإنها مرتبطة بالدرع العربي، وما يحدث في البحر الأحمر من تزحزح للجزيرة، كما يمكن القول بأن حركة الرفع التي حدثت في عصر البليوسين ما زالت مستمرة حتى الآن (١١). وما زالت كتلة شبه الجزيرة العربية تتحرك نحو الشمال الشرقي، وتصطدم بالكتلة الإيرانية محدثة الزلازل في نواح من إيران، والبحر الأحمر مازال يتسع، وشبه الجزيرة العربية تبتعد عن إفريقية بمعدل سنتيمتر ونصف سنوياً، وهذه الحركة تسبب الزلازل على طول أخدود البحر الأحمر، وتكون أكثر وضوحاً في جزئه الجنوبي، وفي اليمن بالذات (١٢). ويبدو أن حركة الرفع نتج منها الآتي:

أ. ظهرت جبال وحافات والتواءات. والجبال الالتوائية جميعاً تتألف من صخور رسوبية تراكمت في مناطق البحار الداخلية، التي كانت تمتد بين المناطق الثابتة الصلبة من قشرة الأرض، ثم تعرضت هذه الرواسب لضغوط جانبية على أثرها التوت الطبقات الصخرية التي ترسبت فوق قاع هذه البحار (١٣). كما يجب علينا الأخذ في الحسبان أن الارتفاع لا يعني بالضرورة أنه قد نجم عن ضغوط جانبية، فقد يكون هذا الارتفاع بسبب حركة تقوس حديثة (١٤).

ب - من الملاحظ وجود جنوح بنائي في بعض أجزاء المنطقة باتجاه الشمال الشرقي، كما يشير انحدار الطبقات العلوية إلى أن السطح منحدر باتجاه الشرق. أيضاً يلاحظ على قناة الشح أنها تتكئ على الحافة الشرقية للوادي، خصوصاً بالقرب من مدينة العلا.. كل ذلك يوحي بأن الطبقات تميل باتجاه الشمال والشرق، وهو اتجاه ميلان الدرع العربي نفسه، ومن المعلوم أنه من جراء الحركات الالتوائية التي كونت جبال زاجروس - حدث للجهات التي غطتها الصخور الرسوبية بين المرتفعات الغربية لشبه الجزيرة وزاجروس - أن مالت هذه الطبقات تدريجياً نحو الشرق أي أن الصخور الرسوبية التي تكونت من أرساب البحار في العصور الجيولوجية المختلفة تنحدر من الغرب إلى الشرق (١٥).

ج - ظهرت شقوق كبيرة اتخذتها شبكة سيول وادي القرى مجاري لها، فكونت نهرًا عظيمًا في الزمن القديم ينحدر من الشمال نحو الجنوب، ويغذيه عدد من الروافد من جهتي الغرب والشرق - تظهر آثاره بشكل واضح، لاغبار عليه في الزمن الحالي، أما الشبكة الهيدرولوجية للوادي (قناة الشح، المسطبة، السهل اللحقي) (١٦) فهي معطلة عدا قناة الشح.

الظواهر الجيومورفولوجية في منطقة وادي القرى قد تشكلت عبر أزمان جيولوجية مختلفة. فالمنطقة يظهر فيها طبقات تشكلت في بيئة ترسيب، وأخرى ناجمة من عوامل باطنية (البراكين)، وحركات أرضية (التواءات)

ويمكن وصف أهم الظواهر الجيومورفولوجية على جانبي وادي القرى على النحو التالي:

- أثر الحت المائي، مع عدم نفي الحركات الأرضية.

- يظهر في الحافة الشرقية عدد من الفواصم، والفواصل، والشقوق.

- تشاهد التجوية النخروبية على جوانب الوادي، ويبدو أن أصل تشكيل الظاهرة في بيئة غمر للمياه، مع حركة رفع بطئة، نتج منها تجوية نخروبية ممتدة من أسفل الحافة حتى قمتها، ولا نغفل فعل الأمطار، والرياح، والتخلع والتفكك الصخري.

- في بعض المناطق يظهر التتابع الطبقي، وقد أثرت فيه عوامل التعرية، وذلك حسب نوعية الصخر؛ فإذا كانت الطبقة صلبة فإنها ستقاوم عوامل التعرية، بينما الطبقات الأقل صلابة - أو اللينة - فإنها ستكون أقل مقاومة لعوامل التعرية، وترجع صلابة الطبقة حسب التركيب الليثولوجي (١٧) والأستراتيقرافي (١٨) للصخر.

- تظهر بعض الكتل الصخرية السوداء على جوانب الوادي، السفلية وعلى بعض المناطق من سفح الجبل، وهي عبارة عن أحجار رملية اكتسبت اللون الأسود نتيجة تصاعد أكاسيد الحديد، وهي شبيهة كل الشبه بالصخور المنتشرة بمنطقة نجد. وقد تحدثت عنها في كتابي أرض القَصِيم، بما فيه الكفاية عند حديثي عن الصخور الرسوبية في الأسياح، فارجع إلى الكلام هناك إن شئت (١٩).

- مرحلة الرواسب الرباعية:

بعد مرحلة الرفع تعرضت المنطقة للرواسب الرباعية من رمال وأتربة.

مرحلة البراكين:

بعد مرحلة الرواسب الرباعية تعرضت المنطقة لبراكين نتج منها ظهور الحرة ذات الصخور السوداء، وهي عبارة عن مجموعة من الصخور البركانية منها: بازلت، ميكا، ألوفيني. ومن يسلك طريق الحرة يشاهد آثار تلك البراكين على جوانب الطريق، بصخورها السوداء أعلى الطبقات الأساسية ذات اللون الأحمر.

يقع وَادي القُرَى شمال غرب المدينة المنورة، ويبعد عنها نحو ٢٩٣كم وجنوب غرب تيما على بعد ١٢٨كم تقريباً. وهو ينحدر من الشمال نحو الجنوب ماراً بمدينة العُلاَ ـ كما ترفده عدة روافد من الجهة الشرقية والغربية

عاصمة وَادي القُرَى

اختلف المؤرخون وعلماء البلدان المتأخرون في تحقيق مكان المابيات، فالبعض منهم أكد أنها تعرف في الزمن القديم باسم (قُرْح) المدينة الثانية في الحجاز. أما بعضهم الآخر فيرى أنها تعرف باسم (الرُّحبَة)! الجدير بالذكر أن تلك الأسماء وردت في بعض المصادر التاريخية القديمة بأسماء مختلفة منها: قراح، الرحيبة، كما أطلقوا على مدينة (قُرْح) اسم وَادي القُرَى! وأما بعضهم الثالث من العلماء المتأخرين فقد ذكر أن هذا الموضع يعرف بأسماء منها: مدينة صالح، مدائن صالح، وادي العطاس، وادي الدّيدان، وَادي القُرَى.. بل إن الكُتَّاب الذين كتبوا في الزمن الحديث اختلفوا في تسمية الموقع في الوقت الحالي، فقد أطلقوا عليها أسماء منها: المابيات الإسلامي، المابيات (٢٠) الملبيات (٢١).

أما العلامة الجاسر - رحمه الله - فله بحث قال فيه باختصار: في جنوب مدينة العلا بنحو ٥٥ كيلاً آثار



منظر جوي لوادي القرى شمال مدينة العُلا، ويظهر موقع الخريبة يمين الصورة، كما يظهر أعلى الصورة جهة اليسار جانب من جبل عكمة، وفي أسفل الصورة جبل أم درج

عمران قديم.. يطلق على موضعها الآن.. (المابيات).. وهذا الاسم حادث، فقد كان الموضع في القرن السابع الهجري وما قرب منه يعرف باسم مدينة صالح، ثم مدائن صالح. وله قبل ذلك اسم آخر أرجّح أنه (الرّحبة).. فنسي اسم (الرّحبة)، واسم مدينة صالح - أو مدائن صالح - وعرف باسم وادي (العطاس) على ما جاء في رحلة ابن بطوطة (في القرن الثامن).. مع أن الوادي كان معروفاً باسم وادي الدّيدان (٢٢).

وأما بكر فقد أورد لنا كلاماً يبدو أنه نقل عن الشيخ الجاسر قال فيه: ولقد درست الرحبة، وعرف موقعها باسم مدينة صالح، وباسم وادي ديدان كذلك، ويعرف الموضع أحيانا (بالملبيات) (٢٣).

والسؤال هنا: هل مدينة (قُرح) هي ذاتها (الرُّحبَة)؟ أم أنهما اسمان لمكانين مختلفين؟ أقول: من خلال رجوعي إلى بعض المصادر التاريخية القديمة والحديثة،

حظيت منطقة العُلاَ باهتمام عدد من الجغرافيين المسلمين الأوائل والمؤرخين القدماء، فقد تناولت كتبهم جوانب مختلفة في المنطقة عن المعالم الجغرافية والتاريخية والأثارية. ويأتي في مقدمتهم ياقوت الحموي

تبين لي أن هناك لبساً قد حدث؛ واللافت للانتباه أن هناك اختلافاً في تحديد موقع المابيات، فالجاسر حدد المكان بأنه: (جنوب مدينة العلا بنحو ٥٥كيلاً) (٢٤). أما البَلاَدي فقد حدد المابيّات في مُعْجَمه حين قال: «أثار مبانٍ ومزارع مهجورة، تقع جنوب العلا على قربة خمسين كيلاً، كانت مأهولة فغارت عليها قبيلة عنزة، ففتكت بأهلها، فهجروها إلى العلا قبل ما يقرب من مئة سنة» (٢٥). بينما في حولية الآثار حدد موقع المابيّات بما نصه: «جنوب غرب مدينة العلا الحالية بنحو ٢٠ كيلو متراً» (٢٦). وأما د. نصيف فقد حدد المكان بأنه: «يقع على بعد ١٨ كيلاً تقريباً جنوب العلا» (٢٧).

أيضاً تبين لي من خلال رجوعي إلى بعض المصادر التاريخية القديمة أن هناك لبساً قد حدث بين موقعي (قُرْح) و (الرُّحبَة). فالنصوص القديمة تفيدنا أن (قُرْح) مكان. أما (الرُّحبَة) فهي مكان آخر. وقد أكد ياقوت أن (الرُّحبَة) قريبة من وَادِي القُرَى بقوله: «الرُّحبة ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القُرَى، عن نضر، وقال لي الصاحب الأكرم - أحسن الله رعايته - :في طرف اللجاة من أعمال صلخد قرية يقال لها الرحبة» (٢٨).

قلت: يقصد بوَادِي القُرَى أي مدينة (قُرْح)؛ لأنها سوق وَادِي القُرَى وقصبتها، وبذلك يكون قصده أن الرُّحبَةَ قريبة من قُرْحٍ. وفيما يأتي سأورد بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

في الحديث ذكر قُرْح، بضم القاف وسكون الراء، وقد يحرك في الشعر، سوق وادي القرى صلى به رسول الله ﷺ، وبني به مسجداً، وأما قول الشاعر:

حُبِسْنَ في قُرْحَ وَفي دَاراتِها
سَبْعَ لَيالٍ غَيرَ مَعْلُوفاتِها

فهو اسم وادي القرى (٢٩).

قال البكري: «قراح مدينة وادي القرى» (٣٠)، ويضيف في موقع آخر: «قُرْح، بضم أوله وإسكان ثانيه، بعده حاء مهملة أيضًا: موضع، قال ابن مقبل:

كنخلٍ بأعلى قرح حيط فلم يزل
له مانع حتى أنى فتمتعا

وقال الشاعر الأموي الأحوص:

عفا السَّفحُ فالرَّيَّانُ منْ أمِّ معمرٍ
فأكناف قرحٍ فالجمانانِ فالغمرُ» (٣١).

وقال السدي: «قرح سوق وادي القرى وقصبتها، وأنشد لبعض بني أسد من اللصوص:

تتابعنَ في الأقران حَتَّى حَبَسْتُها
بقُرْح، وقد أَلْقَيْنَ كُلَّ جَنينِ
لقد علمت ذود الكلابي أنني
لهن بأجواز الفلاة مهين



منظر جوي لوادي القرى ويظهر يمين الصورة جانب من بلدة العلا القديمة وفي وسط الصورة جانب من مدينة العلا الحديثة

تتابعن في الأقران حتى حبستها
بقرح وقد ألقين كل جنين
ولما رأيت التجر قد عصبوا بها
مساومة خفت بهن يميني
فرأيت منها عنسة ذات جلة
كسر أبي الجارود وهو بطين» (٣٢).

كما ذكر المقدسي مدينة (قُرْح) في القرن الرابع الهجري بأنها «المدينة الثانية في الحجاز بعد مكة المكرمة».

وأورد لنا صاحب كتاب معجم البلدان معلومات تفيد أن دَارَة قُرْح بوادي القرى. أما قرح فهو وادٍ قرب وَادِي القُرَى؛ وذلك بقوله: «دَارَةُ قُرْح: بوادي القرى؛ وأنشد أبو عمرو:

حُبِسْنَ، في قرح وفي داراتها،
سبع ليالٍ غير معلوماتها

وقرح: هو الوادي الذي هلك فيه قوم عاد قرب وادي القرى (٣٣). ويقول ياقوت في موقع آخر» قُرْحٌ، بالضم ثم السكون، والقَرْح والقُرح لغتان في عضّ السلاح ونحوه مما يجرح الجسد، وهو سوق وادي القرى» (٣٤).

أيضاً ذكر البَلاَدي وادي قُرْح في معجمه بقوله: «قُرْح: وادٍ يبدأ من وادي القرى إلى نهاية الحِجْر من ديار ثمود» (٣٥).

وهنا يتبادر لنا تساؤل آخر، وهو: إذا كانت (قُرْح) مكاناً و(الرُّحبَة) مكاناً آخر فأيهما موقع المابيات؟ لقد أفادنا الجغرافيون العرب في الفترة الإسلامية المبكرة بأن (الرُّحبَة) منزل، وَوادِي القُرَى منزل آخر، وبذلك يكون بينهما مسافة منزلة، وقد أكد ذلك الإدريسي عندما وصف الطريق من مصر إلى مدينة يثرب، حيث يقول: ثم إلى شعب، ثم إلى البيضاء ثم إلى وادي القرى، ثم إلى الرحيبة، ثم إلى ذي المروة (٣٦). أقول: مازال في الأمر لبس فالمابيات يحتمل أن تكون (قُرْح) كما يحتمل أن تكون (الرُّحبَة) بحكم قربهما من بعض؛ لكن ابن قتيبة (ت٢٧٦) قدم لنا معلومات قيمة في كتابه (المعارف) عندما حدد لنا المسافة بين (الحِجْر) وبين (قُرْح) بثمانية عشر ميلاً بقوله: «إن الله بعث صالحا إلى قومه حين راهق الحلم وكان رجلا أحمر إلى البياض، سبط الشعر، وكان يمشي حافيًا. ولا يتخذ حذاء كما يمشي المسيح، ولا يتخذ مسكنا ولا بيتا، ولا يزال مع ناقة ربه حيث توجهت وهو صالح بن عبيد بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانت منازل قومه بالحجر، وبين الحجر وقرح ثمانية عشر ميلاً، وقرح هي وادي القرى» (٣٧).

كذلك نقل لنا صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» معلومات مفيدة عن (الحِجْر) حينما وصف الطريق من دمشق إلى مدينة يثرب بقوله: «ثم إلى الحنيفية، ثم إلى الحجر مرحلة. وهو حصن منيع بين جبال في ديار ثمود، ومنه إلى وادي (-) وهي مدينة صغيرة جدًا على نهر صغير، ومنه إلى الرحبة» (٣٨). وهذا يعني أن الرحبة على بعد مرحلتين من (الحِجْر)، وهي تعادل في وقتنا الحاضر مسافة ٨٠كم تقريباً.

وإذا أفادنا الإدريسي أن (الرُّحبَة) منزل، وَوادِي القُرَى (قُرْح) منزل آخر، وإذا كانت المسافة على واقع الأرض ما بين (الحِجْر) و(المابيات) نحو ٤٠كم، وهي تعادل مسافة منزلة، وإذا كانت المسافة بين (الحِجْر) و(قُرْح) ثمانية

اختلف المؤرخون وعلماء البلدان المتأخرون في تحقيق مكان المابيات. فالبعض منهم أكد أنها تعرف في الزمن القديم باسم (قُرْح) المدينة الثانية في الحجاز. أما بعضهم الآخر فيرى أنها تعرف باسم (الرُّحبَة)

عشر ميلاً - كما حددها لنا ابن قتيبة، وهي تعادل ٤٠كم تقريباً. فمما سبق يتبين لنا جلياً أن مكان (المابيات) في الزمن الحالي ما هو إلاَّ مكان مدينة (قُرْح) في الزمن القديم، وليس لديَّ أدنى شك في ذلكَ.

وادي القُرَى في عيون الشعراء

كان النعمان ملك الشام يريد غزو وَادِي القُرَى، فحذره الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني بقوله:

لقد قلتُ للنّعمانِ، يوْمَ لَقيتُهُ
يُريدُ بني حُنٍّ، ببُرقَةِ صادرِ

تجنبْ بني حُنٍّ، فإنّ لقاءهمْ
كريهٌ، وإنْ لم تَلقَ إلاّ بصابرِ

عظامُ اللُّهى، أوْلادُ عُذْرَة إنّهُمْ
لهاميمُ، يستلهونها بالحناجرِ

وهمْ منعوا وَادِي القُرَى من عدوهم
بجمعٍ مبيرٍ للعدوّ المكاثرِ

منَ الوارداتِ الماءَ بالقاعِ تستقي
بأعجازها، قبلَ استقاءِ الخناجرِ

بُزاخِيّةٌ ألْوَتْ بليفٍ، كأنّهُ
عفاءُ قلاصٍ، طارَ عنها، تواجرُ

صغارِ النوى مكنوزة ليسَ قشرها
إذا طارَ قِشرُ التّمرِ، عنها بطائرِ

هُمُ طَرَدوا عَنها بَلِيّاً، فأصبَحتْ
بَلِيٌّ بوادٍ، من تِهامةَ، غائرِ

و هم منعوها من قضاعة كلها،
ومن مضرَ الحمراءِ، عند التغاورِ

و هم قتلوا الطائيَّ بالحِجْرِ. عنوةً،
أبا جابرٍ، واستنكَحوا أُمَّ جابرِ

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر في سنة سبع من الهجرة امتد إلى وَادِي القُرَى فغزاه، ونزل به، وقال الشاعر:

ألاَ ليتَ شِعْري هل أبيتَنّ ليلة
بوَادِي القُرَى إني إذاً لسعيدُ

وهل أرين يوماً به وهي أيّم
وما رث من حبل الوصال جديد (٣٩).

وقال جميل بثينة:

ألاَ لَيْتَ شِعْري هَل أَبيتنَّ ليْلة
بوَادِي القُرَى؟إنّي إذاً لَسَعيدُ!

وهلْ ألْقَيَنْ سُعْدَى من الدَّهْرِ مَرَّةً
وما مَرَّ من عَصْرِ الشبابِ جَديدُ؟ (٤٠)

ويقول الذبياني:

وهم ضرَبوا أنفَ الفَزاريِّ، بعدما
أتاهم بمَعقُودٍ من الأمرِ، قاهرِ

أتطمعُ في وَادِي القُرَى وجنابه،
وقد منعوا منهُ جميعَ المعاشرِ؟

وقال القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن أبي الحصين المعزي:

إذا غِبْتَ عن ناظري لم يَكد
يمرُّ به وأبيكَ الكرى

فيؤلمني أنني لا أراك
إذا ما طلبتُك فيمن أرى

لقد كذَبَ النوم فيما استقل
بشخصك في مقلتي وافترى

جميل بثينة أبو عمرو الشاعر المشهور صاحب بثينة. أحد عشاق العرب. عشقها وهو غلام. فلما كبر خطبها. فرد عنها. فقال الشعر فيها. وكان يأتيها سرا ومنزلهما وادي القرى



رسوم لأشكال حيوانية، وكتابات لحيانية على سفح جبل عكمة، كتبت بطريقتي النقش والحز

وكـــيف وداري بأرض الشــآم

ودارك أرض بـوَادِي القُــــرَى

وبعــد فلي أمل في اللقــاء

لأني وإياك فــوق الثـــرى (٤١)

ويقول أحدهم:

والخلف في بني النضـير ذكــرا

فــتح حنين غــاية وَادِي القُــرَى (٤٢).

قصة الشاعر الأموي جميل بثينة

جميل بثينة أبو عمرو الشاعر المشهور صاحب بثينة، أحد عشاق العرب، عشقها وهو غلام، فلما كبر خطبها، فرد عنها، فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سرا ومنزلهما وادي القرى (٤٣).

وقال الزبير الساعدي: «بينما أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي، فقال: هل لك في جميل، فإنه يعتل، نعوده، فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه، فنظر إلي، وقال: يا ابن سهل، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط، ولم يزن، ولم يقتل النفس، ولم يسرق، يشهد أن لا إله إلا الله؟ قلت: أظنه قد نجا، وأرجو له الجنة، فمن هذا الرجل؟ قال: أنا، قلت له: والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ببثينة، قال: لا نالتني شفاعة محمد، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت



نقش على سفح جبل عكمة، كتب بطريقة الخط البارز، وهو مكون من أربعة أسطر تفصل بينها خطوط أفقية بارزة

وضعت يدي عليها لريبة، فما برحنا حتى مات» (٤٤).

وذكر في الأغاني عن الأصمعي قال: «حدثني رجل شهد جميلاً لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال. له: هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئًا أعهده إليك؟ قال: فقلت: اللهم نعم، فقال: إذا أنا مت فخذ حلتي هذه، واعزلها جانبًا وكل شيء سواها لك، وارحل إلى رهط بثينة. فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه، واركبها، ثم البس حلتي هذه، واشققها، ثم اعلُ على شرف، وصح بهذه الأبيات:

صدعَ النعيُّ، وما كنى بجميلٍ،
وثوى بمصرَ ثواءَ غيرِ قفولِ
ولقد أجرُّ الذيلَ في وادي القُرى،
نشوانَ، بينَ مزارعٍ ونخيلِ
بكرَ النعيُّ بفارسٍ ذي همةٍ،
بطلك، إذا حُمّ اللّقاءُ، مُذيلِ
قُومي، بثينة، فاندُبي بعويلِ،
وابكي خليلكِ دونَ كلّ خليلِ

قال: ففعلت ما أمرني به جميل، فما استتممت الأبيات حتى برزت بثينة كأنها بدر قد بدا في دجنة، وهي تتثنى في مرطها، حتى أتتني، وقالت: يا هذا، والله إن كنت صادقا لقد قتلتني، وإن كنت كاذبا لقد فضحتني. قلت: والله ما أنا إلا صادق، وأخرجت حلته فلما رأتها

صاحت بأعلى صوتها، وصكت وجهها، واجتمع نساء الحي يبكين معها، ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيًا عليها ساعة، ثم قامت وهي تقول» (٤٥):

وإنّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعة
من الدَّهرِ ما حانتْ ولا حان حِينُها

سواءٌ علينا يا جميلَ بن مَعْمَرٍ
إذا مُتَّ بأساءُ الحياة ولِينُها (٤٦).

وديوان شعر جميل مشهور فلا حاجة ولافائدة في ذكر كل شعره وتكراره.



درهم ساساني من الفضة

قرى من قرى وَادِي القُرَى

أورد المؤرخون والجغرافيون عدة قرى في وَادِي القُرَى منها:

- سقيا الجزل: قال محمد بن حبيب: سقي موضع من بلاد عذرة، يقال له: سقيا الجزل، بالجيم والزاي المعجمة، وهي قرية من قرى وادي القرى (٤٧).

- المُرَيْسِيع: بضم أوله وفتح ثانيه، بعده ياء ساكنة وسين مكسورة مهملة، بعدها ياء أخرى وعين مهملة، على لفظ التصغير: قرية من وادي القرى كان الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير نازلاً في ضيعته بالمريسيع، مقيمًا في مسجدها لا يخرج منه إلا إلى وضوء، فكان دهره كالمعتكف (٤٨).

أماكن قريبة من وَادِي القُرَى

وصف لنا البلدانيون عدة أماكن قريبة من وَادِي القُرَى، منها:

- سَيْبان: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم باء موحدة وآخره نون السيب مجرى الماء، وجبل من وراء وادي القرى، يقال له: سيبان (٤٩).

- عِرْنان: بكسر أوله وإسكان ثانيه، بعده نونان على وزن فِعْلان: جبل بالجناب دون وادي القرى (٥٠).

- مياسر: قال ابن حبيب: مياسر بين الرحبة والسقيا من بلاد عذرة، يقال لها: سقيا الجزل، وهي قريب من وادي القرى (٥١).

هل (الحِجْر) في وَادِي القُرَى؟ (٥٢)

حدّد بعض المؤرخين والجغرافيين القدامى والمتأخرين موقع (الحِجْر) في وَادِي القُرَى، أما بعضهم الآخر فقد أكدوا لنا في مؤلفاتهم أن وَادِي القُرَى مكان و(الحِجْر) مكان آخر. وسأورد هنا بعضاً مما قاله البلدانيون حول تحديد المكان:

- (الحِجْرُ) في وَادِي القُرَى

عَدَّ ياقوت الحموي (الحِجْر) من وَادِي القُرَى حين قال: «الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة

والشام» (٥٣). وقال الحميري: الحجر بلد ثمود بين الشام والحجاز، وقيل: هو من وادي القرى (٥٤). كذلك تحدث البَلاَدي عن بلاد الحِجْر في معجمه، فقال عنه: يعرف بمدائن صالح ذات الآبار العجيبة.. وهو رأس وادي القرى المعروف اليوم باسم وادي العلا (٥٥). كما ورد في هامش كتاب المغَانِم المُطَابة في مَعَالِم طَابَة، للفَيْروزَابادي - الذي حققه الشيخ الجاسر مانصه: «المفهوم من كلام المتقدمين أن وادي القرى هو العُلا، والحجر وما بقربهما» (٥٦).

- (الحِجْرُ) ليست من وَادِي القُرَى

قلت: وَادِي القُرَى فيه قرى كثيرة وبها سمي وَادِي القُرَى، بينما (الحِجْر) مدينة، كما جاء في القرآن: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾ النمل: ٤٨. ومع ذلك فقد تكون التسمية بوَادِي القُرَى بعد اندثار المدينة، فكم من مدينة اندثرت، وظهرت في مكانها قرية؟ وكم من قرية تحولت إلى مدينة؟ وربما كانت التسمية بوَادِي القُرَى قبل ظهور نجم مدينة (قُرْح). لذا فالحكم على ما ذكرتُ آنفاً يحتاج إلى دراسات، لكن بعد رجوعي لبعض المراجع والمصادر تبين لي أن المقصود بوَادِي القُرَى هي (قُرْح)، وهذا أيضاً لا يتنافى مع قولنا: إن المقصود به الوادي من أوله إلى آخره، فحتى في وقتنا الحالي يطلق بعض الناس على منطقة الرياض ويقصدون بذلك المدينة بعينها. بينما الصواب في نظري أن مدينة الرياض تختلف عن منطقة الرياض التي تمتد مئات الكيلو مترات حسب التقسيم الإداري. كما تبين لي أن (الحِجْر) ليست من وَادِي القُرَى. بل يكاد يجمع البلدانيون على ذلك. فقد أكد لنا صاحب كتاب معجم البلدان أن (الحِجْر) ليست من وَادِي القُرَى حين نقل لنا قول الإصطخري: «الحجر قرية صغيرة قليلة السكان، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها منازل ثمود» (٥٧).

وقال صاحب كتاب لسان العرب: «الحِجْرُ: ديارُ ثَمُودَ ناحية الشام عند وادي القُرَى، وهم قوم صالح النبي صالح» (٥٨).

أما ابن خلدون فقد أشار إلى أن الحِجْرَ مكان ووَادِي القُرَى مكان آخر حين قال: وأما ثمود.. فكانت ديارهم بالحجر، ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام (٥٩).

كذلك يفرق أبو عبدالله السكوني بين وَادِي القُرَى وبين (الحِجْر) بقوله: وادي القرى والحجر والجناب منازل قضاعة (٦٠).

وذكر الإدريسي (الحِجْر) حينما وصف الطريق من دمشق إلى مدينة يثرب بقوله: «ثم إلى الحنيفية، ثم إلى الحجر مرحلة، وهو حصن منيع بين جبال في ديار ثمود ومنه إلى وادي (-)، وهي مدينة صغيرة جداً على نهر صغير، ومنه إلى الرحبة، ثم إلى ذي المروة، ثم إلى المر. ثم إلى السويدة، ثم إلى ذي خشب، ثم إلى المدينة يثرب» (٦١). كما حدد الإدريسي المسافة بين وَادِي القُرَى وموقع

تفاصيل الكسر الزجاجية عن قرب



(الحِجْر) في موقع آخر حين قال: «الحجر من وادي القرى على مرحلة، وهو حصن نظيف الحال بين الجبال، وبها كانت ديار ثمود، وبها بيوت منقورة في الصخر، وأهل الحجر وتلك النواحي يسمونها الأثالب، وهي جبال في ذاتها متصلة في العيان حتى إذا توسط المار بها كانت كل قطعة منها قائمة بذاتها يطاف بكل واحدة منها من غير أن يمازج بعضها بعضًا، أو يختلط بعضها ببعض، وبها الآن بئر ثمود ويحيط بالحجر من كل ناحية جبال ورمال، لا يكاد أحد يرتقي إلى ذراها إلا بعد جهد ومشقة، ومن الحجر إلى تيماء أربع مراحل» (٦٢).

ويبدو أن ياقوتاً (توفي سنة ٦٢٦ هـ) نقل لنا المعلومات نفسها التي أوردها لنا الإدريسي (٥٤٩هـ) حين نقل قول الإصطرخي: «الحجر قرية صغيرة قليلة السكان، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت منازل ثمود قال الله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ الشعراء: ١٤٩. قال ورأيتها بيوتا مثل بيوتنا في أضعاف جبال، وتسمى تلك الجبال الأثالث، وهي جبال إذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة، فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها، يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لا تكاد ترتقى كل قطعة منها قائمة بنفسها، لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة، وبها بئر ثمود» (٦٣).

أما ابن كثير فقد أكد في تفسيره أن (الحِجْر) ليست من وَادِي القُرَى حينما قال: «هذا إخبار من الله عن عبده ورسوله صالح أنه بعثه إلى قومه ثمود، وكانوا عربًا يسكنون مدينة الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام» (٦٤).

كما بيّن الرازي أن (الحِجْر) ليست من وَادِي القُرَى بقوله: «الحجر أيضًا منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى» (٦٥). كذلك ذكر الطبري: «وكانوا يسكنون الحجر إلى وادي القرى بين الحجاز والشام» (٦٦). وقال صاحب كتاب مختار الصحاح: «الحجر أيضا منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى. ومنه قوله تعالى: (كذّب أصحابُ الحِجْر المرسلين) الحجر: ٨٠ (٦٧). أما الفَيْروزَابادي فقد أكد أن (الحِجْر) ليست من وَادِي القُرَى حين قال عن الحِجْر: «قرية على يوم من وادي القرى بين جبال، وبها كانت منازل ثمود بيوتها في أضعاف جبال تسمى الأثالث» (٦٨).

وأوْرد ياقوت في معجمه: «الأثالث بلفظ الجمع: جبال في ديار ثمود بالحجر قرب وادي القرى، فيها نزل قوله تعالى: (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) الشعراء: ١٤٩. وهي جبال يراها الناظر من بعد فيظنها قطعة واحدة فإذا توسطها وجدها متفرقة يطوف بكل واحد منها الطائف (٦٩).

التعليق: قوله في هذا المجلد (بالحجر قرب وادي القرى) يتناقض مع قوله في المجلد الأول: ص:٨٩: (الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى) (٧٠).

ويُفَرِّق البَلاَدي بين وَادِي القُرَى ووَادِي الحِجْر في كتابه «مُعْجَم مَعَالِم الحِجَاز» عندما وصف مَدَائِن صَالح بأن: «واديها الحِجْر المذكور في القرآن، يصب في وادي القرى من الشمال» (٧١).

أما البكري فقد أكد في كتابه «معجم ما استعجم»

تبين لي من خلال رجوعي إلى بعض المصادر التاريخية القديمة أن هناك لبساً قد حدث بين موقعي (قُرْح) و (الرُّحبَة). فالنصوص القديمة تفيدنا أن (قُرْح) مكان. أما (الرُّحبَة) فهي مكان آخر. وقد أكد ياقوت أن (الرُّحبَة) قريبة من وَادِي القُرَى

أن (الحِجْر) ليست من وَادي القُرَى حين قال: «ولتيماء طريق آخر تخرج من المدينة فتأخذ على البيضاء، ثم تأخذ في بطن إضم، وهي لبني دهمان من أشجع، ثم تنزل غشى، وهي لعذرة. ثم تنزل مطرائين، وهي لليلى بنت عمرو بن الحاف بن قضاعة، ثم تنزل وادي القرى، ثم الحجر، ثم تسير إلى تيماء في فلاة ثلاثا» (٧٢).

المراجع

١. معجم البلدان، ج:٢ ص ٢٥٨.
٢. معجم البلدان، ج:٤ ص٢٣٥..
٣. معجم البلدان، ج:٤ ص٢٣٨.
٤. معجم البلدان، ج:٥ ص٣٤٥.
٥. سير أعلام النبلاء، ج:١ ص:٥٠٩
٦. الوافي بالوفيات، ج:١ ص:٧٥.
٧. الفَيْروزَآبادي، المغَانم المُطَابة في مَعَالم طَابَة، ص٤٢٢.
٨. معجم الصحابة، ج:٢ ص٢٨٤.
٩. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج:١ ص: ٣٥٢ - ٣٥٣
١٠. معجم البلدان، ج:٥ ص٣٤٥.
١١. متولي - حوض الخليج العربي، ص ٩٨ ولمزيد من التفصيل انظر: القهيدان، أرض القَصيْم، ص١٨.
١٢. الوليعي، الشماسية، ص٢٩.
١٣. متولي - حوض الخليج العربي، ص١٠٩.
١٤. متولي - حوض الخليج العربي ص١١١.
١٥. أبو العلا - جغرافية شبه جزيرة العرب، ص٢٢.
١٦. أي الفيضي.
١٧. خصائص الصخر.
١٨. تناوب الصخر.
١٩. القهيدان، أرض القَصيْم، ص٤٨٢.
٢٠. أطلال العدد ١٠، ص٧١.
٢١. بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحج، ص٢٠٤.
٢٢. باختصار، ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص١٦٧ - ١٦٨.
٢٣. بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحج، ص٢٠٤.
٢٤. ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص١٦٧ - ١٦٨.
٢٥. البِلَادِيّ، مُعْجَم مَعَالم الحجَاز، ج٨، ص٨.
٢٦. أطلال، العدد ٩، ص١١٢.
٢٧. نصيف، العلا والحجر (مدائن صالح)، ص٢٥.
٢٨. معجم البلدان، ج:٣ ص٣٣.
٢٩. لسان العرب، ج٢ ص٥٦٢.
٣٠. معجم ما استعجم، ج:٣ ص١٠٥٦.
٣١. معجم ما استعجم، ج:٣ ص ١٠٦١ - ١٠٦٢.
٣٢. معجم البلدان، ج:٤ ص٣٢١.
٣٣. معجم البلدان، ج:٢ ص٤٢٩.
٣٤. معجم البلدان، ج:٤ ص:٣٢٠ - ٣٢١.
٣٥. البِلَادِيّ، مُعْجَم مَعَالم الحجَاز، ج٧، ص١١١.
٣٦. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج:١ ص٣٤٥.
٣٧. المعارف، ج:١ ص٢٩.
٣٨. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج:١ ص٣٧٦.
٣٩. معجم البلدان، ج:٤ ص٣٣٩.
٤٠. طبقات فحول الشعراء، الدال، ٦٧١/٢.
٤١. الوافي بالوفيات، الألف، ١٨/١٥.
٤٢. النور السافر، ج:١ ص٢٥١.
٤٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج:١ ص٣٦٦.
٤٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج:١ ص٣٧٠.
٤٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج:١ ص٣٧٠ - ٣٧١.
٤٦. الأغاني الألف، ١٦٣/٨.
٤٧. معجم ما استعجم، ج٣/ ص٧٤٣.
٤٨. معجم ما استعجم، ج:٤ ص١٢٢٠.
٤٩. معجم البلدان،ج:٣ ص٢٩٣.
٥٠. معجم ما استعجم، ج:٣ ص٢٩٣.
٥١. معجم البلدان، ج:٥ ص٢٣٥.
٥٢. سبق أن نشرتُ هذا الموضوع في حلقة خاصة في صحيفة الرياض، بعددها ١٣٣٦٧ وتاريخ ١٧ من ذي الحجة ١٤٢٥هـ (١٨ من ذي الحجة حسب الرؤية) - ٢٨ يناير ٢٠٠٥م تحت عنوان: «(الحِجْر) ليست من وادي القرى».
٥٣. الحموي، معجم البلدان.، ج ٢ص٢٢١.
٥٤. ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص١٦٧.
٥٥. ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص١٧١.
٥٦. الفَيْروزَآبادي، المغَانم المُطَابة في مَعَالم طَابَة، ص٤٢٣.
٥٧. الحموي، معجم البلدان، ج ٢ص٢٢١.
٥٨. ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، ص١٦٥.
٥٩. تاريخ ابن خلدون، ج:٢ ص٢٤.
٦٠. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٠.
٦١. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج:١ ص٣٧٦.
٦٢. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج:١ ص٣٥١.
٦٣. معجم البلدان، ج:٢ ص٢٢١.
٦٤. تفسير ابن كثير، ج:٢، ص٦٥٥.
٦٥. مختار الصحاح، ج:١ ص٥٢.
٦٦. تاريخ الطبري، ج:١ ص١٣٩.
٦٧. مختار الصحاح، ج:١ ص٥٢.
٦٨. الفَيْروزَآبادي، المغَانم المُطَابة في مَعَالم طَابَة، ص١٠٦.
٦٩. معجم البلدان، ج:١ ص٨٩.
٧٠. الحموي، معجم البلدان، ج ٢ص٢٢١.
٧١. البِلَادِيّ، مُعْجَم مَعَالم الحجَاز، ج٨، ص٥٧.
٧٢. معجم ما استعجم، ج:١ ص٣٢٩ - ٣٣٠.





العولمة والثقافة بين الاحتواء والرفض

يوسف عز الدين

ويلز ـ بريطانيا

سيطرت كلمة عولمة Globalization بسرعة كبيرة على وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة وكُتب فيها عدد كبير من المقالات والكتب يصعب حصرها لكثرتها وتنوع نشرها، وساعد على ذلك قوة التقنية الحديثة ودعمها المتسارع. ساندت نتائجها قوة لا قدرة للعالم الحديث الاستغناء عنها، لأن هذه التقنية دخلت الحياة العامة الفكرية والاجتماعية والعلمية ولا يمكن أن تسير الحياة من دونها سواء في الجامعات أو المدارس أو البيوت ..

وجعلت العالم سوقًا للاستهلاك لإنتاجها الوفير وتطورها المتسارع. وقد اختلف الكتّاب في العولمة لتعدد الدوافع والأهداف، فمن قائل إن السيد المسيح أول إنسان عولمي. وقال الشيوعيون إنهم أول من نادى بالعولمة في آراء ماركس وأنجلز وتطبيق لينين. أما كتّاب التيار الإسلامي فيقولون إن العولمة قائمة على (الاقتصاد والأمن) وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾، وقد رفعت الحضارة الإسلامية مستوى الإنسانية كلّها ولم تفرق بين اللون والجنس والأصل، وحصرتها بالعناية بالأمن والاقتصاد وسبقت الفكرة الإسلامية قول الباحث اشبلنجر الذي قال: «أهم دعائم الحضارة الاقتصاد». ويرى الباحث الدكتور إبراهيم الداقوقي أن أول عولمة قام بها الأسكندر المقدوني عندما أراد تأسيس إمبراطورية ولنشر الثقافة اليونانية في العالم عام ٣٣٠ ق. م (١).

وقد اتخذ الغرب العولمة غطاء للنيل من الحضارة العربية والإسلامية لتمزيقها والقضاء على مقوماتها الإنسانية (٢).



وقد ألف عدد من الكتب نذكر أمثلة منها:

ـ عولمة الثقافة المصطنعة تأليف سكوت لاشي من جامعة لانكستر وأولوري بيت من جامعة مونيخ وأنتوني جيدنس من جامعة لندن (٢).

ـ العولمة والاقتصاد تأليف پول هورت ترجمة صالح عبدالجبار.

ـ ما العولمة للدكتور حسن حنفي وصادق جلال العظم.

ـ فسخ العولمة ترجمة عدنان عباس علوان.

إن التطور التقني المتزايد دعا الغرب إلى إعلان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ـ ١٩١٨م، للتخلص من مشكلاته الاقتصادية، ففي الشرق سوق لبيع إنتاجه والتخلص من البطالة ونشر ثقافة ووفرة المواد الأولية لمعامله وهو يدّعي أنه جاء لنشر الحضارة والحرية وقسّم الوطن العربي حسب معاهدة (سايكس بيكو) المعروفة، فعندما دخل الجنرال مود العراق قال جئنا محررين لا فاتحين وهي الدعوة التي تدعيها العولمة اليوم .. وينسى الغرب نتيجة سقراط وغاليلو كما نُسي فضل الحضارة العربية والفكر الإسلامي في بعث الأدب والثقافة في أوربا

ومفكريها مثل مونتسكيو وديدرو وفولتير وأثرها في الثورة الفرنسية نفسها وكيف هذب الأدب العربي الآداب الأوربية في جوسر وتنيسون وكوته (٤)، وغيرهم. وقد اعترف المنصفون بهذا الأثر الحضاري مثل كوستاف لوبون وآربري وكارودي وأوديت بتي وبوزورث وكبريللي وغيرهم.

غزو العولمة

شعر المفكر المسلم بهذا المد الاقتصادي والثقافي وعقدت عدة مؤتمرات يمكن أن أذكر منها:

المؤتمر الذي عقد في الجزائر برعاية الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة ما بين ١٠ - ١٢ مايو/آيار ٢٠٠٠م بعنوان: «العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية» افتتح المؤتمر الرئيس بخطاب قال فيه: «إن آثار العولمة في تفتيت المجتمعات وتذويب هويتها، تظهر أكثر ما تظهر لدى ذوي الثقافة السطحية الضعيفة والأفكار الميتة لأن الحداثة في ذاتها لا ترفض الأصالة بل تراها مكملة لها ..» ورأى سيادته بأن ضرورات التجديد الثقافي والحضاري المنشود لأمتنا لا يتحقق بالتنكر للموروث، وأكد ضرورة الانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى دون عُقد. وقد عكست المناقشات حرص المفكرين على قبول الجوانب الإيجابية في العولمة ورفض سلبياتها التي لا تراعي خصوصيات الشعوب. وأوصى المؤتمر بعدة توصيات منها: ترسيخ القيم الإسلامية وقايةً من أثر العولمة وضرورة التعددية الثقافية والدفاع عن اللغة الوطنية. كما عقد مؤتمر في معهد كوته، ورأى الأستاذ محمود أمين العالم أن الاشتراكية قادرة على مواجهة العولمة وأن الخطر المباشر ليس في العولمة في حد ذاتها وإنما في هيمنة الولايات المتحدة. وترى جريدة البرافدا (٥)، أن العولمة بدأت بعد خطاب تشرشل في بولتن ١٩٤٦م، بعد انتصار الحلفاء في الحرب للسيطرة على العالم دون إراقة دماء. وعقد المؤتمر الإسلامي للرد على تفاعل العولمة ورغبتها في السيطرة على الثقافة التي تناسبها والقضاء على الجذور الحضارية للشعوب. وفات قادة العولمة استحالة وضع العالم بثقافته العميقة وعاداته المتجذرة في العقل اللاوعي أن تضعها في قالب واحد لأن جذورها نابعة من عدد من الحضارات الراسخة كاليونانية، والفارسية، والعربية، والفرعونية، وأنها حية حتى الآن ولهذا خلق المفكر الأمريكي هنتيجتون ما أسماه صراع الحضارات بمقال نشره في foreign Affairs ث في كتاب زاعما أن الحضارة تشمل التكنلوجيا وسائر العلوم المادية وقيم المجتمع خلافًا لرأي مفكري الألمان الذين يرون أن الحضارة والثقافة قواعد الأمة الفكرية كالدين، وأن الحضارة الإسلامية قامت على العولمة لأنها لم تفرق بين البشر في الجنس واللون.

العولمة الأمريكية

من الاتجاهات الواضحة في مسيرة العولمة الأمريكية هي السيطرة الكاملة على العالم لإخضاعه للسيطرة الاقتصادية الرأسمالية الجامحة .. وما هي الامتداد للعولمة البريطانية التي بدأت بتقدم وسائل الإنتاج فيها وأدت إلى النهضة الصناعية التي أدت إلى البطالة والحاجة إلى مواد أولية رخيصة وسوق لبيع هذه المصنوعات المتراكمة .. وأججت الحرب العالمية الأولى مع فرنسا ١٩١٤-١٩١٨م (٦).

إن التطور التقني المتزايد دعا الغرب إلى إعلان الحرب العالمية الأولى للتخلص من مشكلاته الاقتصادية، ففي الشرق سوق لبيع إنتاجه والتخلص من البطالة ونشر ثقافة ووفرة المواد الأولية لمعامله وهو يدّعي أنه جاء لنشر الحضارة والحرية



العولمة البريطانية أجحدت الحرب العالمية الأولى

الاتجاهات الواضحة في مسيرة العولمة الأمريكية هي السيطرة الكاملة على العالم لإخضاعه للسيطرة الاقتصادية الرأسمالية الجامحة .. وما هي الامتداد للعولمة البريطانية التي بدأت بتقدم وسائل الإنتاج فيها وأدت إلى النهضة الصناعية التي أدت إلى البطالة

وما أمريكا إلا امتداد طبيعي لعولمة أوربا ويزيدها حماسة شعور أمريكا بالنقص الحضاري الذي طالما عيَّر الإنجليزي به الأمريكي، وأنها بلد اللصوص والقتلة وأنه يريد الاستيلاء على أموال أوربا كما استولى على أموال الهنود الحمر. والعولمة أداة تعويض واستعلاء لنشر ثقافة أمريكا والقضاء على أصالة الثقافة العالمية وهو ما دعا هنتنجتون إلى خلق فكرة صراع الحضارات والكتابة فيها ونشرتها وسائل

الإعلام الكثيرة في الدعوة إلى نشر الديمقراطية والحرية وحفظ حقوق الإنسان، وكانت أول من خرق هذه الحقوق بالاعتداء على الفضائيات في أفغانستان والعراق بدعوى الحفاظ على الأمن القومي الأمريكي. أما وسائل الإعلام العربية فهي في شغل عن أمور الشعوب بمتابعة سفر الحكام ومقابلاتهم وخطبهم. فانصرف الجيل الجديد عنها إلى وسائل الإعلام الغربية واتبع ما يراه فيها من طراز الملابس واللون والطعام والموسيقا والغناء ولبس الرجال الأقراط والأساور. إن حفلة واحدة من حفلات الحكام تكفي مؤسسة علمية وتعينها على نشر العلم الأصيل والفكر السامي كالجامعات والمجامع العلمية. وآخر ما سمعت في إحدى الإذاعات المرئية أن أحد الرؤساء خصص ثلاثة مليارات دولار متى تمت الموافقة أن تكون لعبة كرة القدم في بلاده.

مع أن المؤسسات العلمية في حاجة إلى كل دولار من هذه الدولارات التي خصصها المتبرع لكرة القدم. ومن الجدير بالذكر أنني حذرت عام ١٩٨٥م من العولمة الثقافية والغزو الفكري في ندوة عقدت في الرياض وقلت إن الغرب لما فقد وسائله القديمة التي حصل عليها بالسلاح أراد السيطرة الثقافية لتأمين مصالحه للاستفادة من سوق الشرق وتصريف بضائعه معتمداً على التقنية المتطورة للقضاء على الشخصية الحضارية الإسلامية، لأن الغرب يخاف من تماسك الشخصية الشرقية الإسلامية، بغرس ثقافة الغرب وبالفعل بدأ التقليد الأعمى عند بعض المفكرين وحسبوا أن الحضارة الغربية قادرة وحدها على تطوير الحياة وتقدمها التي أكدها كتابها فقال أحدهم يسوّغ الاستعمار «بأنه ذهب لخدمة الله وصاحب الجلالة لنقل النور إلى أولئك الجالسين في الظلام» (٧).

الخلاصة

العولمة ظاهرة تحمل معها التكنولوجيا المتطورة وعلينا

رفعت الحضارة الإسلامية مستوى الإنسانية كلّها ولم تفرق بين اللون والجنس والأصل. وحصرتها بالعناية بالأمن والاقتصاد وسبقت الفكرة الإسلامية قول الباحث اشبلنجر الذي قال: "أهم دعائم الحضارة الاقتصاد"

الاستفادة من التقنية والحفاظ على شخصية الحضارة لأمتنا لتطور حياتنا العلمية أولاً ونشر التعليم العلمي (التكنلوجيا) وبناء مصانع ومعامل ومختبرات في كل أنحاء الوطن للاستفادة من التطور العلمي في أمريكا.

إن العولمة الأمريكية لتأسيس إمبراطورية جديدة لا نخاف من علمها ومعاملها لأننا إذا وطدنا العزم على الاستفادة منها سوف يتقدم المجتمع وتتطور وسائل الحياة فيه على أن نحافظ على الشخصية العربية والهوية الإسلامية(٨)، لأن العولمة لا يمكن صدها وخير سبيل الاحتواء والاستفادة من التكنلوجيا فيها ومجاراتها.

تشرشل





هنتيجتون وصراع الحضارات !

أثر العولمة في الثقافة المعاصرة

عندما اكتسحت العولمة بلادنا بقوتها أصابت المفكر العربي بالحيرة والقلق وأخذ بعض المفكرين يخلط بينها وبين الثقافة والحداثة والحضارة مع أن الثقافة في الإنجليزية والعربية تعني معنى واحدًا وهو الاتقان، فنقول ثقف أي حذق العمل، كما أن كلمة Culture الإنجليزية التي جاءت من Agriculture لا تختلف عن معنى الكلمة في الثقافة العامة، وسمي الحاذق Skilful، أما الخلط فقد جاء من الترجمة المختلفة فالألمان سموها الحضارة وهي ما تسميه الإنجليزية Civilization. وأن كلمة الحضارة عند العرب: سكن الحضر فقال القطامي:

ومن تكن الحضارة أعجبته
فأيُّ رجالِ باديةٍ ترانا

وقال المتنبي:

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ
وفي البداوةِ حسن غير مجلوب

كما خلط الجيل بين المذاهب الأجنبية الواقعية والرومانسية Romantic والكلاسية Classic لكثرة هذه المصطلحات في العلم والفلسفة والاجتماع التي كانت تنشرها المجلات المصرية.

ولو درس المفكر العربي المصطلحات بلغاتها لسهل الأمر عليه واستوعبها. وكانت المجلات المصرية والصحف في مصر تذكر المصطلحات الجديدة كالمقتطف والهلال وقد سبقتهما (روضة المدارس) و(يعسوب الطب) في هذه المصطلحات. وقد انبهر رفاعة الطهطاوي بكل شيء في الحضارة العربية والثقافة فيها وكتب كتابه «تلخيص الإبريز» وانتشرت المصطلحات الجديدة عندما دعا جمال الدين الأفغاني إلى التطور لأنه كان أشبه بسقراط. ووجدنا المصطلحات الجديدة عند الكواكبي في كتابيه: «طبائع الاستبداد» و«أم القرى» وذكرها مفكرون مثل محمد عبده ورشيد رضا وقد ظهرت في المصطلحات الأدبية في أدب عبدالرحمن شكري والمازني وعباس محمود العقاد وطه حسين فانتشرت مع كلمات الحرية والديمقراطية والرومانتيه والكلاسية والتمدن مع الثقافة والعصرية وادعاها المتعلم ليظهر تفوقه وفهمه للتيارات الجديدة حتى قال الرصافي:

وكم مدعٍ فضل التمدن ما لَهُ
من الفضلِ إلا أكله بالملاعقِ

العولمة في العراق

كانت مصر الرائدة في نشر التيارات الغربية العلمية والأدبية وثقافتها، أما في العراق فلم تظهر هذه الآراء إلا بعد إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م، وتجلت فيه حركة جديدة هي أول مسارب العولمة الأمريكية في العراق عام ١٩٢٢م، عندما زارها أمين الريحاني فأخذت الصحف والمجلات ترحب به وتنشر إنتاجه الجديد الذي سمي بالشعر المنثور، وقالت إنه يحتذي حذو الشاعر الأمريكي ولت وتمن Walt Whitman (٩)، وإنه أطلق الشعر من القافية ومن قيود الوزن. والريحاني عربي تعلّم الأمريكية وكانت أشعار وتمن شعبية سهلة ولم يكن عميق الثقافة بالإنجليزية، ووتمن تعلّم من صفِّ الحروف في المطابع ولا

لمّا لم يكن الشاعر قادرًا على الانسجام مع المجتمع بعد أن أضاع طموحه بالشعارات البرّاقة وحلم بالنصر الذي ادعاه القادة السياسيون أصابته الحيرة ولم يكن أمامهم غير الدعوة إلى الثورة والهدم

يصل في الإبداع إلى الشاعر (إمرسون أوتي أس إيلوت T. S. Elot) وشهرة الأمريكان لأنه كتب في الحرب الأهلية وشارك فيها (١٠)، وسمي الريحاني زعيم مدرسة التجديد وأصدر رفائيل بطي مختارات من هذا الإنتاج في كتاب سماه «الربيعيات» ونشرت له الصحف العراقية، فبذر الريحاني أول بذرة العولمة الأمريكية في العراق وكان من أثره ظهور الشعر الحر في العراق ثم انتشر بعد أن

فوكوياما ونهاية التاريخ




العقاد


طه حسين جالسًا

درست اللغة الإنجليزية في الكليات ودرس بدر شاكر السيّاب من قسم اللغة الإنجليزية وزاد انتشاره بعد حروب

العولمة ظاهرة تحمل معها التكنولوجيا المتطورة وعلينا الاستفادة من التقنية والحفاظ على شخصية الحضارة لأمتنا لتطور حياتنا العلمية أولاً ونشر التعليم العلمي وبناء مصانع ومعامل ومختبرات في كل أنحاء الوطن

العراق وبخاصة حركة ١٩٤١م، والحرب الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م)، فظهرت نازك الملائكة والبياتي وداود سلوم ومير بصري ويوسف عز الدين وجميل شلش وسامي مهدي وسعدي يوسف وكاظم جواد وغيرهم من الشعراء.

وانتقل أثر الشعر الحر إلى مصر وسار في هديه الشعراء المعاصرون له. وعلى الرغم من أن مصر هي رائدة التجديد والتطور ومصدر الإشعاع الثقافي والشعري وفيها شوقي وحافظ ومطران إلاّ أن حركة الشعر الحر ظهرت في العراق. ووجدتُ صداه عند كمال نشأة عندما كنا طلابًا في جامعة الإسكندرية، وكان بدر

أبرز من نظم هذا الشعر لأنه تأثر بدراسته في قسم اللغة الإنجليزية وبخاصة شعر الشاعرة Eadth Sit Well فقد حُرمَ من حنان الأنثى ووجد في قراءة شعرها تنفيسًا عن معاناته الروحية ليحس بدفء المرأة بعد أن حُرم منه من الزميلات لهذا ظهرت الصور المسيحية في شعره مثل الصليب والصلب وطريق الأحزان والمسامير والغار والمخلص ومن هذا الاحتذاء قصيدته أنشودة المطر منها:

من ينزل المصلوب عن لوحه؟

أو يرفع الظلماء عن صحبه؟

ويبدل الأشواك بالغار؟

وهي احتذاء لقصيدة ستول Still Falls The Rain هذا التساؤل واللهفة دليل عمق إحساس الشاعر بالحرمان وأكّده شعوره بأنه قبيح لا تحبه النساء (١١).

فقد وجد في آلام الصلب التي عاناها السيد المسيح آلامهُ من الحرمان وعدم الاكتراث به من بنات الكلية.

أحمد عبدالمعطي حجازي:

ومن الشعراء الذين أثر فيهم ظهور الشعر الحر في العراق أحمد عبدالمعطي حجازي وظهر أثر بدر التوراتي فيه فقال:

كان المريض راقدًا

يبكي على الصليب

حين أطلَّ رأس غصن من حديد النافذة

وقال صلاح عبد الصبور:

الشعر زلتي التي من أجلها هدمتُ ما بنيت

من أجلها خرجت

من أجلها صلبت

هدر القيم الاجتماعية:

نظم هؤلاء الرواد وجددوا وأوغلوا في التجديد ناسين الحس الاجتماعي العربي المسلم معبرين عن كبت جنسي واضح فكثرت كلمات العري والعورة والزنا فقال صلاح عبدالصبور:

دبيبُ فخذ امرأة ما بين إليتي رجل سأم

يزني بها سأم

وقال عبدالمعطي حجازي:

رأيتُ نفسي أعبرُ الطريق عاري الجسد

أغضُ طرفي خجلاً من عورتي

وجاؤوا بكلمات وعبارات يشمئز منها الذوق الرفيع فقال أحد الشعراء:

شربتُ مرق الأحذية المنقوعة

في الخوف والنحيب

أكلتُ ما يخبزه الإسفلت

في جوفه من حنطة التعذيب

الحداثة

وإذا كان الشعر الحر فيه الجيد والمحافظة على الأساليب العربية فقد هدمت الحداثة الغربية كل الموازين الأدبية واللغوية والذوقية دون معرفة باللغة التي جاءت منها الحداثة، لأن الشعراء لا يعرفون جذورها الغربية وكيف اختلطت مع المفاهيم اللسانية الغربية التي ولدها المفكر الألماني وليام همبولت ودي سويسر وهي دراسات بعيدة عن العاطفة والحس الفني مع أن هذه اللسانيات درست كبار الشعراء مثل ملارميه وبودلير ورامبو ولكن التقليد الأعمى للحداثة دعاهم إلى ضياع الذوق الفني لأن السطحية الثقافية ورَّطتهم في الحداثة فجاء الشعر ركيكًا في صور سردية فيها تقرير بلا إبداع. والشعر تجربة إنسانية فيها الصدق ودقة الأسلوب ولمّا لم يكن الشاعر قادرًا على الانسجام مع المجتمع بعد أن أضاع طموحه بالشعارات البرّاقة وحلم بالنصر الذي ادعاه القادة السياسيون أصابته الحيرة ولم يكن أمامهم غير الدعوة إلى الثورة والهدم وتقليد الشعر الغربي دون فهم له وتفقه في جذوره، يضاف إلى هذا

كله شعور الخوف الداخلي من السلطة وقسوتها، فمنهم من ادعى السريالية ومنهم اختفى وراء البنائية وبعضهم تغنى بالتفكيكية والدادية أي أنهم أرادوا أن يقلدوا كل شيء جديد جاء من الغرب دون فهم لأصوله وكل ما يساعدهم على الثورة من نفوسهم والتعبير عن السخط والاحتجاج.

ولو كانوا درسوا الأدب الأوربي لعذرتهم، لأنهم لم يعرفوا بأن الشعراء الإنجليز نبذوا الحداثة وغموض الشعر فيها وما فيه من تكلُّف على الرغم مما في حياتهم من ترف حضاري وحرية كاملة لأنه خارج عن وظائف الأدب الأصيل.

الرواد والحداثة

وقد وقف الرواد موقفًا حازمًا من تيار الحداثة مثل كمال نشأة وأحمد عبدالمعطي حجازي، وهاجموه فقال الدكتور كمال: «إن شعراء الحداثة يصرخون في وادٍ وإن كان مليئًا بالمتلقين والهوة بينهم والمتلقي عميق، لأن شعرهم مستورد ولم ينبت في أرض مصرية ولم يكن حلقة أصيلة من حلقات تطور الشعر العربي مثلما هوالحال مع الشعر الحر أو شعر التفعيلة، وهذا دعاهم إلى الشعور بالعزلة لأن شعرهم عبث طفولي» (١٢).

ولنأخذ مثلاً واحدًا للبرهنة على قول الدكتور نشأة:

ويشهق حقلي الظمآن
لا ألقى إليه ريًا
فأسكن في منازل مرةً
أتعلَّم السير المهرول
والغسيل
أعلق الصور القبيحة
أغلق الشبّاك
أعرف كيف يكتئب البطيخ
وكيف تملأ الصحاف أمي
تقطب تحت سكيني - البطاطس
كيف لم تهرب؟
لأني لم أسن أمامها السكين
أم لم تعرف الرؤيا

وقال الدكتور كمال: «ألا يفسد هذا الكلام أذواق أمة بحالها كنا نريد التجديد والحداثة لإثراء الأدب الحديث ولكن الإيغال في تقليد الغرب جاء بالشعر الركيك مع أن الحداثة كما قال أمجد ريان «الحداثة عندما انتقلت إلى واقعنا كانت مشروعًا شعريًا كبيرًا يجسد جمالية شديدة الامتاع (١٣).

آخر العولمة

والطريف أن الكاتب الأمريكي تود Todd الذي تنبأ بسقوط الاتحاد السوفياتي قال في كتابه The Break down of the American Empire إن أمريكا سوف تسقط كما سقت الإمبراطوريات السابقة.

المراجع

١. المرصد الإعلامي الحر، العدد ٣٥، النمسا.
٢. محيي الدين صالح، آفاق عربية ٢٠٠٤/٩/١.
٣. إبراهيم الحيدري، تصنيع الثقافة، جريدة الشرق الأوسط ١٩٩٨/٤/٢٤م.
٤. لاحظ كتابي: أثر الأدب العربي في الأدب الغربي للشواهد، المطبوع في الرياض.
٥. البرافدا، العدد ٢٠٠٤/١/١٧م.
٦. العولمة وصراع الحضارات مقال تيسير شيخ الأرض عن التاريخ العام.
٧. العولمة وصراع الحضارات مقال تيسير شيخ الأرض عن التاريخ العام.
٨. التحدي الحضاري والغزو الفكري، للكاتب، طبع في الرياض.
٩. لاحظ القصائد في Leaves of Grass.
١٠. في كتابيً الحركة الفكرية في العراق والتجديد في الشعر العربي الحديث تفصيل.
١١. فصلتُ ذلك في كتابي «تطور الشعر العربي الحديث» المطبوع في نادي جدة الأدبي.
١٢. شعراء الحداثة في مصر، ص ٢٦٩ وبعدها.
١٣. شعراء الحداثة في مصر، ص ٢٨٥.





نون الوطن

محمد الجلواح

الأحساء ـ السعودية

ســـــلامًـــــا أيـهـــــا الـوطـنُ
وقـلـبًـــــا فـــــيك يُـفـــــتتنُ
ســــلامًـــا يا قـــســـيم الرو
ح لا مَـــــــــيْـنٌ، ولا مِـنَـنُ
ســــلامًـــا يا نـخـــيل الخـــيـ
ر في (الأحـــســـاء) تُحـــتـضنُ
وتجْـــــعلُـنـي خــــدين الرّمـ
ل حـــــتى يُـسْــــدَلُ الكفنُ
ســـلامًـــا يا عـــصـــافـــيـرًا
يُحـــــيّـي شـــــدوَها الفـنُ
وعـــــينا مـــاؤها الـتــريـا
قُ لــــلآلام تُــــرتـــــهــــنُ
وبحَـــــرًا فــــوق زُرقــتـــــه
يَـرُفّ الموجُ والـسّـــــــفـنُ
من (الدّمّـــــام) نحـــو (الغـــر
ب) لا نـــــكــــص ولا وَهَـــــن
وفي (رفـــحـــائه) فـــرح
وفـي (جـــيــــزانه) .. لبنُ!
وبينهـــمــــا (عـــرين الغُــــر
ب) حــــيث الـعـــدل والعَلَن
أحـــــبّكَ يا غـنـاء الأهـــ
ل في الأضـــلاع تُخـــتــــزنُ
أحـــبك قـــد أتاك الطيـــر
حــــــــيث الـدّفء والـوكـنُ

❖❖❖❖

ســـــلامًـــــا أيهـــــا الـوطـنُ
وقـلـبًـــــا فـــــيك يُـفــــتتنُ
أحب شــــتـــــاءك المجـنـو
نَ طـابَ الـطـقـسُ والـزمـن
وصـــيـــفَك في حـــرارته
وإن لـــم يـــؤونـــي ســـكـــن
وشـــمــسَك تُحـــرق الأروا
ح .. ثلجٌ مُنعشٌ .. حَـــسَنٌ !!
و (نَيْـــســـــانًـا) يَهُبّ على
ديـارك والـهــــــوى أمِـنُ
ســــلامًـــا يا (رحـــاب اللـ
ـه) لا شِـــــــركٌ ولا وَثَـن
ويا أرضًــــا مُــــقَــدســـة
لـهـــا كم يرخص الـثــمـن
ويا لُغـــة تُشـــاغِـــبُني
ويصــــــمت عندهـا اللّسِن



حماكِ الله في كنَفٍ
إليه الناس تأتمنُ

❖❖❖❖❖

سلامًا ما ذعِنْتَ لمن ...
إلى الأحقاد قد ركنوا
ولم تخشَ الدمارَ، ولم
تهُزَّ تُرابَك المِحَنُ
ألا سُحقًا لفكر الجهـ
ـل تُذكي نارَه الفِتَنُ
ألا ضَلّتْ أفاعي المو
ت في الديجور تكتمن
ألا تبّتْ يدُ الإرها
ب لا قامت لها ثكَنُ
سلامًا أيها الوطنُ
وقلبًا فيك يُفتتنُ

فرَشْتُ خريطة البلدان
حيث الأرضُ والمدنُ
أمثلُكَ قد أرى وطنًا
تُطرّزُ أرضَهُ سُنن؟
وصورة أرضه رُسِمت
بها الأمجاد تقترن
وسار بها ـ وقد سَمَقت ـ
سليمُ القلب والفطن
وسار بها حديث النا
س في الأقطار ما قطَنوا
أحسُّ بأنني فرح
لأنك في دمي شجن
مَنَحتَ العينَ بهجتها
فشكرًا أيّها الوطنُ



طفولة من رخام

جلال باباي

سوسة ـ تونس

لَمْ أزَلْ أَلْمَحُ قِبَابَ المَدِينَة
تَكْشِطُ سَمَاءً غَارِقَةً فِي الخَجَلِ
نَوَارِسٌ عَلَى بَقَايَا
أَسْوَارٍ شَامِخَةٍ
تُمَشِّطُ مَا عَلِقَ بِالرِّيشِ
مِنْ خَبَشِ المَاءِ
يُضْمِرُ التِّمْثَالُ (١)
بَهْجَةَ زَمَنٍ خَلا
وَتخْفِي الرِّيحُ
هُتَافَاتِ الوَقْتِ القَلِقْ
عَسْعَسَ اللَّيْلُ عِنْدَ المَضِيقِ (٢)
وانْبَجَسَ صَوْتُ إبْراهِيم (٣)

نَقْرا عَلَى سَهْلِ الأفْئِدَةِ
يَمْتَلِئُ المَكَانُ
بأصْنَافٍ شَتَّى
من وُجُوهِ الأسْوَاقِ المُكْتَظَّةِ
بالرَّمَادِ وصَخَبِ الأسئِلَةِ
«طاكسيم»، «لا ليلي»، «بيازيت» ... (٤)
مَمَرَّاتٌ تُثِيرُ فِينَا عَطَشَ السَّفَرْ
وَتَرمِينَا إسْطنبولْ
بأشْوَاقِهَا المُتَقَادمةِ
جزافًا عَلَى رَصِيفٍ
طُفُولَةٍ مِنْ رُخَامْ
يَجْهَشُ النِّدَاءُ بشَهْقَةِ المُحِبِّينَ:
هَلْ نَلْتَقِي هَذَا العَامَ
عَنْدَ بَاحَةِ الحَمَامِ الزَّاجِلِ؟
نُطْعِمُهُ حَبَّات منْ سَنَابِلِ الصَّيْفِ
يَضُمُّنَا ظِلُّ الشَّجَرةِ

نَهْذي بعِشقِنا تَحْت المَطَر
ثُمَّ نَلُوذُ بِسَقِيفَةِ الفَجْرِ
نَحْوَ مِينَاءِ الرَّحِيلِ

الهوامش

١. تمثال كمال أتاتورك.

٢. مضيق البسفور.

٣. إبراهيم تاتلسيز، أشهر مغنٍ تركي.

٤. مدن معروفة بضواحي العاصمة التركية.

عــشــقْتُ لا أعْلَمُ مــقــدارَ مــا
أعـــشَقُ والعُـــشّـــاقُ لا يعلمـــونْ
ذرَّاتُ حـــبِّي كـــالنجـــومِ ارتمتْ
في الكون كُلٌّ في الهـوى يسْـبـحـونْ
لهْـــفي تراتيلي .. ومُـــهْـــرُ الرُّؤى
لهـفي ... وفي الأعـمـاقِ مـعنًى حنُونْ
أُزْهِـرُ مــن أجلــك أحــلـى المُـنَـى
وأحـــتـــسـي أجلك أحلى الفنونْ
تكونُ مـــا شـــئتَ ولا ضـــيـــرَ أنْ
أمـــوتُ من أجْلِكَ حـــتّى تكونْ

وطني

يحيى بن صديق حكمي
جازان ـ السعودية

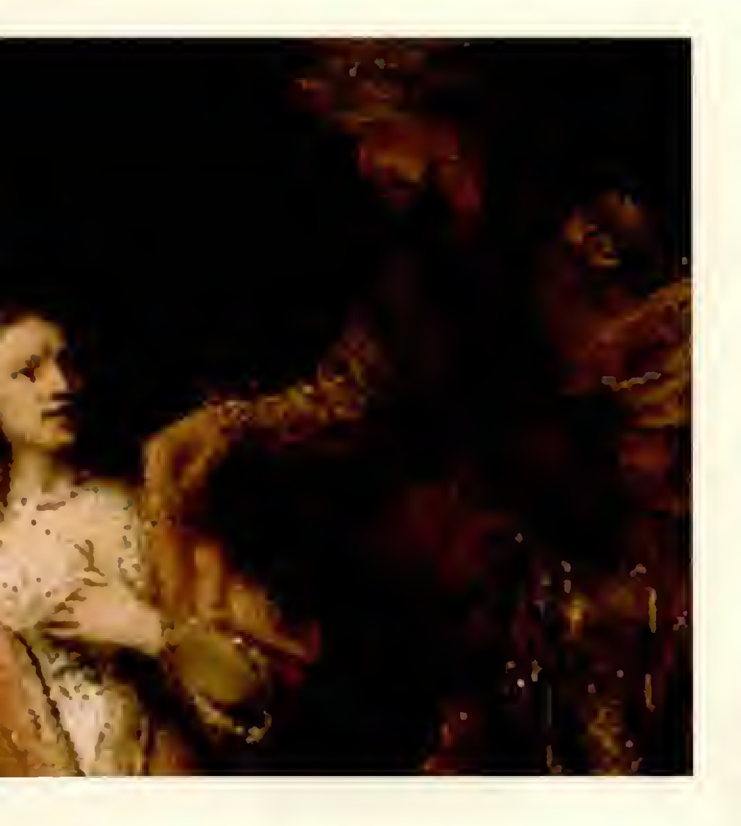


في القلْبِ - يا أحلى الهَوى - في العيونْ
يحـتَـارُ في أوصـافِك العـاشـقـونْ
الوجْـدُ يسْـبـيـه الهَـوَى .. إنَّمـا
أنت الهـوى والوجْـدُ والواجِـدُونْ
وإنَّمـــا في الحُب لا تنتـــهـي
أنفـــاسُنا إلا بلثْمِ المنونْ





الضرير



جي دي موباسان

ترجمة: يحيى عبدالقادر الأمير

حماة ـ سورية

أي سعادة تلك التي تصنعها القبلة الأولى للشمس؟ ولماذا يملأ هذا الضوء الهابط إلى الأرض المرء بلذة الحياة؟ السماء في زرقة تامة، والريف تكسوه الخضرة والبيوت جدّ بيضاء، وعيوننا المفتونة تشرب هذه الألوان الحية التي تخلق النشوة في نفوسنا. وتأتينا الرغبات بالرقص والركض والغناء، وخفة مفرحة في التفكير، ونوع من الحنان الكبير يجعلنا نريد معانقة الشمس.

والعميان عند أبواب البيوت يبقون ببرودة أعصاب في ظلامهم الأبدي، هادئين كما في كل يوم وسط هذه السعادة الجديدة، ودون إدراك يعملون في كل دقيقة على تهدئة كلابهم التي ترغب في الوثوب.

عندما يعودون يكون النهار في آخره إلى أحضان أخ فتي أو أخت صغيرة، وعندما يقول الطفل: «سيكون الطقس جميلاً عما قريب» يجيب الآخر: «لاحظت جيداً أن الطقس جميل فلولو يحب السفر». عرفت واحداً من هؤلاء الرجال وقد جعلت منه الحياة أحد أكثر الشهداء الذين يمكننا تصور معاناتهم. لقد كان فلاحًا ابن مزارع نورماندي. عندما كان أبوه وأمه على قيد الحياة كانا يعتنيان به بالكاد: فلم يكن يعاني إلا من عاهته الفظيعة. ولكن ما إن مات العجوزان حتى بدأ وجوده يصبح شنيعًا. استضافته إحدى أخواته



وكان الجميع في المزرعة يعتبرونه صعلوكاً يأكل من خبز الآخرين. في كل وجبة كانوا يقربون له الطعام ويلقبونه بالقروي التنبل. وعلى الرغم من أن صهره كان قد استولى على حصته من التركة إلا أنهم كانوا يقدمون له الحساء على مضض، فقط كي لا يموت. لقد كان على هيئة شاحبة تمامًا، وله عينان كبيرتان بلون أبيض كمعجون لختم الرسائل. وكان يمكث هادئ الأعصاب عند الإهانة و هو يُغلق على نفسه لدرجة أنهم كانوا يجهلون إن كان يسمعها. إضافة إلى ذلك لم يكن قد عرف أي حنان؛ فأمه كانت دائمًا تعنّفه بعض الشيء، ولم تكن تحبه قط؛ وذلك لأن عديمي النفع في الأرياف يضرون، والفلاحون يفعلون ذلك كما تقوم الدجاجات بقتل العاجزات منهن. حالما يبتلع الحساء يذهب إلى الجلوس أمام الباب صيفًا وعند المدفأة شتاء ولا يتحرك حتى المساء ولا يقوم بأية إشارة أوحركة، فقط أجفانه كانت تهتز وكأنه نوع من الألم العصبي وتسقط أحيانًا على الجزء الأبيض من عينيه. هل له روح أو فكر. وهل كان طاهر الذيل في حياته؟ لم يتساءل أي شخص عن ذلك. جرت الأمور هكذا لعدة أعوام، لكن عجزه عن عمل أي شيء إضافة إلى عدم مبالاته أثارا سخط أقربائه وأصبح ضحية ونوعًا من المهرج الشهيد، وفريسة مقدمة للشراسة المتولدة وللفرح الوحشي لغليظي القلوب الذين يحيطون به. وكانوا يتخيلون كل المقالب القاسية التي يُلهمها لهم عماه. وكي يدفع ثمن ما يأكله جعلوا من وجباته ساعات مرح للجيران وعذابًا بالنسبة إلى العاجز. كان القرويون في المنازل المجاورة يأتون إلى هذه المتعة وكانوا يتناقلون الخبر من باب إلى آخر. فكان مطبخ المزرعة يبدو مليئًا بشكل دائم. وكانوا يضعون أحيانًا قطعًا أو كلبًا على الطاولة أمام صحنه عندما يبدأ في تناول حسائه. وكان الحيوان يشعر فطريًا بأن الرجل عاجر فيقترب شيئًا فشيئًا ويأكل دون أن يصدر ضجيجًا ويلعق بمهارة. وعندما يوقظ تلمظ لسانه الذي يُصدر صوتًا خفيفًا انتباه الشيطان المسكين يبتعد باحتراس ليتجنب ضربة الملعقة التي قد يرسلها مصادفة نحوه. كانت إذن ضحكات وقهقهات وضربات لأقدام المشاهدين على الأرض وقد تجمعوا على طول الجدران، أما هو ودون أن يتفوه ببنت شفة فيستأنف تناول طعامه بيده اليمنى بينما بيده اليسرى المتقدمة كان يحمي ويدافع عن صحنه.

أحيانا كانوا يتركونه يمضغ سدادات الفلين

والخشب وأوراق الشجر وحتى الأوساخ التي لا يستطيع تمييزها. لقد ملوا بعد ذلك حتى من المزحات. وراح صهره بعد أن استاء من إطعامه كل يوم يضربه ويلطمه دون توقف وهو يضحك من المجهود غير المجدي للآخر في تجنبه للضربات أو في ردها. كانت هذه إذن لعبة جديدة: لعبة الصفعات. وكان عمال المحراث والخدم والخادمات يقذفون بأيديهم على وجهه في كل حين. وهذا أثر على أجفانه فجعلها تتحرك بسرعة. لم يكن يدري أين يختبئ وكان يبقي ذراعيه ممدودتين دائمًا كي يتلافى أي اقتراب. وأخيرًا كانوا يُجبرونه على التسول، حيث يضعونه على الطرقات في أيام التسوق وما إن يسمع صوت خطوات أو تحرك سيارة حتى يمد قبعته متمتمًا: «تصدقوا أرجوكم». لكن هذا الفلاح لم يكن حاذقًا فخلال أسابيع كاملة لم يكن يحضر سو (١) واحد. وعندها يثور ضده حقد هائج بلا رحمة.

وهاكم كيف قضى نحبه. في فصل شتاء كانت الأرض مكسوة بالثلج وكان الصقيع يفعل فعله بشكل فظيع. إذن فقد قاده صهره في صباح أحد الأيام بعيدًا جدًا على طريق كبير كي يطلب الصدقة. تركه ثمة طوال النهار وعندما حل الليل أكد أمام الناس أنه لم يعد يجده ثم أضاف: «كفى يجب ألا نقلق، قد يكون أحدهم اصطحبه معه لأنه كان يشعر بالبرد، بالتأكيد لم يضع سيعود غدًا لتناول الحساء».

لم يعد في اليوم التالي.

بعد ساعات انتظار طويلة وقد اعتراه البرد وأحس بالموت بدأ الضرير بالمشي. لم يكن يستطيع أن يتعرف إلى الطريق المدفون تحت الركام من الجليد لهذا راح يتسكع دونما هدف ويسقط بالحفر وينهض، ويبقى دائمًا وهو يبحث عن بيت ما.

لكن خدر الثلوج سيطر عليه شيئًا فشيئًا ولم تعد تستطيع ساقاه أن تحملاه. جلس وسط أحد السهول





ولم ينهض بعدها قط الكتل الثلجية البيضاء التي كانت تنهمر دائمًا غمرته، واختفى تحت تراكمها المستمر على شكل تجمع لا نهائي. ولم يعد هناك ما يشير إلى المكان الذي ترقد فيه تلك الجثة. تظاهر أقرباؤه باستقصاء أمره والبحث عنه خلال أيام ثمانية حتى إنهم كانوا يبكون. كان الشتاء قاسيًا ولم يذب الثلج سريعًا، وفي يوم من أيام الآحاد وبينما كان المزارعون في طريق ذهابهم إلى القداس شاهدوا تحليقًا كبيرًا لمجموعة من الغربان وهي تحوم دون توقف فوق السهل ثم تنقض كالمطر الأسود على شكل كتلة واحدة في المكان نفسه وتغادر من جديد وتعود باستمرار في الأسبوع التالي كانت الطيور القاتمة لا تزال هناك. السماء جلبتها كغمامة وكأنها اجتمعت من كل أركان الأفق وتركت نفسها تهبط وهي تصدر صرخات هائلة على الثلج اللامع الذي لطخته بشكل غريب وصارت تحفر بإصرار. توجه غلام ليشاهد ما تصنعه فاكتشف جسد الضرير وقد افتُرس نصفه وتقطع إربا إربا، واختفت عيناه الشاحبتان بعد أن نقرتهما المناقير الطويلة النهمة. ولم أعد أستطيع بعدها أن أشعر بحيوية سعادة الأيام المشمسة دون ذكرى حزينة وفكر متألم تجاه المتسول الذي حُرم من ميراثه في الحياة والذي كان موته الرهيب عزاء بالنسبة إلى كل من عرفه.

الهوامش

(١) سو: الجزء العشرون من الفرنك الفرنسي.

محادثة لها تاريخ

إبراهيم الناصر الحميدان

الرياض ـ السعودية

من أسوأ الصفات التي تتمخض عنها سمعة الإنسان هي اتهامه بالجبن والخوف، والأدهى من ذلك عدم قدرته على إنكار هذه الصفة في نفسه أو تحمسه لتفنيدها.

وإن يكتفي بأن يردد حين سماع هذا التشهير بشخصه القول إنما هو نتائج تربيتنا التي ارتكزت طوال طفولتنا على قواعد من زئبق تخلو حتى من رائحة العجين.

قال لي رئيسي المتعجرف في موقعة تصادمية حاول أن ينبش من خلالها قبرًا يخلد اسمًا للبطولة الزائفة ..

تذكر بأنك ثوري .. ينحاز إلى مناصرة الموظفين الذين يخالفون النظام ويسرقون من وقت العمل.

رنت الصفة التي أطلقها في أذني مثل قذيفة مرقت كالسهم أيام حروب الردة فحاولت أن أبحث في ذهني عن رد يفحم اتهامه فقلت بارتباك:

. ولكني ملتزم التعاليم الدينية خلاف ما يقال عن الثوريين وقد أديت ما علي من فروض بما ..

فقاطعني/ أعرف ما سوف تقوله من قائمة طويلة سرعان ما تنهار عند تحليل النتائج، إنما تذكر أننا شركة مصرفية يعني رأسمالية يهمها ميزان الربح والخسارة بأية وسيلة. لذا فإن محاصرة المتلاعبين بأشد العقوبات هي الحال للحفاظ على هيبتها في السوق، وأنت لك ماضٍ يميل إلى تحدي العقلاء.

ووجدت فيضًا من الجرأة يشجعني على تفنيد ذلك الادعاء المتهافت، فقلت باعتداد: هل كل من يدافع عن نفسه وحقوقه تلفه دهاليز السياسة وزوابعها، أم هي ركيزة ابتلينا بها منذ أحاطت بنا مفاهيم العولمة.

فلمعت نظراته بخيلاء تتجلى عندما ينوي استعراض عضلاته بالتذكر عندما كان مبتعثاً على حساب الدولة وتفوق على أقرانه في قلعة الرأسمالية، فسارعت إلى لجم تيار تحمسه فترة التفوق لأحرمه من المباهاة ومع ذلك رفعت من مكانته حين تساءلت.

ـ صرحت في أكثر من مناسبة بأنك تدرس وضع نظام تشجيعي للموظفين يدفعهم إلى التنافس ويمنحهم الإنصاف، فبماذا أجيبهم وهم يسألونني باستمرار عما تم بذلك النظام؟

فانتفخت أوداجه لذلك السؤال وجعلته يطلق سعلة متكلفة ليجيب:

ـ الأنظمة الكبيرة لا توضع بين ليلة وضحاها ياعلي ... فلا بد من استطلاع رأي المختصين والقانونيين أولا.

فتدخل أحد الحضور من العملاء قائلاً بسخرية:

ـ تمهلوا يا موظفون وتمسكوا بحلية الصبر لنيل الحقوق، أما العقاب فيأتيكم سريعًا.

في هذه الأثناء دلف إلى المكتب أحد السعاة يحمل دلة القهوة، وسارع إلى ملء فنجان، بينما الرئيس ينظر إليه شزرًا وكان غاضبًا على تعليق ذلك الزبون فصرخ فيه: من أمرك بإحضار القهوة يا ملقوف.

فوجئ المسكين وكاد يتعثر بالكراسي القليلة المزروعة

أمام مكتب الرئيس البخيل فخرجت كلمة اعتذار قصيرة من فمه أسعفها بصوت أعلى مجيبًا:

- تعليماتك. بإكرام الزبائن والمراجعين ننفذها.

فواصل هجومه على ذلك المسكين فقال متهكما: مراجع واحد تقول عنه .. مراجعين .. ثم إن أخانا هذا يتردد منذ أسبوع على موضوع لن نستفيد منه كثيرًا.

فاحتج الرجل معلقًا: الله يسامحك .. يعني جيتي فيها (مغثه) وأنا جايب لك واسطة من رئيس مجلس الإدارة؟

فارتبك الرئيس الأسمر .. بل شاهدت بعض قطرات من العرق تتفصد من جبينه في الوقت الذي نهض فيه الرجل متمتمًا باحتداد.

- يا دار ما دخلك شر .. هات خطاب الواسطة ورزقنا على الله.

هنا وثب رئيسنا من كرسيه ليحاذي مكان الرجل فقلت في نفسي .. سبحان مغير الأحوال إنه يتنازل عن كبريائه الزائفة .. فهل تلمس الخوف طريقًا إلى قلبه الكالح أم شعر بارتكابه خطأ فادحًا بحق الرجل الذي يحمل واسطة قوية وقفزت إلى ذهني أيام الدراسة والغربة !!!

❖❖❖

كان أستاذ الفصل ينظر إلينا من بعيد شارد الذهن بينما الزملاء يتحلقون حول طاولة الدومينو يحتسون الشاي وينفثون دخان السجائر بحرية في حين ترتفع أصواتهم بتحدي بعضهم البعض الآخر.

شعرت بالخوف يتلبسني وكنت أود تنبيه الزملاء إلى خطورة الوضع الذي كانوا سادرين فيه ولم يكن الأمر يحتمل سوى مغادرة المقهى سريعًا.

المرحلة المتوسطة هي المستوى الذي كنا قد بلغناه في ذلك الحين وكان المفروض أن نواصل التعليم لولا أن العبث والنزق جعلانا نعرف طريق المقهى لتكون محطة التقائنا ثم تعلمنا لعبة الدومينو حتى أولعنا بها فأصبحت تسلينا يوميًا عوضًا عن الدراسة، وكان رواد المقهى وأكثرهم من العاطلين عن العمل يقتلون الوقت في التحدي والتنافس في الكسب إذ إنهم لو كانوا من الموسرين لكان التحدي يفضي إلى نوع من القمار.

كان المقهى العتيق يقع على طرف من جسر يدعى سوق الهنود تؤمه الفئات كافة وبالذات النساء اللاتي يبحثن عن أدوات الزينة والتبرج إلى جانب الملابس حيث يتقابلن مع الشباب المائعين الذين ينشدون الفتيات الجميلات من العائلات الموسرة اللاتي يتصيدن الحب العفيف ظاهريًا. مما جعل للمقهى صفة فريدة حيث يحظى بالمواعيد الغرامية، وكان رئيسنا بسحنته السمراء وقامته المديدة يتردد على ذلك الموقع على أمل أن يبتسم له الحظ بفتاة يلفت نظرها أناقته وتفننه في اختيار الملابس الجذابة وكان بطبيعة الحال يشاهدنا في لهونا وعبثنا بل واندفاعنا في المشاركة مع المتظاهرين الذين لا بد من مرورهم على ذلك المقهى الذي يقع في مكان يرتبط بين عدة أسواق وشوارع رئيسية، ويبدو أن رئيسنا كان يراقب المشاركين في تلك المظاهرات فأصبحت سلاحًا يشهره ضدنا حين جمعتنا الصدف في موقع عمل واحد كان هو المسيطر عليه.

❖❖❖

استرضاء ذلك الزبون نجح في جعله يتراجع عن المغادرة وبالتالي نسيان الإهانة بل إن رئيسنا وعده بإجابة طلبه ومنحه القرض الذي يحتاج إليه فما كان من الرجل وكان كما يبدو في ضائقة مالية إلا أن قام بتقبيل الرئيس معلناً بكل ارتياح.

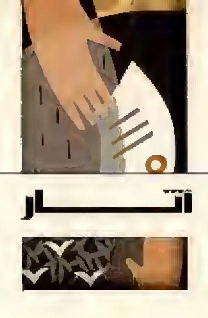
- لك عندي زوجة تعجبك فما رأيك؟

فرد عليه الأسمر باعتداد

- أوافق على شرط أن لا أقول لك يا عمي.

وجمعت أوراقي لأعلق قائلاً:

- هذه من فوائد تحكم الرأسمالية اللعينة في حياة البشر من خلال عصر العولمة، أما الفقراء فالله يتولاهم برحمته.



الأهرام المنسية تبوح بأسرارها

خالد خلف زيدان مهني

المنيا ـ مصر

لو لم تكن أهرام الجيزة الثلاثة التي شيّدها فراعنة مصر العظام (خوفو، وخفرع، ومنكاورع)، قد بلغت مبلغها من الشهرة وذيع الصيت، لكان هرم آخر قد تبوأ مكانتها، ونال مجدها ما شيده أسلافهم أو خلفاؤهم. فعلى الرغم من أن الأهرام المصرية المكتشفة قد تعدت في مجموعها مئة هرم، إلا أن معظمها ما زال منسيًا أو مجهولاً لدى الكثيرين منا.

في البدء كان الحجر

كان لاعتقاد المصريين القدماء في الخلود بعد الموت أعمق الأثر في إبداعهم المعماري، فأخذوا يشيدون منذ فجر التاريخ أروع المقابر التي تصون جثثهم. فمنذ عصر الأسرتين الأولى (٣٣٠٠ ـ ٣٠٤٧ ق.م) والثانية (٣٠٤٧ ـ ٢٦٤٩ ق.م) بنى الملوك مقابرهم على هيئة مصاطب من الطوب اللبن كل منها على هيئة متوازي مستطيلات ذي حوائط ترتفع مائلة قليلاً إلى الداخل. ومن هنا اتخذت الاسم العربي «مصطبة» بمعنى أريكة أو مقعد طويل. وكقاعدة عامة كان يُحفر عند قاع المصطبة حجرة الدفن التي تحتوي على تابوت من الحجر وبعض أثاث المتوفى مما لا يستغنى عنه الميت في حياته المستقبلية في العالم السفلي من طعام وشراب وأسلحة، بل ونماذج للخدم. غير أن المصطبة بسبب ارتفاعها البسيط الذي لم يتعد بضعة أمتار فإنها لم تؤد دورها كاملاً في مساعدة الملوك ـ وهم حسب اعتقادهم أبناء الآلهة على الأرض ـ على الصعود إلى



آبائهم في السـمـاء بعـد الموت، ومن ثم تدرجت المصاطب تعلو بعضها فوق بعض حتى وصلت إلى قمة الإبداع الفني والمعماري مجسدة في بناء الأهرام التي شرع الملوك يخصصون الأموال الباهظة من مقدرات البلاد، ويلزمون آلاف العمال لإنجازها، بداية من عصر الأسرة الثالثة (٢٦٤٩ - ٢٥٧٥ ق م). فكان أعظم ما حققه الوزير البارع، والمهندس الحكيم إيمحوتب لسيده الملك زوسر (٢٦٣٠ - ٢٦١١ ق م)، هو الهرم المدرج بسقارة جنوب الجيزة. وكانت الفكرة في البداية هي تشييد مصطبة ملكية طولها ١٤٠ مترًا، وعرضها ١١٨ مترًا. ويبدو أن إيمحوتب كان متأثرًا بأفكار دينية جعلته يحولها إلى هرم مدرج، ربما لكي يمثل صعود الملك نحو أبيه إله الشمس في أعالي السماء. فأضاف فوق المصطبة الأولى بناء بالشكل نفسه، ولكن أقل حجمًا، وهكذا تكررت المصاطب حتى أصبح الشكل النهائي هرمًا مدرجًا ذا ست درجات كبيرة؛ يبلغ ارتفاعها الكلي ستين مترًا.


هرم أوناس بسقارة

وهرم زوسر المدرج هو أول بناء حجري ضخم في تاريخ الإنسان على الأرض، إذ يحتوي على أكثر من ٣٣٠ ألف متر مكعب من الأحجار المقطوعة من الجبال. وقد حُفرت أنفاق وآبار وغرف ومعارض ومخازن أسفل الهرم في منطقة تعدت مساحتها خمسة آلاف متر مربع. وخُصِّص موقع الدفن على عمق ثمانية وعشرين مترًا في بئر مركزية اتساعها سبعة أمتار مكعبة. كان مدفن الملك في قبو بُني من حجر الجرانيت، يتكون من أربعة أجزاء. فتحته الوحيدة على شكل أسطواني في اتجاه الشمال، وقد أغلقت الفتحة بعد الدفن عن طريق وضع سدادة جرانيتية تزن ثلاثة أطنان ونصف الطن. غير أنه لم يُعثر على مومياء الملك داخل الهرم، وهناك ممر تحت سطح الأرض في الجانب الشمالي للهرم يؤدي إلى غرفة دفن الملك وغرف دفن أعضاء أسرته الأحد عشر.

وقد كشفت الحفائر التي أجريت خلف الهرم المدرج تحت إشراف الأستاذ زكريا غنيم بين عامي ١٩٥١و١٩٥٥م عن وجود هرم مدرج آخر ينتسب إلى سخم خت (٢٦١١ ـ ٢٦٠٣ ق. م) لم يكتمل البناء سواء في داخله أو تشييد مصاطبه المتدرجة. وقد أثار اكتشافه اهتمامًا عالميًا عندما عثربداخله على تابوت من المرمر بدا عليه أن أيدي اللصوص لم تعبث به، غير أنه ما إن رُفع غطاؤه حتى وُجد خاويًا. وقد رسّخ الممر الصاعد ـ الذي عُثر عليه مواجهًا لإحدى جهات هذا الهرم ـ صحة نظرية طريقة تشييد الأهرام من خلال الممرات الصاعدة التي كانت تتكئ على إحدى جهات الهرم وتزداد في ارتفاعها كلما تقدم العمل، ثم تزال عند الانتهاء منه.

سنفرو البنّاء العظيم

وضع الملك حوني (٢٥٩٩ ـ ٢٥٧٥ ق. م) آخر ملوك الأسرة الثالثة، حجر الأساس لهرم عظيم على طراز المدرجات في قرية ميدوم، بالقرب من بني سويف، لكنه مات قبل أن يتجاوز البناء درجته الأولى، فجاء خليفته سنفرو (٢٥٧٥ ـ ٢٥٥١ ق. م) وأكمل البناء، وملأ الذي

اعتقد عدد غير قليل من ملوك الأسرتين: الخامسة والسادسة أن الدفن في حرم الهرم المدرج بسقارة يضفي عليهم تقديسًا خاصًا، ويجلب لهم منافع، لا حصر لها. فاختار أوسركاف مكانًا لهرمه على مقربة من الركن الشمالي الشرقي لسور الهرم المدرج


هرم زوسر المدرج بسقارة

بين الدرجات بالطين، فبدأ الهرم الذي يرتفع إلى ٩٢ مترًا كصندوق ضخم، أو برج طويل متدرج بني فوق تل مرتفع. ويقع مدخله في الواجهة الشمالية فوق الدرجة السفلى من درجاته الثماني، وينحدر من المدخل ممر يجتاز أعماق صخر الهرم، وقد كشفت بعثة الآثار

كشفت الحفائر التي أجريت خلف الهرم المدرج تحت إشراف الأستاذ زكريا غنيم بين عامي ١٩٥١و١٩٥٥م عن وجود هرم مدرج آخر ينتسب إلى سخم خت (٢٦١١ ـ ٢٦٠٣ ق.م) لم يكتمل البناء سواء في داخله أو تشييد مصاطبه المتدرجة

المصرية الفرنسية في مايو/أيار عام ١٩٩٩م عن عدة حجرات بُنيت فوق هذا الممر لتخفيف الضغط عليه، وينتهي الممر ببئر عمودية تتجه إلى أعلى مخترقة أرضية حجرة الدفن في ركنها الشمالي.

وبالإضافة إلى هرم ميدوم بنى سنفرو ثلاثة أهرام أخرى: يقع أولها على الحافة الشرقية للفيوم فوق جبل سيلا، وقد اكتشفه العالم الألماني «بورخارد»، ويبلغ طول ضلع قاعدته ثلاثين مترًا، ويرتفع إلى سبعة أمتار. ويبدو أنه كان يتعدى ضعفي هذا الارتفاع، لكن العوامل الجوية أثرت في مبناه، وسببت له تلفًا بالغًا. وقد أثبت الدكتور نبيل سويلم - الذي كان يعمل مع بعثة «بريمج يونج» الأمريكية - أن هذا الهرم لم يكن مخصصًا للدفن؛ لأنه لم يعثر في داخله على حجرة خاصة لدفن مومياء الملك. وتؤيد ذلك الدراسة التي أجراها المعهد الألماني للآثار بواسطة العالمين كايزر ودراير عام ١٩٨٠م وأن هذا الهرم يشبه في تصميمه مجموعة الأهرام الستة المبكرة التي شيّدت في أوائل الأسرة الثالثة في مناطق «الفنتين»، و«أدفو»، و«كوم أمبو»، و«أبيدوس»، و«زاوية سلطان» و«الكوم الأحمر» وليس لها أي ملحقات هرمية ولا يوجد فيها حجرة للدفن أو تابوت أو أثاث للمتوفى، كما أنها خالية من النقوش. ومن ثم فكل هرم منها لا يعدّ مقبرة، بل نائبًا وممثلاً لوجود الملك في هذا المكان، حينما قلّتْ زيارته الملكية للأقاليم. وقد ذكرت تقارير هيئة الآثار المصرية «أنه تم الكشف عن لوحتين من الحجر الجيري تحملان اسم سنفرو في شرق هرم سيلا، توضحان أن هذا الهرم لم يكن إلا التل الأزلي الذي يشرف عليه قصر الفرعون سنفرو، الذي كان يستعمله كاستراحة بعيداً عن العاصمة».



هرم هوارة بالفيوم

والهرم الثاني هو «الهرم المنحني» بدهشور الذي يعلو إلى ١٠١م، وقد بُدئ بناؤه، ويرتفع بزاوية قدرها (٥٤.٣١)، ثم غيرت إلى (٤٢.٢١) بعد أن وصل البناء إلى ٤٩ متراً. ولو قُدر للبناء أن يتم بزاويته الأولى لارتفاع الهرم إلى أكثر مما هو متوقع، ويبدو أن هذا التغيير كان نتيجة للتشققات التي لاحت في الجدران الداخلية في أثناء البناء، فضلاً عن أن قاعدة الهرم ما كانت لتتحمل هذا الثقل، فكان لزامًا أن تقل زاوية الميل: مما ترتب عليه ظهور الهرم بذلك الشكل المنبعج، الذي لم يتكرر في أهرام مصر جميعها، خاصة أن الأحجار لم تبن في مستوى أفقي. وإنما تميل إلى الداخل على نحو أحجار هرم زوسر المدرج. ويمتاز الهرم المنحني بوجود مدخلين له: أحدهما في منتصف الجهة الشمالية، ويقود إلى ممرات تنتهي بحجرة كبيرة في داخله، والثاني من الجهة الغربية، ويقود إلى حجرة أخرى، ويصل بين القسمين نفق قصير متعرج.

وإلى الشمال بنحو كيلو مترين من «الهرم المنحني» يقع آخر هرم من سلسلة الأهرام التي بناها

وضع الملك حوني آخر ملوك الأسرة الثالثة، حجر الأساس لهرم عظيم على طراز المدرجات في قرية ميدوم، لكنه مات قبل أن يتجاوز البناء درجته الأولى، فجاء خليفته سنفرو وأكمل البناء، وملأ الذي بين الدرجات بالطين، فبدأ الهرم كصندوق ضخم

الملك سنفرو، وهو يعرف باسم «الهرم الأحمر» نسبة إلى المخربشات المكتوبة باللون الأحمر التي كانت تغطيه. وهو أقدم هرم تنطبق عليه كل صفات الهرم الحقيقي، حيث قاعدته مربعة وطول ضلعها ٢٢٠ مترًا، وارتفاعه ٩٩ مترًا كما أن كل وجه من وجوهه الأربعة على شكل مثلث، ويقع مدخله في الجهة الشمالية على ارتفاع ٢٨ مترًا، ويؤدي إلى ممر طوله ٦٠مترًا، ينتهي بدهليز أفقي بعده ثلاث حجرات متتالية. وقد بُنيت الأحجار المهذبة في الهرم الأحمر في مداميك أفقية فضلاً عن أنها كُسيت بالأحجار الجيرية الملساء من الخارج: مما جعل الهرم يجمع في ظاهره بين الفخامة والبساطة في آن واحد لذلك ليس غريبًا أن شيدت على منواله الأهرام العملاقة لأبنائه وأحفاده باقي ملوك الأسرة الرابعة (خوفو، وخفرع، ومنكاورع) إلا أنها تختلف عنه في الحجم وزاوية الميل والارتفاع وقطع الأحجار المستعملة في البناء.

الكنز المنسي في سقارة

اعتقد عدد غير قليل من ملوك الأسرتين: الخامسة (٢٤٦٥ ـ ٢٣٢٣ ق م) والسادسة (٢٣٢٣ ـ ٢١٥٠ ق.م) أن الدفن في حرم الهرم المدرج بسقارة يضفي عليهم تقديسًا خاصًا، ويجلب لهم منافع، لا حصر لها، فاختار أوسركاف (٢٤٦٥ . ٢٤٥٨ ق.م) مكانًا لهرمه على مقربة من الركن الشمالي الشرقي لسور الهرم المدرج، ويطلق على هرمه الآن اسم «الهرم المخربش». وعلى مسافة غير بعيدة منه يقع «الهرم الشواف»، الذي لم تتحدد نسبته إلى جدف كارع أسيسي (٢٣٨٨ ـ ٢٣٥٦ ق.م) إلاّ في خريف عام ١٩٤٥م عندما كشفت عنه مصلحة الآثار المصرية تحت إشراف إسكندر فاري. كذلك اختار تيتي (٢٣٢٣ ـ ٢٢٩١ ق.م) لهرمه منطقة بالقرب من هرم أوسركاف. بينما اختار خليفتاه: بيبي الأول (٢٢٨٩ ـ ٢٢٥٥ ق م) ومرن رع (٢٢٥٥ ـ ٢٢٤٦ ق.م) موقعين لهرميهما جنوب الهرم المدرج. وعلى الامتداد نفسه يقع هرم بيبي الثاني (٢٢٤٦ ـ ٢١٥٢ ق.م)

ويعدّ هرم بيبي الثاني أكبر من أي هرم من أهرام أسلافه المباشرين؛ إذ كان طول ضلع قاعدته عند بنائه ٨٤ مترًا، وارتفاعه العمودي ٥٦ مترًا. ولكن الدليل الوحيد على وجوده اليوم هو كوم التراب المرتفع في أقصى جنوب غرب صحراء سقارة. وهو يتفرد عن غيره من الأهرام الأخرى في ظاهرة واحدة فقط، وهي بناء إطار مربع من الأحجار الجيرية، يلف قاعدته ويرتفع إلى مستوى و متوسط بين المدماكين الثاني والثالث من كسوته، ويبدو أن تنفيذ هذا الإطار جاء فيما بعد نتيجة أملتها حادثة معينة، أو ربما أوجبه زلزال هز كيان البناء كله، فبُني هذا الإطار لزيادة متانته. وقد أكدت الحفائر التي قام بها جوستاف جيكيه بين عامي ١٩٢٦ و١٩٣٦م أنه لم تكن لهذا الهرم فتحة إلا في الناحية الشرقية، وكان ينحدر منها ممر يصل إلى حجرة

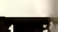
أبرز ما يلفت النظر في أهرام سقارة. هو ذلك الهرم الذي شيده أوناس بالقرب من الركن الجنوبي الغربي لسور الهرم المدرج. الذي يبلغ طول ضلعه ٧٢ مترًا. ومع أن مدخله يقع في الناحية الشمالية إلا أنه ليس في واجهة الهرم. بل تحت الأرضية

هرم سنفرو المنبعج بدهشور

الدفن التي عثر بداخلها على بعض قطع من أواني المرمر والديوريت نقش عليها اسم الملك، مع أسماء بعض ممن سبقوه وزوجاته.

ومن المعروف أن بيبي الثاني بنى ثلاثة أهرامات صغيرة خارج السور المحيط بهرمه، خصصها لزوجاته الثلاث (أوجين ـ وأبوت ـ ونيت)، أما زوجته الرابعة (عنخس)، التي تزوجها في آخر أيام حكمه الطويل، والتي عاشت بعده بمدة، فلم تدفن في هرم. ولم تكن أهرام هذه الملكات الثلاث إلا نسخًا مصغرة من هرم الملك، حيث شيّد كل منها بأحجار صغيرة استخدم في بنائها مونة من طمي النيل، وقد أمسك بعضها ببعض كسوة من الأحجار الجيرية.

يعدّ هرم بيبي الثاني أكبر من أي هرم من أهرام أسلافه المباشرين: إذ كان طول ضلع قاعدته عند بنائه ٨٤ مترًا، وارتفاعه العمودي ٥٦ مترًا. ولكن الدليل الوحيد على وجوده اليوم هو كوم التراب المرتفع في أقصى جنوب غرب صحراء سقارة



متون الأهرام

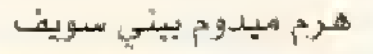
إن أبرز ما يلفت نظرنا في أهرام سقارة، بخلاف ما أسلفنا عنه الذكر، هو ذلك الهرم الذي شيده أوناس (٢٣٥٦ - ٢٣٣٢ ق. م) بالقرب من الركن الجنوبي الغربي لسور الهرم المدرج، الذي يبلغ طول ضلعه ٧٢ مترًا، ومع أن مدخله يقع في الناحية الشمالية إلا أنه ليس في واجهة الهرم، بل تحت الأرضية. وقد كان «ج ماسبيرو» أول عالم أثري فتح هذا الهرم ووجد أن كل الحجرات داخله بُنيت من الأحجار الجيرية، ما عدا الجدار الغربي من حجرة الدفن، والنصف الجنوبي من كل من الجدارين الشمالي والجنوبي أمام التابوت، الذي ظل سليمًا حتى الآن على الرغم من سرقة محتوياته من مدة طويلة.

ولعل أهم ما يسترعي الانتباه في هرم أوناس هو تلك السطور الرأسية من الكتابات الهيروغليفية التي تغطي جدران الردهة. والأجزاء المبنية بالحجر الجيري من حجرة الدفن، وتعرف هذه الكتابات باسم «متون الأهرام»، وهي ليست قصة متصلة، بل هي مجموعة من التعاويذ جمعت دون عناية كبرى بما تحويه، ودون أن يكون لها ترتيب خاص. وعلى الرغم من أننا نجد هذه المتون في أكثر من هرم من الفترات اللاحقة، إلا أن الموجود منها في هرم ما يختلف عن الموجود في هرم آخر. وكان الغرض من هذه المتون أن تضمن للفرعون السعادة في الحياة بعد الموت، إذ كان «سحر الكلمة المكتوبة قويًا لدرجة أن وجودها وحده يكفي ليضمن تحقيق الأفكار التي تعبر عنها»!

أبو صير في الذاكرة

اختار ثلاثة على الأقل من ملوك الأسرة الخامسة لأهرامهم هضبة على حافة الصحراء بالقرب من أبي صير. فبنى ساحورع (٢٤٥٨ - ٢٤٤٦ ق. م) هرمه في أقصى شمال الهضبة، ومع أن هرمه تهدم تهدمًا بالغًا، سواء من الخارج أو الداخل، إلاّ أن جزءًا كبيرًا من قلب بنائه ما زال سليمًا. وقد بلغ طول ضلع قاعدته عندما كان تامًا ٨٤ مترًا، وكان ارتفاعه نحو ٥٣ مترًا، ويقع مدخله في الواجهة الشمالية.

كذلك بنى نفرار كارع (٢٤٤٦ - ٢٤٢٦ ق م) هرمه على نمط هرم سلفه ساحورع، وعلى مسافة غير بعيدة إلى الجنوب منه. وعلى الرغم من أن العمل قد تم بصورة كبيرة في بناء هذا الهرم إلا أن نفرار كارع لم يمهله القدر ليراه شامخًا. فأراد خليفته نفرفرع (٢٤١٩ - ٢٤١٦ ق. م) أن يكمله، ولكنه مات هو الآخر قبل انتهاء العمل فيه. فأتمه ني أوسررع (٢٤١٦ - ٢٣٩٢ ق م) قبل أن ينجز هرمه هو الذي اختار له موقعًا متوسطًا بين هرمي سابقيه. وقد زاد ارتفاع


هرم ميدوم ببني سويف





هرم اللاهون بالفيوم

هرم ني أوسررع قليلاً عن ارتفاع هرم ساحورع.

حيل أغرب من الخيال

أدخل منتوحتب الأول (٢٠٦١ - ٢٠١٠ ق. م) أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة (٢١٣٥ - ١٩٩١ ق. م) نظامًا خارجًا عن النظام الموروث في بناء المقابر الهرمية، عندما بنى معبدًا بالدير البحري بالأقصر، ذا شرفة ومتصلاً ومندمجًا في هرم أمامه فناء زرعت فيه أشجار الأثل والجميز، لكن ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٣ ق. م) عادوا إلى طرازالأجداد مرة أخرى. فلما أتى أمنمحات الأول (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق. م) إلى الحكم شيّد باللبن هرمه من الداخل، وكساه من الخارج بالحجر الجيري، ويوجد هذا الهرم في اللشت جنوب دهشور. وقد حذا سائر ملوك هذه الأسرة، أمثال: سنوسرت الأول (١٩٧١ - ١٩٢٦ق. م)، وأمنمحات الثاني (١٩٩٢ - ١٨٩٤ ق. م)، وسنوسرت الثاني (١٨٩٧ - ١٨٧٨ ق. م)، وسنوسرت الثالث (١٨٧٨ - ١٨٤١ ق. م)، وأمنمحات الثالث (١٨٤٤ - ١٧٩٧ ق. م)، وأمنمحات الرابع (١٧٩٩ ١٧٨٧ ق. م) حيث تشاهد أهرامهم منتشرة

على الرغم من براعة التصميم الداخلي في أهرام هؤلاء الملوك؛ بغرض تضليل اللصوص، فإن محتوياتها الداخلية لم تسلم من أيدي العابثين. فضلاً عن أن رداءة بنائها الخارجي جعلت الخراب يحل بمعظمها

من مدخل الفيوم غربًا حتى دهشور واللشت شرقًا.

وعلى الرغم من براعة التصميم الداخلي في أهرام هؤلاء الملوك؛ بغرض تضليل اللصوص، فإن محتوياتها الداخلية لم تسلم من أيدي العابثين، فنهبت بطريقة أو بأخرى. فضلاً عن أن رداءة بنائها الخارجي جعلت الخراب يحل بمعظمها، لدرجة أن بعضها تقلص إلى كومة من الرمل أو الرديم. ويمكننا أن نستجلي ذلك بوضوح في هرمين من أهرام تلك الفترة: أولهما «هرم هوارة»، الذي يقع على بُعد تسعة كيلومترات شرق مدينة الفيوم، وقد شُيِّد من الطوب (اللبن) في عهد أمنمحات الثالث، ثم كُسي من الخارج بالحجر الجيري في أوائل عهد أمنمحات الرابع. ويبلغ ارتفاعه نحو ٥٨ مترًا، ويمتد طول كل ضلع من قاعدته إلى مئة متر. وقد سقطت قمته قبل قرون، وعُثر عليها إلى جواره. ويقع مدخله في الناحية الجنوبية. وقد عبّر أسلوب بنائه عن براعة المهندس المصري القديم من حيث الحيل الهندسية التي لجأ إليها لتضليل اللصوص. وذلك ببناء عدد كبير من الممرات المعقدة في قلب المبنى، التي تؤدي في النهاية إلى حجرة الدفن، وهي لم تكن مخصصة للملك فقط، بل أيضًا لابنته الأميرة نفروبتاح، ولكنها لم تدفن به، بل دفنت في مقبرة الكنوز الواقعة إلى جنوب الهرم التي كشفت عنها مصلحة الآثار عام ١٩٥٦م. وقد نجح العالم الإنجليزي سير فلندرز بتري عام ١٨٩٩م في دخول الهرم، والوصول إلى حجرة الدفن، التي وجدها ذات كتلة واحدة ضخمة من حجر الكوارتزيت، ويصل وزنها إلى ١١٠ أطنان، وليس لها باب، ولكن لها فتحة بالسقف سُدّت بكتلة ضخمة تزن نحو ٤٥ طنًا، ومع ذلك تمكن اللصوص من الوصول إلى حجرة الدفن، ونهبوا أهم ما فيها، وقد غمرت المياه قاع الهرم مما يهدده بالانهيار ما لم تتخذ التدابير اللازمة.

والهرم الثاني الذي يزخر قلبه بالممرات المعقدة هو «هرم اللاهون» الواقع شرق الفيوم بخمسة عشر كيلو مترًا، الذي يعود إلى سنوسرت الثاني. وهو يعدّ من أقل الأهرامات اقتصادًا في استخدام مواد البناء، حيث نواته الداخلية كتلة من الصخر الطبيعي. تعلو إحدى الربا. أحيطت من الخارج بجدران من الطوب (اللبن) حتى حددت المعالم الأساسية ثم غطيت هذه الجدران بالحجر الجيري. ويبلغ ارتفاع الهرم حاليًا ٤٨ مترًا، وقد لجأ المهندس القديم الذي صممه إلى أسلوب جديد يخفي من خلاله الممر المؤدي إلى حجرة الدفن؛ وذلك بحفر بئرين عموديتين خارج المبنى الرئيس للهرم، وإلى الجنوب منه، وهاتان البئران متصلة إحداهما بالأخرى، وقد أنزل عن طريق كبراهما تابوت الملك على عمق يبلغ ١٢ مترًا، وبعد اجتياز عدة ممرات معقدة يمكن الوصول إلى حجرة الدفن. وقد عُثر داخل بعض هذه الممرات على عدد من الفخاخ المنصوبة. التي ضبطت اللصوص الذين يدخلون الأهرام لسرقتها. وقد وُجد بالفعل رجال معلقون من الأرجل. وقد تم العثور بداخل حجرة الدفن على تابوت مصنوع من الجرانيت الوردي، ومائدة قرابين من المرمر، وثعبان كوبرا من الذهب يحتمل أن يكون جزءًا خاصًا من تاج الملك.

أدخل منتوحتب الأول نظامًا خارجًا عن النظام الموروث في بناء المقابر الهرمية. عندما بنى معبدًا بالدير البحري بالأقصر. ذا شرفة ومتصلاً ومندمجًا في هرم أمامه فناء زرعت فيه أشجار الأثل والجميز



مسلمون في الأمريكيتين قبل كولومبس

يوسف مروة

ترجمة: صلاح يحياوي

فالبرايسو ـ أمريكا

توحي عدة أدلة بأن مسلمين من إسبانيا ومن غرب إفريقية وصلوا إلى الأمريكيتين قبل كولومبس بخمسة قرون على الأقل. جاء في المدونات على سبيل المثال أنه في منتصف القرن العاشر، خلال عهد الخليفة الأموي عبدالرحمن الثالث (٩٢٩ ـ ٩٦١م) أبحر مسلمون من أصل إفريقي من مرفأ دِلْبا Delba (بالوس Palos) في "محيط الظلمات والضباب". وعادوا بعد غياب طويل بكثير من الغنائم من أرض "غريبة ولافتة للنظر".

كما يُعرف بوضوح وجلاء أن أناسًا من أصل مسلم قد رافقوا كولومبس، ومن جاء بعده من مستكشفين إسبان إلى العالم الجديد.

سقطت غرناطة، الحصن المسلم الأخير في إسبانيا، في أيدي النصارى عام ١٤٩٢م، تمامًا قبل تطبيق سياسة محاكم التفتيش الإسبانية. وقد فرّ كثيرون من غير النصارى، أو اعتنقوا الكاثوليكية لتفادي الاضطهاد. إن هناك على الأقل وثيقتين تتضمنان وجود مسلمين في أمريكا الإسبانية قبل عام ١٥٥٠م. وعلى الرغم من أن قرارًا أصدره كارلوس الخامس، ملك إسبانيا عام ١٥٣٩م يمنع أحفاد المسلمين ـ المسلمين الذين كانوا قد أعدموا حرقًا وهم مشدودون على الخوازيق ـ من الهجرة إلى جزر الهند الغربية (١). وقد صدّق على هذا القرار عام ١٥٤٣م، ثم كان أن نُشر أمر بطرد جميع المسلمين من الأراضي الإسبانية.

هناك عدة مراجع متوافرة عن وصول المسلمين إلى الأمريكيتين، وتلخص فيما يأتي:



كولمبس في الأرض الجديدة

وثائق تاريخية:

- جاء في كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، الذي خطه خلال حكم خليفة إسبانيا المسلم عبدالله بن محمد (٢) (٨٨٨ - ٩١٢م)، أن بحاراً مسلماً يدعى خشخاش بن سعيد بن أسود، من قرطبة في إسبانيا قد أبحر من دِلْبا (بالوس) عام ٨٨٩م، واجتاز الأطلسي، وبلغ منطقة مجهولة، وعاد بكنوز خيالية. إن هناك في خريطة العالم للمسعودي منطقة كبيرة في بحر الظلمات والضباب أشار إليها على أنها الأرض المجهولة (الأمريكيتان) (٣).

- روى المؤرخ المسلم المدعو أبو بكر بن عمر القوطية (٤) أن بحاراً مسلماً من غرناطة هو ابن فرّوخ أبحر خلال عهد الخليفة الإسباني المسلم هشام الثاني (٩٧٦ - ١٠٠٩م) من قادش (فبراير/شباط ٩٩٩م) في المحيط الأطلسي، ونزل إلى اليابسة في غاندو Gando (جزر الكناري (٥) الكبيرة) حيث زار الملك غواناريغا Guanariga، ومن ثم أقلع في اتجاه الغرب حيث رأى جزيرتين أطلق على إحداهما الاسم كبراريا Gapraria، وعلى الثانية الاسم بلويتانا Pluita-na، وعاد إلى إسبانيا في مايو/ أيار ٩٩٩م (٦).



كيف اكتشفت أمريكا ؟ سؤال يلهب أخيلة الفنانين

. أبحر كولومبس من پالوس (دلْبا) في إسبانيا. كان متجهًا إلى جمرة Gomera (جزر الكناري) . جمرة كلمة عربية تعني «قطعة متقدة من النار».. وهناك وقع في حب بياتريث بوباديّا Bobadilla ابنة القبطان العام للجزيرة (اشتق اسم الأسرة بوباديّا من الاسم العربي المسلم: أبو عبدالله) (٧). مع ذلك لم يكن من السهل على جماعة بوباديّا تجاهل ذلك. فيما بعد جاء بوباديّا آخر (فرانسيسكو) بصفته المندوب الملكي، فكبل كولومبس وعمل على نقله ليعود من سانتو دومينغو إلى إسبانيا (ت/ نوفمبر ١٥٠٠م). كانت أسرة بوباديّا تنتسب إلى السلالة الحاكمة العبّادية Abbadid (٨) لإشبيلية (١٠٣١-١٠٩١م). في ١٢ ت/ أكتوبر ١٤٩٢م نزل كولومبس في جزيرة صغيرة في الباهاماس Bahamas التي كان سكانها الأصليون يطلقون عليها الاسم غواناهاني Guanahani.

وأطلق عليها كولومبس الاسم سان سالفادور San Salva-dor. اشتق الاسم غواناهاني من Mandinka، ومن كلمات عربية محرفة. غوانا (إخوانا)، وهاني هو اسم عربي «هاني»، لذلك كان الاسم الأصلي للجزيرة «إخوان هاني» (٩).

كتب فرديناند كولومبس، ابن كريستوفر، عما كان أبوه يرى في السود الذين شاهدهم في هندوراس Handuras: «إن الناس الذين يعيشون في البعيد إلى الشرق من بوينته كافيناسPointe Cavinas كبعدهم عن كيب Cape هم حمدًا لله سود اللون».

في الوقت نفسه، في هذه المنطقة بالذات عاشت قبيلة



بورتريه لكريستوفر كولومبس في شبابه

من السكان الأصليين معروفة بالاسم Almamy. كانت كلمة Almamy في لغة الماندينكا وفي اللغة العربية تشير إلى Al- imam الإمام، أوAl imamu الإمام، الذي يُقتدى به في الصلاة، أو هو في بعض الحالات رئيس العشير، أو عضو في العشير الإمامي المسلم (١٠).

مذكرات

- كتب مؤرخ ولغوي أمريكي شهير يدعى ليو وينر Leo Weiner من جامعة هارفرد في كتابه «Africa and the Discovery of America» «١٩٢٠م»، «إفريقية واكتشاف أمريكا» «١٩٢٠م»، أن كولومبس كان مدركًا على نحو جيد لوجود الماندينكا في العالم الجديد، ولانتشار مسلمي غرب إفريقية في كل مكان من الأراضي الأمريكية الكاريبية والمركزية والجنوبية والشمالية، بما في ذلك كندا، حيث كانوا يتاجرون ويتزاوجون من هنود الإيروكويز iroquois والألغونكين Al Gonquin (١١).

استكشافات جغرافية

- كتب الجغرافي والخرائطي المسلم الشهير الشريف الإدريسي (١٠٩٩- ١١٦٦م) في كتابه الشهير «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» أن مجموعة الملاحين (من شمال إفريقية) أبحروا في بحر الظلمات والضباب (المحيط الأطلسي) من ليشبونة (البرتغال)، بغية اكتشاف ما كان فيه، وما مدى حدوده. بلغوا أخيرًا جزيرة كان فيها أناس وحراثة. في اليوم الرابع تحدث إليهم ترجمان باللغة العربية (١٢).

- أشارت كتب المراجع الإسلامية إلى وصف موثق على نحو جيد عن رحلة عبر بحر الظلمات والضباب بقلم زين الدين علي بن فضل المازانداراني AL- Mazandarani بدأت رحلته من طرفايه (في جنوب المغرب) خلال عهد الملك أبي يعقوب سيدي يوسف (١٢٨٦- ١٣٠٧م) السادس من سلالة المرينيين(١٣)، إلى الجزيرة الخضراء في البحر الكاريبي عام ١٢٩١م (٦٩٠هـ). وقد أشير إلى تفاصيل رحلته في المحيط

اعترف كولومبس في أوراقه أنه رأى مسجدًا على قمة جبل جميل في الوقت الذي كان مركبه يبحر قرب جيبارا على الشاطئ الشمالي الشرقي لكوبا. واكتشفت خرائبُ مساجد ومنارات مع كتاباتها بآيات قرآنية في كوبا





ما مدى إسهام المسلمين في رحلة كولومبس؟

في مراجع إسلامية، كما أن عدداً من العلماء المسلمين مطلعون على هذا الحدث التاريخي المدون (١٤).

ـ وصف المؤرخ المسلم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل العمري (١٣٠٠ـ ١٣٨٤م/ ٧٠٠ـ ٧٨٦هـ) بالتفصيل الاستكشافات الجغرافية فيما وراء بحر الضباب والظلمات التي قام بها سلاطين مالي، وذلك في كتابه الشهير «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (١٥).

ـ كان السلطان مانسو كانكان موسى Mansu Kankan Musa (١٣١٢ـ ١٣٣٧م) ملك الماندينكا Mandinka الشهير عالمياً ملك إمبراطورية مالي الإسلامية الإفريقية الغربية. في أثناء سفره إلى مكة لأداء فريضة الحج عام ١٣٢٤م أخبر مرة أخرى علماء بلاط مملوك بحري سلطان (الناصر ناصر الدين محمد الثالث (١٣٠٩ـ ١٣٤٠م)، في القاهرة بأن أخاه سلطان أبو بكري الأول (١٢٨٥ـ ١٣١٢م) قد باشر القيام بحملتين في المحيط الأطلسي. وعندما لم يعد السلطان إلى تمبكتو Timbuktu من الرحلة الثانية عام ١٣١١م، غدا مانسا موسى سلطان الإمبراطورية (١٦).

ـ تمكن كولومبس والمستكشفون الإسبان والبرتغاليون الأوائل الإبحار عبر الأطلسي (حتى مسافة قدرها ٢٤٠٠كم) بفضل معلومات جغرافية وملاحية إسلامية، وخاصة بخرائط صنعها تجار مسلمون، بما فيهم المسعودي (٨٧١- ٩٥٧م) في كتابه « أخبار الزمان» المعتمد على معلومات جمعت في إفريقية وآسيا (١٧). في الواقع كان لدى كولومبس قبطانان من أصل مسلم خلال رحلته الأولى عبر الأطلسي: كان مارتين ألونسو بينزون Martin Alonso Pinzon قبطان البينتا Pinta، وكان أخوه فيسنته يانث بينزون Vicente Yanez Pinzon قبطان التينا Tina. كانا ثريين وخبيرين في تجهيز السفن. ساعدا على تنظيم حملة كولومبس، وحضرا بارجة أمير البحر المدعوة سانتا ماريا Santa Maria. قاما بهذا على نفقتهما الخاصة لأسباب تجارية وسياسية. كانت أسرة بينزون على قرابة مع أبي زيان محمد الثالث (١٣٦٢ـ ١٣٦٦م) السلطان المغربي من سلالة المرينيين (١١٩٦ـ ١٤٥٦م) (١٨).

كتابات عربية (إسلامية)

- لقد برهن أنتروبولوجيون (علماء علم الإنسان) على أن المنديكوس Mandikos استكشفوا - بتعليمات من مانسا موسى - عدة أجزاء من أمريكا الشمالية عبر الميسيسيبي، وعبر أنظمة نهرية أخرى. تُبين كتابات وجدت في فور كورنرس (أربع زوايا) Four Corners، وأريزونا Arizona أنهم جلبوا أفيالاً إلى المنطقة (١٩).

- اعترف كولومبس في أوراقه أنه رأى مسجداً على قمة جبل جميل يوم الإثنين ٢٠ أكتوبر/ تشرين الأول ١٤٩٢م، في الوقت الذي كان مركبه يبحر قرب جيبارا Gi-bara على الشاطئ الشمالي الشرقي لكوبا. لقد اكتشفت خرائبُ مساجد ومنارات مع كتاباتها بآيات قرآنية في كوبا والمكسيك وتكساس ونفادا (٢٠).

- خلال رحلة كولومبس الثانية، أخبره هنود الإسبانيولا Espanola (هايتي) أن أناساً من السود كانوا قد وصلوا إلى الجزيرة قبل وصوله. وقدم هؤلاء الهنود إلى كولومبس رماح هؤلاء الإفريقيين المسلمين كبرهان على ذلك. كانت هذه الأسلحة مؤسلة بمعدن أصفر اللون أطلق عليه الهنود الاسم غوانين Guanin. وهي كلمة ذات اشتقاق غرب إفريقي، وتعني «سبيكة ذهب». وما يدعو إلى العجب أنها تنتسب إلى الكلمة العربية «غنى» Ghinar التي تعني «ثروة».

وصف هرنان كورتس رجل الغزو الإسباني ثياب النساء الهنديات ك "براقع طويلة". وثياب الرجال الهنود كـ "مآزر مصبوغة على أسلوب الأقمشة الموريسكية". وشبه فرديناند كولومبس ثياب السكان الأصليين القطنية بالشالات التي ارتدتها نساء غرناطة

كان كولومبس قد جلب بعض الغوانينات إلى إسبانيا. وعمل على اختبارها. فعلم أن تركيب معدنها كان ١٨ جزءًا من الذهب (٥٦,٢٥٪)، و٦ أجزاء من الفضة (١٨,٧٥٪)، و٨ أجزاء من النحاس (٢٥٪)، وذلك وفق النسبة نفسها التي للمعدن المنتج في حوانيت المعادن الإفريقية في غينيا (٢١).

- في عام ١٤٩٨م نزل كولومبس إلى اليابسة، في رحلته الثالثة إلى العالم الجديد في ترينيداد Trinidad، وشاهد فيما بعد القارة الأمريكية الجنوبية. وقد ذهب بعض بحارته إلى الشاطئ، فوجدوا سكانًا أصليين يستخدمون مناديل ملونة من قطن حيك على نحو مناظر، لاحظ كولومبس أن هذه المناديل شابهت أغطية رأس ومآزر غينيا بألوانها وشكلها ووظيفتها، أشار إليها بالاسمALmayzars وهو مفردها Almayzar وهي كلمة عربية: المئزر، أي الإزار أو الدثار أو الغطاء أو التنورة التي كانت لباس الموروس (المسلمون الإسبان أو الشمال إفريقيون) اللباس المستورد من غرب إفريقية (غينيا) إلى المغرب وإسبانيا والبرتغال. دهش كولومبس خلال هذه الرحلة من ارتداء النساء المتزوجات سراويل تحتية. ودهش متسائلاً من أين تعلم هؤلاء السكان الأصليون الاحتشام.

ووصف هرنان كورتس Hernan Cortes رجل الغزو الإسباني ثياب النساء الهنديات ك «براقع طويلة»، وثياب الرجال الهنود ك «مآزر مصبوغة على أسلوب الأقمشة الموريسكية». شبه فردينا ندكولومبس ثياب السكان الأصليين القطنية بالشالات التي ارتدتها نساء غرناطة، حتى إن تشابه أسرة الأطفال الشبكية الهزازة بتلك الموجودة في شمال إفريقية كان أمرًا خارقًا للطبيعة (٢٢).

- أدخل الدكتور باري فل Dr. Barry Fell (جامعة هارفرد) في كتابه «Saga America - 1980» «ساغة (٢٣) أمريكا -١٩٨٠م» بيانًا علميًا موثوقًا داعمًا لوصول المسلمين من شمال إفريقية وغربها قبل كولومبس بقرون اكتشف الدكتور فل وجود

كولومبس يقف عارضاً خطته أمام الملكة إليزابيث

مـدارس إسـلامـيـة في ڤـالـي آف فـاير Valley of Fire (وادي النار)، وآلان سبرينغ Allan Spring، ولوغومرسينو Logomarsi-no، وكـيـهـول Keyhole، وكـانـيـون Canyon، وواشـو Washoe، وهيكيسون ساميت باسHickison Summit Pass (نڤادا)، ومسا ڤردة Mesa Verde (كولورادو)، وميمبرس ڤالي Mimbres Val-ley (نيو مكسيكو) وتيبر كانو Tipper Canoe (إنديانا) تعود في تاريخـهـا إلى الأعـوام ٧٠٠- ٨٠٠م. وجـدت منقـوشـة على صخور غرب الولايات المتحدة القاحلة نصوص ومخططات وخرائط تمثل الشُّدف الأخيرة المتبقية على قيد الحياة لما كان مرة نظام مدارس في المستويين الابتدائي والعالي كليهما. كانت لغة التعليم اللغة الشمال إفريقية العربية مكتوبة بالخط العربي الكوفي القديم. تضمنت موضوعات التعليم كتابة، وقراءةً، وحسابًا، وديانةً، وتاريخًا، وجغرافية، ورياضيات، وفلكًا، وملاحة بحرية. إن سلالات زوار أمريكا الشمالية المسلمين هم أعضاء الشعب الأصلي الحالي من الإيروكويس Iroquois، والألغونكين Algonquin، والأناسازي Anasazi، والهوهوكام Hohokam، والألمك Olmec ... (٢٤).

. هناك ٥٦٥ اسمًا لأماكن (قرى، بلدان، مدن، جبال، بحيرات، أنهار ... إلخ) في الولايات المتحدة ٤٨٤، وكندا ٨١، اشتقت من جذور إسلامية وعربية. كان السكان الأصليون من قبل قد أطلقوا أسماء على الأماكن قبل الأدوار الكولومبية. تحمل بعض هذه الأسماء معاني مقدسة من مثل: مكّة Mecca٧٢٠ ساكنًا (أنديانا) ومَكة Mekka قبيلة هندية (واشنطن)، ومدينة Medina ٢١٠٠ (أيداهو)، ومدينة Medina- ٨٥٠٠ (نيويورك)، ومدينة Medina – ١١٠٠٠، وحزن Hazen- ٥٠٠٠ (داكوتا الشمالية)، ومدينة Medina، ١٧٠٠/ مدينة Medina . ١٢٠٠٠٠ (أوهايو)، ومدينةMedina . ١١٠٠(تنسي)، ومدينة Medina . ٢٦٠٠٠ (تكساس)، ومدينة

Medina ـ ١٢٠٠ (أونتـاريو)، ومـحـمـد Mohamet ـ ٣٢٠٠ (إيليـوي)، ومنى Mona ـ ١٠٠٠ (أوتان)، ورأفـا Arva ـ ٧٠٠ (أونتاريو) ... إلخ. إن دراسة دقيقة لأسماء القبائل الهندية من السكان الأصليين تكشف أن عـدداً من الأسـمـاء هي أسماء مشتقة من جذور وأصول عربية وإسلامية؛ على سـبـيـل المثـال: Anasazi، وApache، و Arwak، وMahigan، وMohawk و Nazca، وZulu، وZuni ... إلخ.

اعتماداً على الملاحظات التاريخية والجغرافية واللغوية صدرت دعوة إلى جميع الدول الإسلامية حول العالم لإحياء ألفية الوصول إلى الأمريكيتين ، قبل كولومبس بخمسة قرون.

المراجع والهوامش

١. جزر الهند الغربية: اسم أطلق في البداية على أمريكا. ذلك أن كولومبس عندما وصل إليها تخيل - بسبب الفكرة التي تكونت لديه لأبعاد الأرض - أنه قد اكتشف فقط الشاطئ الشرقي من الهند. (المترجم).

٢. عبدالله بن محمد: أمير قرطبة الأموي السابع ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ ٨٨٨ - ٩١٢م)، تولى بعد أخيه المنذر، احتفظ بصعوبة بالنفوذ الأموي في الأندلس وتغلب على فتنة المولدين وعرب إشبيلية والبيرة. (المترجم).

٣. المسعودي، «مروج الذهب»، المجلد١، ص ١٣٨.

٤. القوطية (ابن محمد بن عمر، أبو بكر) (ت ١٩٧٧م): مؤرخ، لغوي، شاعر أندلسي ولد وتوفي بقرطبة، كان من أعلم علماء عصره باللغة والأدب. درس في قرطبة وإشبيلية. من مؤلفاته «تاريخ افتتاح الأندلس» «كتاب الأفعال وتصاريفها». (المترجم).

٥. كناري أو الجزر الخضراء: أرخبيل إسباني في المحيط الأطلسي بالقرب من المغرب ٧٢٧٣ كم٢، سماه العرب الجزائر الخالدات. كان جغرافيو اليونان والعرب يبدأون به عدَّ درجات الدائرة الأرضية. (المترجم).

6- On Manuel Osunay Savinon, Resumen ole la Geognrafi Fisica Santa Gruz de Tenerife, 1844.

٧. لفظ (أبو) في اللغة الدارجة الشمال إفريقية يحذف الألف فيقال (بو)، وهكذا أبو عبدالله تغدو بو عبدالله؛ كما أن اللام المضعفة (ll) تلفظ ياء في اللغتين الإسبانية والفرنسية، وهكذا فإن لفظ «أبو عبدالله» يغدو «بو باديا».

٨. بنو عباد: سلالة تعود بنسبها إلى ملوك الحيرة اللخميين، حكمت إشبيلية (ملوك الطوائف) (٤١٤ - ٤٨٤هـ/ ١٠٢٣، ١٠٩١م) أسسها محمد بن عبّاد قاضي قرطبة. أشهر ملوكها: عبّاد بن محمد المعتضد ومحمد المعتمد، ابن المعتضد. قضى عليها المرابطون. (المترجم).

9- Obregon, Mauricio, the columbus papers, the Barcelon Letter of 1493 the Landfall Controversy, and the Indian Guides, Mcmillan co., New York.

10- Cauvet, Giles. Les Berberes ol l,Amerique, paris 1959- P.232.

11- WEINER, LED. Africa and the Discovery of America, Philadelphia, 1920, Vop.2 o. 365 -6.

١٢. الإدريسي، «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق».

١٣. بنو مرين: سلالة بربرية حكمت مراكش (١١٩٧ - ١٤٦٨م) شادوا دولتهم على أنقاض دولة الموحدين فاحتلوا مراكش ١٢٦٩م. غزوا الأندلس، واشتهر بين ملوكهم أبو الحسن الذي احتل تلمسان ١٣٣٧م، وابنه أبو عنان ١٣٤٨م. ازدهر البلاط الفاسي في عهدهم ولمع ابن خلدون وابن الخطيب وابن بطوطة. أسسوا جامعة القرويين في فاس.

١٤. آغا حكيم، الميرزا «رياض العلماء»، المجلد ٢، ص ٢٨٦/ المجلد ٤، ص ١٧٥.

- الأمين، سيد محسن «أيام الشيعة»، المجلد ٧ ص ١٥٨، المجلد ٨، ص ٢٠٢و٢٠٣.

- الأصفهاني، الراغب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، المجلد ١٦، ص ٣٤٣.

١٥. مرجع سابق Cauvet, Giles,

16- Huyge, Patrick, clolumbus was last, New York 1992.

١٧. المسعودي، مرجع سابق.

١٨. مرجع سابق Obregon, Maurico,

19- WILKINS, H... T. Mysteries of Ancient South America, New York 1974.

- Winters, Clyde Ahmed, Islam in Early North and South America, Al - Itti-hod, July 1977, P.60.

٢٠- مرجع سابق Obregon, Maurico,

21- Thacher, John Boyd, Christopher* columbus, New York 1950, P.380.

22- Columbus, Fedrnand, the life of Admird Christopher Columbus Rut-gers Univ. press, 1959. p. 232.

٢٣. Saga ساغة: كل قصة زاخرة بالأعمال البطولية. (المترجم).

24- Fell, Barrt, Saga American, New York, 1980. - Gordon, Ctrus, Before Columbus, New York, 1970.

مراجع أخرى

- Davies, Nigel, Voyayers to the New World, New York 1979.
- Fell, Barry, American BC, New York, 1980.
- Gyr, Donald, Exploring Roch Art, santa Barkra 1989.
- Van Setima, Ivan, African Presence in Early America, New Brunsurch NJ 1987.
- VAN Setima, Ivan, They Come Befor Columbus, New York 1987.
- VON Wuthenau, ALEX, unexpected Fact in Ancient America, New York, 1995.



أيها المستهلكون:

قــراءة في تقــرير حــالة العــالم ٢٠٠٤م

رجب سعد السيد

الإسكندرية ـ مصر

يبلغ تعداد مجتمع المستهلكين في العالم بليونًا وسبعمئة مليون آدمي. إنه المجتمع المسؤول عن الضغوط الواقعة على الأنظمة البيئية، بما ينتج منها من مستودعات قمامة متخمة، واستنزاف للموارد الطبيعية، وانتشار لظاهرة البدانة، بكل مدلولاتها، بين عدد كبير من ينتمون إلى هذا المجتمع.

إن شهية مجتمع المستهلكين تزدرد كل الفرص لتحسين أحوال الحياة، لمصلحة كل من أغنياء العالم وفقرائه، على السواء: فأعضاء هذا المجتمع يفرطون في استهلاك السلع والبضائع والخدمات على نحو يضرب عرض الحائط بكل مفهوم لمعنى الاستدامة؛ فذلك السلوك الاستهلاكي الجامح يدوس في طريقه كل شيء، ويسيء إلى حياة المستهلكين أنفسهم، ويجعل العالم يفقد اتزانه الطبيعي، ويترنح!. وفي مقابل هذا المجتمع المتخم، يوجد مجتمع آخر من الجوعى والفقراء والمشردين، يبلغ تعداده بليونين وثمانمئة مليون إنسان. إن أحدًا لا يمكنه إنكار أن الاستهلاك ضروري لإقامة الصناعات وتنشيط حركة التجارة، وخلق فرص عمل جديدة؛ ولكن زيادته بهذا المعدّل غير المسبوق، كفيلة بتقويض أسس أنظمة الأرض الطبيعية، التي تعتمد عليها حياة كل البشر، مما يجعل الفقراء أشدّ بؤسًا.

إن هذا المجتمع الاستهلاكي يقوم على، ويدعم ـ في الوقت ذاته ـ ما يمكن تسميته بالصناعات الإتلافية، مثل صناعات السيارات، ومرابي الدواجن، وصناعات



الأخشاب. وعلى الرغم من قوة هذه العلاقة، فمن الممكن مدافعتها. إذا تبنى قطاع الأعمال والحكومات ومؤسسات المجتمع المدني خططًا لتشجيع المنتجات الأقل خطرًا على البيئة.

وكما سبق أن أشرنا، فإن للاستهلاك فوائده؛ ولكن معدلاته الحالية، وبخاصة عند كبار المستهلكين، في الولايات المتحدة وغيرها من الأمم الغنية، فاقت كل حدود، وتجاوزت قدرة الأرض على التحمّل؛ وأحيانًا، تبدو الحالة مستعصية؛ وعلى سبيل المثال، لا يزال ٩٠٪ من الورق المستهلك في العالم يأتي على حساب أشجار الغابات، إذ تأكل صناعة الورق، في الوقت الراهن، خمس ما يستقطع من هذه الأشجار. أما المخزون السمكي العالمي، فقد جارت عليه شباك الجرّ القاعية، التي تكتسح كل ما تقابله على قاع المحيط، فكانت النتيجة أن تعرّض ٧٥٪ من مساحة مسامك العالم المهمة لاهتزازات في مخزونها، مما يعني تناقص إنتاجيتها مستقبلاً بشكل يؤثر في كل ممن يفرطون في استهلاك الأسماك، وأولئك الذين يأملون أن يروها - يومًا ما - على موائدهم!



التلوث يضرب الهواء والماء والأرض

وفي الذكرى الثلاثين لتأسيس هيئة (وورلد ووتش انستيتيوت) - مرصد العالم - يصدر هذا العدد من تقرير (حالة العالم)، ليهتم برصد توجهات مجتمع المستهلكين، وليخبرنا كيف نستهلك، ولماذا، وتبعات خياراتنا الاستهلاكية على الحالة العامة للبيئة البشرية على الأرض، وعلى رفاق لنا في الإنسانية، يشاركوننا الحياة في هذا الكوكب المرهق.

ويشتمل هذا التقرير على فصول للطعام، والماء، والطاقة، والسياسات الاستهلاكية؛ بالإضافة إلى فصل يحاول أن يحدد لنا ملامح ومعنى (الحياة الطيبة)؛ وقد شارك في كتابة هذا التقرير خبراء اختصاصيون، حاولوا - في مجمل إسهاماتهم - أن يجيبوا عن سؤال مهم، هو: هل بإمكاننا، نحن البشر، أن نحقق مجتمعًا إنسانيًا أقل استهلاكًا؟ ويؤكد التقرير في عموميته،

المثير للدهشة والاستغراب أن هؤلاء الفقراء الذين لا يقدرون على الإنفاق الاستهلاكي، يعيشون في بلاد غنية بالموارد الطبيعية، التي تتسرب إلى أغنياء العالم وغلاة المستهلكين عبر حركة تجارة عالمية متزايدة، بمباركة أنظمة إدارة (وطنية) يضربها الفساد

على أن مثل هذا المجتمع ضرورة.

ويشير التقرير، في الفصل الأول، إلى أن عالمنا المعاصر ينتج ويستهلك بمعدل أكبر من مجمل ما أنتج واستهلك، على مرِّ تاريخ البشرية؛ إذ ينتج عمال الصناعة المعاصرون، في أسبوع واحد، ما كان نظراؤهم، بالقرن الثامن عشر، ينتجونه في أربع سنوات!. أما عن الاستهلاك، فيكفي أن نرجع إحصائية بسيطة، تقول أرقامها: إن قيمة الإنفاق الاستهلاكي الخاص؛ أي: ما أنفقه الأفراد على السلع والخدمات، قد تضاعف أربع مرات، في الأربعين سنة الأخيرة من القرن العشرين، ووصل إلى ٢٠ تريليون دولار، في عام ٢٠٠٠م.

ومن ملامح هذا العالم، أيضًا، أن حدود طبقة

ملامح هذا العالم، أيضًا، أن حدود طبقة المستهلكين، التي كانت قاصرة، فيما مضى، على أغنى أغنياء العالم بأوربا وأمريكا الشمالية واليابان، قد اتسعت، ودخل فيها (أغنياء جدد)، ينتمون إلى الطبقات المتوسطة، في الصين والهند وكثير من الدول النامية

المستهلكين، التي كانت قاصرة، فيما مضى، على أغنى أغنياء العالم بأوربا وأمريكا الشمالية واليابان، قد اتسعت، ودخل فيها (أغنياء جدد)، ينتمون إلى الطبقات المتوسطة، في الصين والهند وكثير من الدول النامية، حتى أصبح تعداد هذه الطبقة بليوناً وسبعمئة مليون مستهلك عالمي لهم اختياراتهم الخاصة من الطعام، ولا يكفون عن السفر والانتقال من مكان إلى آخر في أنحاء الدنيا، بما يتفق وأساليبهم في العيش؛ ثم إنّ السلوك الاستهلاكي قد تجاوز وظيفته الأساسية وهي إشباع كل الرغبات، وتحقيق كل الأحلام في حياة رغدة هانئة، فأصبح هدفًا بحدّ ذاته.

كما أن هذا العالم المعاصر مملوء بالمتناقضات، فبينما طبقة المستهلكين متخمة، يصارع بليونان وثمانمئة مليون من سكان العالم، من أجل الاستمرار في الحياة، اعتماداً على دخل فردي لا يزيد على دولارين، في اليوم الواحد؛ وبين هؤلاء المعدمين، بليون إنسان لا يجدون سبيلاً إلى مياه تصلح للشرب. كما أن توزيع المستهلكين في العالم يضيف إلى هذه التناقضات ما يؤكدها؛ فالمستهلكون الأغنياء في الشمال الأمريكي والغرب الأوربي، وهم لا يمثلون إلا ١٢٪ من تعداد سكان العالم، يبلغ نصيبهم ٦٠٪ من مجمل الإنفاق الاستهلاكي العالمي، بينما لا تزيد نسبة إنفاق ٣٣٪ من سكان العالم، وهم فقراء جنوب آسيا وجنوب الصحراء في إفريقية، على ٢ أو٣٪. والمثير للدهشة والاستغراب أن هؤلاء الفقراء الذين لا يقدرون على الإنفاق الاستهلاكي، يعيشون في بلاد غنية بالموارد الطبيعية، التي تتسرب إلى أغنياء العالم وغلاة المستهلكين عبر حركة تجارة عالمية متزايد، بمباركة أنظمة إدارة (وطنية) يضربها الفساد!. ويجدر بنا، هنا، أن نتوقف لنراجع مقولة وردت إلينا من الغرب - وليس كل ما يأتي

من الغرب يسرّ القلب! . هي (الاستدامة)، أو أي ترجمة تشاء للإصلاح الأعجمي Sustainability، الذي يعني، في ظاهره، تقنين أو ترشيد استهلاك الموارد الطبيعية، حتى لا ننهك قدراتها الإنتاجية، لتخدمنا في الوقت الراهن، ولتظل محتفظة بقدرتها على خدمة أجيال تالية؛ وثمة شواهد كثيرة تكشف ما وراء هذا المفهوم: ففي وجود الأنظمة الإدارية الفاسدة، والحيتان من التجار، تتسرب هذه الموارد، لتغذي أنماط الاستهلاك في الدول الغنية، التي تملك شراء منتجات هذه الموارد الطبيعية، ومعها ضمائر نفر من القائمين على إدارتها، متسترين وراء فكرة الاستدامة، التي هي، في واقع الأمر ليست أكثر من (سقف)، لا يجب على مؤسسات التنمية الوطنية تجاوزه، وإلا اتهمت بالإساءة للأنظمة البيئية ومواردها الطبيعية !.

إن من حق هؤلاء الفقراء أن يجدوا ما ينفقونه على سلع وخدمات تحسّن أحوالهم المعيشية؛ أما أن تستمر الصورة على ما هي عليه، وأن يمضي العالم بهذا المسار المختل، فهذا أمر منذر بالخطر، وذلك لأن الأنظمة البيئية الطبيعية لا يمكنها أن تحتمل أكثر من هذا الوضع الذي ترسّخ في القرن العشرين، وبات يمثل تحدياً حقيقياً للبشرية، في القرن الحالي.

ويخلص هذا الفصل إلى أننا نحن البشر بحاجة إلى إعادة النظر في أساليب استهلاكنا، وإعادة ترتيب أولوياتنا الاستهلاكية، فلا يكون تركيزنا على إنتاج هائل الحجم من سلع تغرق الأسواق، بل يسبقه توجه إلى تحقيق حياة أفضل، تأسيساً على نوعية أفضل، وليس أكثر، من السلع والخدمات، تتضاءل أضرارها البيئية.

ويفرد التقرير الفصل الثاني لاستهلاك الطاقة، فلا أحد يستغني عنها، فعليها تقوم كل عمليات إنتاج مقومات الحياة، من طعام وشراب وملبس ومسكن. وقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطوراً كبيراً في كفاءة استخدام الطاقة، وكان ذلك أجدر بأن يخفف من الضغط على مصادرها؛ غير أن ذلك لم يحدث إذ صاحب ذلك التطور تبدلات هائلة في أساليب حياة طبقة المستهلكين المعاصرين، فازداد نهمها للطاقة، لتركب سيارات أكثر وأكبر وأسرع، ولتعيش في منازل لا تتوقف فيها أجهزة التكييف، وغيرها من أجهزة كهربائية منزلية.. عن العمل؛ ومن جانب آخر، أصبحت موارد الطاقة بالعالم محدودة القدرات، ولم تعد قادرة - يقول التقرير - لكل إنسان في العالم رغبته في أن يعيش بأسلوب حياة الفرد الأمريكي أو الأوربي متوسط الحال. حسناً، لقد غاب عن محرر هذا الفصل من التقرير أن أطماع من يعانون عوز الطاقة في العالم أقل من ذلك بكثير، فهم لا يتطلعون - في الغالب - إلى نمط الحياة الأوربية أو الأمريكية، بل يرضيهم قدر من الطاقة يفي بحاجتهم الضرورية من الضوء، ليأمنوا ويتعلموا، وليضخوا المياه، ليشربوا ويزرعوا لقمة عيشهم وقد تصل أحلام الطاقة عندهم إلى (السقف) إذا فكروا في ثلاجة كهربائية تحفظ أطعمتهم !؛ فالبون شاسع بين أغنياء العالم وفقرائه من الطاقة، إذ يستهلك الفقراء أقل من الأغنياء بمقدار ٢٥ مرة. إننا نتحدث هنا عن أغنياء مسرفين، بينما يوجد

إن هذا العالم المعاصر مملوء بالمتناقضات. فبينما طبقة المستهلكين متخمة، يصارع بليونان وثمانمئة مليون من سكان العالم، من أجل الاستمرار في الحياة، اعتماداً على دخل فردي لا يزيد على دولارين في اليوم، وبين هؤلاء المعدمين بليون إنسان لا يجدون مياهاً تصلح للشرب



من مظاهر الفقر في شوارع الدول المتقدمة

أغنياء يستهلكون الطاقة بغير إفراط، ويعيشون حياة طيبة؛ وثمة مثالان واضحان على ذلك: اليابان، والنرويج؛ حيث يرتفع مستوى معيشة الأفراد، بينما يقل كثيراً معدّل استهلاك الفرد من الطاقة عن نظيره الأمريكي.

وعلى كل حال، فإن بيد الحكومات أن تفعل الكثير من أجل استدامة الطاقة وتخضيرها، أو بمعنى آخر، تنظيف وترشيد إنتاجها واستهلاكها، صونا لمواردها، وحماية للبيئة؛ فيمكنها - على سبيل المثال - تبني سياسات للطاقة تعتمد على قوانين حازمة ومعايير قياسية، تدعم الملتزمين، وتفرض الضرائب على المخالفين. كذلك، يمكن للأفراد أن يؤثروا في قضايا الطاقة، بمراجعة القرارات اليومية، التي يتخذونها كمستهلكين، فلا يقبلوا على المنتجات والخدمات التي تستهلك كميات كبيرة من الطاقة؛ كما يمكنهم - كرأي عام، وكأعضاء في مؤسسات المجتمع المدني - التأثير في مراكز صنع سياسات إنتاج الطاقة واستهلاكه.

ويتناول التقرير، في الفصل الثالث، مسائل إنتاج المياه العذبة واستهلاكها، وهي مسائل حاكمة في خطط التنمية؛ فالمجتمع الآمن، الذي يتوخى أن يتوافر لبرامج التنمية فيه عنصر الاستدامة، هو الذي يسعى إلى تلبية احتياجات أفراده من المياه، دون أن يجور على الأنظمة البيئية؛ ويرى محرر هذا الفصل من التقرير أن هذا الهدف قابل للتحقق، بتنظيم الجهود، في مواجهة تحديات حقيقية ...

لقد تعاظم تأثير البشر في أنظمة المياه العذبة ومواردها، في نصف القرن الماضي مع تزايد تعداد سكان العالم، وتبدل أساليب استهلاكهم للمياه، فتضاعف الطلب على المياه ثلاث مرات، خلال هذه المدة؛ وقد استدعى هذا الطلب المتزايد إنشاء مزيد من السدود في العالم؛ فقفز عددها من ٥ آلاف سد، في عام ١٩٥٠م، إلى ٤٥ ألف سد، في عام ٢٠٠٤م. ويسجل التقرير ملاحظة مهمة، وهي أن المراقبين - في مجملهم - لا يهتمون إلاّ بتسجيل الجوانب الإيجابية لهذه القفزة الهائلة في عدد السدود ومشروعات الري وتنظيم المياه العذبة في العالم، متجاهلين، أو مهونين من كلفتها الاجتماعية والبيئية، المتمثلة في النازحين والمهجرين، وتمليح التربة الزراعية، وتغير أنظمة المصايد، وفقدان أنواع من الكائنات المائية المهمة؛ وفي معظم الأحيان، تحسم القضية لمصلحة المشروعات التي توفر المياه لخطط التنمية؛ والتحدي هنا، هو: كيف يتحقق التوازن بين إيجابيات هذه المشروعات وسلبياتها.

ومن التحديات التي تطرحها قضية موارد المياه العذبة في العالم، أيضاً، التباين الشديد في الاحتياجات

وأنماط استهلاك المياه العذبة في العالمين، الفقير والغني؛ فأولى الأولويات في الأول، الذي يسمى - دائمًا - بالنامي، هي إمداد الناس بحاجاتهم الضرورية من المياه النظيفة والمرافق الصحية، غير أن القدرات السياسية والتمويلية، في كثير من الدول التي تنتمي إلى هذا العالم، تعاني قصورًا يعجزها عن توفير هذه الاحتياجات الأساسية. على العكس من ذلك يتخذ التحدي، في عالم الأغنياء، شكلاً آخر، حيث تعجز إدارات إنتاج المياه وتوزيعها في العالم الصناعي المتقدم، عن كبح جماح استهلاك المياه في أغراض ترفيهية، مثل ري مروج رياضة الجولف! وعلى الرغم من هذا التباين في الاحتياجات وأنماط استهلاك المياه العذبة يشترك العالمان، الصناعي والنامي، في تلويث كميات كبيرة من هذه المياه وإهدارها؛ وأيضًا في الحاجة إلى تفعيل كفاءة الإدارات القائمة على استهلاك المياه.

ويدعونا الفصل الرابع من التقرير إلى أن ننظر، كأفراد، إلى قوائم طعامنا. إن كلمة (أفراد) تعني ٦بلايين إنسان، هم سكان البسيطة؛ ولك أن تتخيل حجم تأثير قرارات يجتمع عليها هذا العدد الهائل من البشر - أو، حتى - نصفه - فيما يخص الطعام فقط: فمجمل احتياجاتنا كمستهلكين هو الذي يحدد طرائق الإنتاج وأساليب الاستهلاك؛ وعلى هذه القوة المستهلكة، وهي تنتقي أطعمتها، أن تكون على وعي بالأنظمة الزراعية والتصنيعية المنتجة للطعام، وأن تنحاز إلى جانب تلك التي تراعي صحة الآكلين وسلامة البيئة. إن بعضنا يتناول أطعمة لا يعرف عنها إلا الدولة التي صنعت فيها، كما تقول البيانات على عبواتها. لقد تضخمت أنشطة تجارة المواد الغذائية، وباعدت بيننا وبين مواقع إنتاج هذه الأغذية وتصنيعها، ولم يقتصر هذا التباعد على الجانب الجغرافي، بل إن ثمة تباعدًا نفسيًا؛ فإنك حين تعرف أين وكيف يصنع الطعام الذي تضعه على مائدتك، ويلتف حوله أفراد أسرتك، ينشأ لديك حال من الاطمئنان، تفتقده في حالة العكس. فعلينا، كمستهلكين، إدراك أن الأطعمة التي تصنع وتغلف، وتقطع آلاف الأميال، في عمليات نقل وتوزيع، قبل أن تصل إلى موائدنا، يتعدّى ثمنها ما ندفعه من جيوبنا؛ فثمة كلفة إضافية، متمثلة في التبعات البيئية والصحية المترتبة على إنتاجها وشيوعها بين الناس؛ وأهم هذه التبعات: صور من التلوث المرتبط بعمليات الإنتاج - ازدياد ظاهرة البدانة - تراجع عادة الاجتماع حول الوجبات، أمام النزعة إلى (التقاط) الوجبات السريعة (تيك أواي) !.

ومن جهة أخرى، يجعلنا أسلوب استهلاك الطعام، واختيارنا لما نأكل، عرضة لأخطار صحية كثيرة؛ وعلى سبيل المثال، يعاني ٦٥٪ من الأمريكيين درجات متفاوتة من السمنة تكلفتها: ٣٠٠ ألف حالة وفاة، سنويًا بالإضافة إلى مصاريف الرعاية الصحية التي بلغت، في عام ١٩٩٩م وحده ١٧٧ بليون دولار؛ إن ذلك يدعونا إلى مراجعة اختياراتنا وأساليبنا الغذائية؛ وقد تكون الخطوة الأولى في هذه المراجعة هي تأسيس معايير صحية للطعام، توفر لنا السلامة، فلا نكتفي بمعيار وحيد، مثل محتوى الطعام من السعرات الحرارية؛ فمن حقنا - بل من واجبنا إزاء

من الطبيعي أن تثير هذه التوجيهات الاستهلاكية الجامحة سخط بعض أنصار البيئة وصانعي السياسات الاقتصادية؛ وقد تمخض ذلك عن بعض الأفكار والإجراءات المقترحة، التي يرونها كفيلة وقف هذه الموجة الاستهلاكية المندفعة



مطالبة بإعادة النظر في معنى الحياة الطيبة

أنفسنا وإزاء بيئتنا - أن نتحقق من أن ما نأكله خال من المواد الحافظة المشبوهة، ومن المبيدات والهورمونات والمضادات الحيوية؛ وهي كلها كيماويات تضر بصحة البشر وسلامة البيئة. وبالإضافة إلى هذه المعايير الضرورية، فإن بمقدور (الآكلين) أن يحدثوا تغييرات عميقة ومؤثرة، من خلال ما يضعونه على موائدهم، إذا قللوا من اللحوم وقاطعوا المنتجات الزراعية المعتمدة على الكيماويات، ولم يهتموا بالطعام المستورد القادم من بعيد، لمصلحة المنتج المحلي. وعلى أي حال، فإذا لم يكن لنا حيلة في اختيار طعامنا، وإذا كان علينا أن نأكل ما يقدم لنا،

فمن حقنا - كأكاديميين - بل من مسؤوليتنا، أن نعرف أسلوب إنتاج هذا الطعام الذي أرغمنا على ازدراده!.

ويتعرض الفصل الخامس من التقرير للعلاقات بين النظام الاقتصادي وأساليب الاستهلاك؛ فيشير إلى أن معظم الأنظمة الاقتصادية في العالم الصناعي لا يهتم بإنتاج سلع معمّرة، بقدر اهتمامه بالسلع الوقتية، أي تلك التي تستخدم لمرة واحدة ثم تهمل، لعيون المستهلك - حين يحتاج إليها مجدداً - ليشتريها مرة ثانية، وثالثة ... إلخ. ويساعد على إقرار هذا النمط الاستهلاكي سهولة إنتاج كميات ضخمة من تلك السلع، وانخفاض ثمنها نسبياً. ومن جهة أخرى، فقد عمل السلوك الاستهلاكي الجامح على ترسيخ هذا التوجه الاقتصادي، كما غذته رغبة دائمة في تحقيق معدلات متزايدة من النمو الاقتصادي. وقد أدى ذلك كله إلى سحب البشرية إلى شفا هوّة بيئية سحيقة: فنحن نعيش في عالم فرط جانب من سكانه في استغلال موارده، بل جاروا عليها؛ ومن ناحية أخرى، فإن التلوث يضرب هواء الأرض ومياهها، التي اختل مناخها وتدهورت أحوال أنظمتها البيئية، على وجه العموم. وهذه الأحوال، التي نعاينها ونعانيها، تضع أهل الأرض أمام تحدٍّ بالغ الصعوبة: فهم مطالبون بتخفيف وطأة ضغوطهم على الموارد الطبيعية المنهكة، بما يستدعي أن يبادر الأغنياء بالاستغناء عن بعض مظاهر الرغد والرفاهية، لنخفض استهلاكهم من الطاقة والمواد الأولية المختلفة بمقدار ٩٠٪، في العقود القليلة القادمة؛ ولعلنا نجد من يشاركنا التشكك في احتمال أن يتحقق ذلك!.

ويكشف لنا الفصل الثالث عن نوع من (الإنفاق) الاستهلاكي، يؤدي دوراً خطيراً في رسم ملامح خريطة الاستهلاك العالمي، هو (الإنفاق الحكومي، أو المؤسساتي)؛ إذ تبين أن مجمل ما تنفقه الشركات، والإدارات الحكومية، والمنظمات الدولية، والجامعات، وما شابه ذلك من مؤسسات وهيئات، على شراء السلع وطلب الخدمات، بالسنة الواحدة يفوق الناتج الإجمالي المحلي لعدة دول؛ وفي بعض الدول الصناعية الكبرى، تبلغ قيمة المشتريات الحكومية ٢٥٪ من قيمة ناتجها الإجمالي



المزعج في قضية الاستهلاك والمستهلكين أن ليس ثمة ما يشير إلى احتمال كبح جماح هذه الموجة الاستهلاكية الشرسة، وبصفة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يغرق المستهلكون في طوفان من السلع الاستهلاكية والخدمية



أسلوب استهلاك الطعام يعرض الإنسان لأخطار صحية

المحلي: وقد اشترت حكومات دول الاتحاد الأوربي، في عام ٢٠٠١م، بضائع وخدمات زادت قيمتها على تريليون دولار، أي ما يوازي ١٤٪ من الناتج الإجمالي المحلي لتلك الدول؛ وتبلغ هذه النسبة، في دول أمريكا الشمالية ١٨٪، وتزيد قيمتها الفعلية على تريليوني دولار في السنة؛ كما بلغ إنفاق الأمم المتحدة على السلع والخدمات التي استهلكتها هيئاتها وبرامجها المختلفة، في عام ٢٠٠٠م، أربعة عشر بليون دولار. وتتميز الجامعات بين المؤسسات والهيئات التي تفرط في الإنفاق على استهلاك السلع والخدمات؛ وهذا أمر مثير للدهشة: فالجامعات، كما هو متوقع، مؤسسات خدمية بالدرجة الأولى، تنتج وتقدم خدمات التعليم والبحث العلمي للأفراد، ولغيرها من مؤسسات المجتمع. فالأولى بها والأليق لها أن تسبق صفتها كمؤسسات منتجة صفتها كمؤسسات مستهلكة. غير أن هذا التقرير يشير إلى أن إنفاق الجامعات في العالم على شراء السلع والخدمات يقدّر ببلايين الدولارات، سنويًا؛ وتشتمل قائمة الإنفاق الاستهلاكي لها على بنود متنوعة، من مبان ومنشآت ومخيمات، إلى الوجبات السريعة. وقد أنفقت الجامعات الأمريكية، على سبيل المثال، في عام ١٩٩٩م، أكثر من ٢٥٠ بليون دولار، على السلع والخدمات، وهو ما يوازي ٣٪ من الناتج الإجمالي المحلي الأمريكي.

إن نشاط هؤلاء المستهلكين الكبار يؤثر في استهلاك الأفراد؛ فقدراته الإنفاقية الضخمة تلحق هزات كبيرة بالأسواق، وتسحب السلع من أمام آلاف المستهلكين الأفراد.

ويتصدر الفصل السابع عنوان: الاستهلاك والعولمة والحاجة إلى الانضباط، ويعالج - كما هو واضح - الارتباط الذي شهده عقد التسعينيات من القرن المنقضي، بين تيار العولمة الجارف وتنامي الاقتصاديات الاستهلاكية. لقد كان ذلك مصحوبًا بانتعاش اقتصادي وفّر المزيد من السلع والخدمات، وجعلها بمتناول القوى الشرائية الاستهلاكية، كما واكبه تدفق لرؤوس الأموال عبر الحدود الدولية. وقد اعتمد ذلك كله على تضخم واضح وسريع في حركة تجارة مواد أولية، جاءت من موارد طبيعية واقعة، أصلاً - ومنذ زمن طويل - تحت ضغوط استغلال جائر، وإدارة بيئية جانبها السداد، مثل مسامك العالم، والغابات الاستوائية، وبعض المناجم. ويتساءل التقرير: ألا يمكن للعولمة أن تغذي توجهًا نحو أنماط وأنساق إنتاجية واستهلاكية يتحقق فيها عنصر الاستدامة، بمعنى أن تمهد السبل لخلق اقتصاد عالمي يتأسس على صون موارد العالم وحمايتها، لا على إنهاكها أكثر بالاستغلال غير الرشيد؟. يقول التقرير إن ذلك

ممكن، شريطة أن تتم بعض الإجراءات، مثل تقوية الاتفاقيات والمعاهدات البيئية الدولية، والمؤسسات المهتمة بشؤون البيئة؛ وإصلاح أسس التجارة العالمية؛ ودعم أنشطة القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني.

وينتهي التقرير بفصل ثامن، يدعو إلى إعادة النظر في معنى (الحياة الطيبة)؛ ويرى أن طيب العيش لا يرتبط - بالضرورة - بالغنى؛ ويلفت التقرير نظرنا إلى أن معظم الجدل الدائر حاليًا حول مبدأ الاستدامة يتركز في الاعتبارات البيئية والاقتصادية المطلوب مراعاتها لضمان عالم صحي؛ ولا يكاد المتجادلون يلتفتون إلى المسائل الاجتماعية والنفسية، في هذا الخصوص، على ضرورتها وأهميتها في تكوين الثقافات، ومن ثمَّ تحقيق عنصر الاستدامة. وتأسيسًا على هذا التصوّر، تحرص الحكومات على أن يستمر النمو في الناتج الإجمالي المحلي، مفترضة أن الزيادة في الدخل تحقق مستوى معيشة طيبًا، يتيح فرصًا أكبر للاستهلاك؛ والحقيقة، هي أن ذلك قد تكون له مردودات محبطة؛ والدليل على ذلك أن نوعية الحياة في بعض دول العالم الغني تعاني ضغوطًا متزايدة، وتمر بأوقات عسرة، ويعتريها اضطرابات في العلاقات الاجتماعية.

والمزعج في قضية الاستهلاك والمستهلكين أن ليس ثمة ما يشير إلى احتمال كبح جماح هذه الموجة الاستهلاكية الشرسة، وبصفة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يغرق المستهلكون في طوفان من

المجتمع الاستهلاكي يقوم على الصناعات الإتلافية مثل صناعات السيارت والأخشاب



السلع الاستهلاكية والخدمية، وحيث يتسم السلوك الاستهلاكي بالمغالاة؛ وعلى سبيل المثال، ازداد عدد المنازل في ربع قرن (١٩٧٥- ٢٠٠٠م) بنسبة ٣٨٪، مع انخفاض متوسط عدد سكان المنزل الواحد؛ كما أن عدد السيارات الخاصة التي تجري على الطرق الأمريكية يفوق العدد المأذون له بالعمل من قبل الجهات الإدارية؛ ومن مؤشرات زيادة الاستهلاك الأمريكي، أيضًا، زيادة متوسط حجم المبردات المنزلية بنسبة ١٠٪، في الفترة من ١٩٧٢م إلى ٢٠٠١م، مع زيادة متوسط عدد وحدات التبريد في المنزل الواحد. فهل ارتبطت هذه الزيادة في الاستهلاك بسعادة المواطن الأمريكي؟. لقد أجري استقصاء للرأي، في عام ٢٠٠١م، لقياس ارتباط درجة الغنى والقدرة الاستهلاكية بالسعادة الشخصية، وتبين منه أن ثلث الأمريكيين، فقط، يمكن أن يوصفوا بأنهم (سعداء جدًا)؛ وهي نتيجة مشابهة لأخرى، تم التحصّل عليها عام ١٩٥٧م، حين كان الأمريكيون أقل ثراءً، بمقدار النصف!. ومن جهة أخرى، فلكي يضاعف الأمريكيون مستوى ثرائهم، في نصف القرن الماضي، كان عليهم أن يعملوا أكثر: فازداد متوسط عدد أسابيع العمل، بالسنة الواحدة، بمقدار تسعة أسابيع، مقارنة بأحوال العمل عند الأوربيين: فكانت النتيجة أن أرهق العمل الزائد المواطن الأمريكي، وبالوقت ذاته، لم يجعل الدخل الإضافي، المقابل لهذا العمل، حياة الأمريكيين أكثر سعادة!. وفي عملية مسح استقصائي، أجرتها مؤسسة مراقبة العالم (وورلد ووتش انستيتيوت)، في مختتم القرن الماضي (١٩٩٩- ٢٠٠٠م)، لدراسة أحوال المعيشة في ٦٥دولة، تبين أن الرضا عن الحياة، والدخل، يسيران في تساوق، حتى يصل الدخل السنوي للفرد إلى ١٣ ألف دولار (بالقيمة الشرائية للدولار في عام ١٩٩٥م). بعدها، لا تضيف الزيادة في الدخل إلا ارتفاعًا طفيفًا في الإحساس الشخصي بمعنى السعادة!.

وينتهي الفصل الأخير من التقرير بالدعوة إلى ضرورة مراجعة ما استقر لدينا من معنى للرغد والازدهار على أنه جمع وتكديس للسلع فلا يكفي الثراء وحده لتحقيق مستوى معيشة طيب إذا لم تسبقه عوامل أخرى مثل الحرية والصحة والأمن والعلاقات الاجتماعية المرضية.

وكان من الطبيعي أن تثير هذه التوجيهات الاستهلاكية الجامحة سخط بعض أنصار البيئة وصانعي السياسات الاقتصادية؛ وقد تمخض ذلك عن بعض الأفكار والإجراءات المقترحة، التي يرونها كفيلة لوقف هذه الموجة الاستهلاكية المندفعة منها:

- فرض ضرائب على المصنوعات المتسببة في إيذاء البيئة، بتلويثها أو بالضغط على مواردها الطبيعية؛ وفي الوقت ذاته، وضع معايير وآليات لمراقبة الإنتاج، من شأنها التقليل من الآثار السلبية على حيوية الموارد الطبيعية.

- تنشيط سياسة استعادة المنتجات بعد انتهاء استخدامها واستنفاد الغرض منها، وإلزام الشركات المنتجة بأن تسترد هذه المنتجات، بعد انتهاء فترة صلاحيتها، فلا تلقى في مستودعات المخلفات، ولا تحرق؛ مما يخفف الضغط على طبيعة الأنظمة البيئية.

- إطالة عمر المنتجات، وتصنيعها بحيث يسهل إصلاحها إذا عطبت وتحديثها عند الضرورة؛ وتقليل كمية وعدد الخامات المستخدمة في تصنيعها؛ وهذا إجراء إضافي، كفيل بصون الموارد الطبيعية، وتقليل المخلفات.

- كما أن السلوكيات الاستهلاكية بحاجة إلى قرارات أخرى، تعدّ بالملايين، يتخذها المستهلكون أنفسهم، على المستوى الفردي، وتتعلق بما يستهلكونه في حياتهم اليومية من طعام وماء وطاقة ... إنّ هذه القرارات - بمجموعها - تشكّل قوّة هائلة، توجّه سياسات الإنتاج والاستهلاك.



أعــــلام

حوار مع جابرييل جارسيا ماركيز

رحلة رجوع إلى المنبع

ترجمـــة : حسين عيد

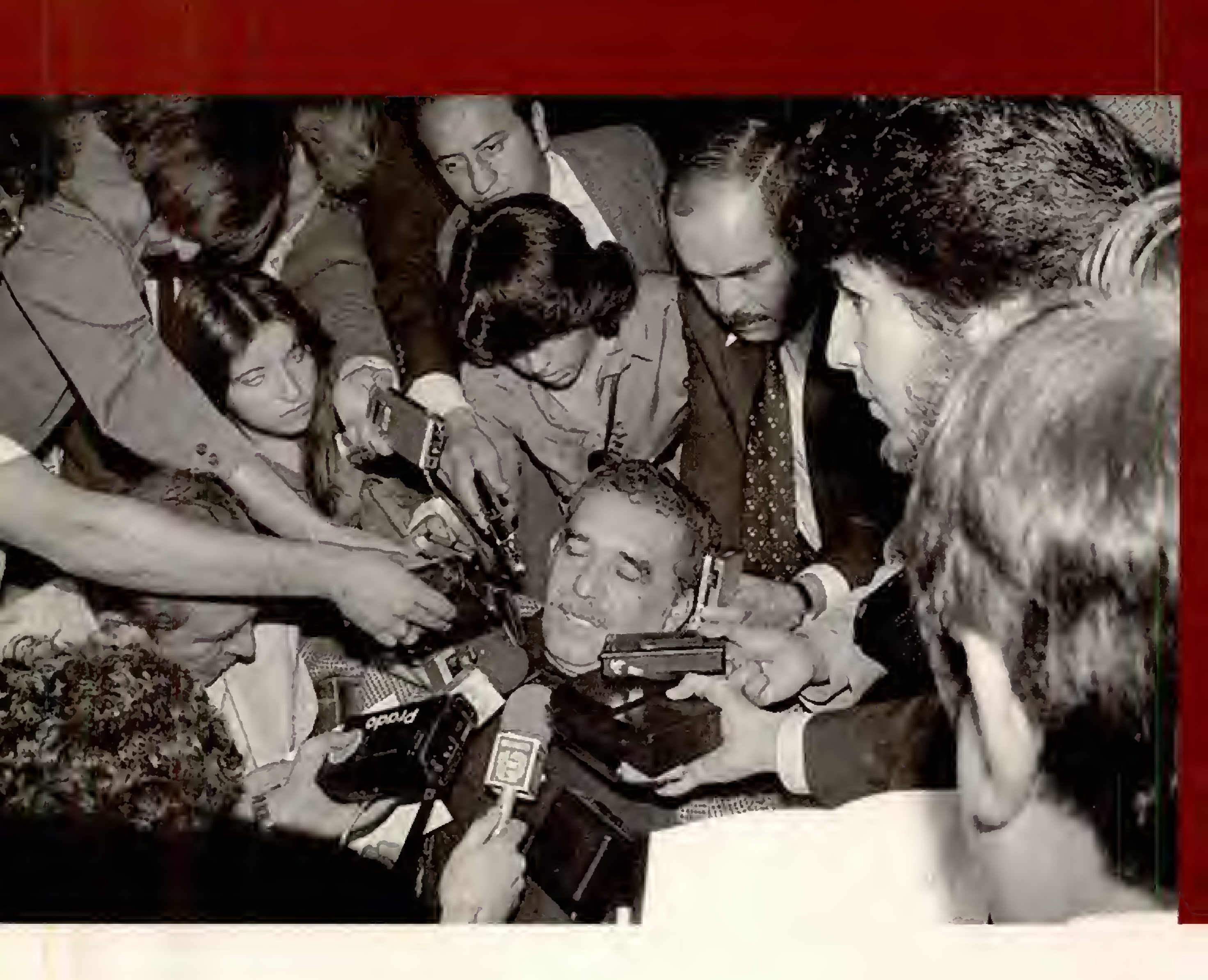
القاهرة - مصر

أعدّ هذا الحديث للنشر عام ١٩٧٧م في مجلة "المانافيستو"، التي تعدّ الآن صحيفة كولومبية يسارية منتهية، تحاور فيه ماركيز مع هيئة كتاب المجلة، وكان منفتحا بشكل لافت للنظر، حتى إنه كشف عن جزء كبير مما يحنّ إليه، وعن جانب شخصي من حياته، بما يتناسب مع المناسبة. (وقد أمكن للمؤلف أن يتحدث بطلاقة رهيبة بشكل مدهش وتلقائي، حين وجد نفسه وسط صحبة حقّة). كما كان ماركيز صريحًا، على غير العادة حول تعليمه المتقطع، أيام فقره، أيام شبابه التي أقام فيها في المباغي، وشفائه من البثرات، الذي تم بوضع رواية "ليس لدى الكولونيل من يكاتبه" على الورق.

أترع الحوار بمصادر هسبانية، بطبيعة الحال: الرومانسيرو (تراث أغاني البلاد الإسباني من القرون الوسطي)، فالناتو (نوع من موسيقى كولومبية من مدينة فالديبور، تتكون من أغانٍ سردية بمصاحبة الأكورديون، آلة نقر، وطبلة عظيمة)، رفائيل إسكالونا (الكاتب الأكثر شهرة ومغنّي الفالناتو). مدندنون كاريبيون مثل دانييل سانتوس والأدب الجسدي الكولومبي العظيم (أدبيا «ذا رام» تلك الدورية الساخرة المدهشة من العصر الكولونيالي)..

كما أظهر ماركيز ما كان لكافكا من تأثير حاسم في تطوره، واعترف إلى أي مدى رأى أن يعمل حتى لا يكون مثل فوكنر، وذلك حين كتب رواية «عاصفة الأوراق». كما لاحظ، أخيرا، نكهة الكاريبي العامية في رواية «خريف البطريرك»، التي تمّ تقديرها كثيرًا كأثر ممن تذوقوا هذا الكتاب من القراء الهسبانيين.

❖ هناك فكرة متداولة بين النقاد بوجه عام، بأن هناك نقصا في خلفيتك الأدبية، لدرجة أنك تكتب فقط من خلال تجاربك الشخصية وخيالك. ماذا



يمكن أن تقول في هذا الصدد؟

(توهجت عينا جارسيا ماركيز، كما لو كنا قد ضغطنا على زرار خفي، وكانت الشخصية - التي من المحتم أن تستدعى إلى الذهن فورا شخصية أنتوني كوين في زوربا اليوناني قد أبرزت نفسها من خلال سيل من ضحكات، إيماءات، وصيحات، لأننا حين غمغمنا بالكلمة السحرية، كنّا قد لمسنا كاحل آخيل: الأدب)

ماركيز: نعم. مع بعض المزاح، ربما كان من المحتمل أن تكون هناك مداخلة باتجاه فكرة أنني ينقصني تعليم أدبي، لدرجة أنني أكتب فقط من واقع خبراتي الشخصية، لأن منابعي كانت فوكنر، هيمنجواي، وكتاباً أجانب آخرين. لكن قليل ما هو معروف عن معرفتي بالأدب الكولومبي. كما كانت هناك تأثرات دون شك من خارج الأدب، خاصة من كولومبيا. أعتقد أن ما فتح عيني أكثر من أي كتاب، هو الموسيقى، أغاني فالناتو الكولومبية. إننى أتحدث عن عدة سنوات مضت، منذ أكثر من ثلاثين عاما على الأقل، حين كانت موسيقى الفالناتو تعرف بصعوبة خارج ركن وادي ماجدالينا. كان

ما استرعى انتباهي أكثر من أي شيء هو شكل الأغاني المستخدمة، الأسلوب الذي تحكي به واقعة، قصة .. بشكل هادئ طبيعي تماما. ثم كان ما يهمني أكثر حين تحولت موسيقى الفالناتو تجاريًا، هو الشعور، والإيقاع .. وكما أتذكر، كانت أغاني الفالناتو تحكي تماما كما اعتادت جدتي أن تحكي .. وقد وجدت الحسّ نفسه أخيرًا، حين بدأت دراسة أغاني البلاد الرومانسية الإسبانية، وجدتها جميعا مرة أخري في الأغاني الرومانسية.

❖ هل يمكن أن نتحدث حول الموسيقا؟

ماركيز: نعم، لكن فيما بعد، وليس للتسجيل. لا، لا يرجع الأمر إلى أنني لا أستطيع التحدث عن الموسيقى، لكن لأنني ضبطت متورطًا، لا يمكن أن ينتهي الأمر هكذا. إنها .. شيء حميم جدًا، بل أكثر من سرّ. حين تتحدث مع الناس عنها .. بالنسبة إليَّ تعدّ الموسيقى كأي شيء يصنع صوتًا. وقد تغيرت كثيرًا .. يبدو بارتوك لوهلة، هو المؤلف الموسيقى، الذي أحبّه فعلا. لكن يعدّ أمرًا صعبًا أن أستمع إليه في الصباحات. يميل الفرد بسلاسة أكثر إلى موزار في الصباح. لكنني أكون هادئًا بعد ذلك .. لقد حصلت على سونيتات دانييل، ميديليتو فلديز، جوليو جاراميلو، وكل المغنين المتأملين المتفردين. أنت ترى، أنا لا أصنع اختلافات بينهم، بل أعرف قيمة كل منهم. الشيء الوحيد، الذي أكون خلاله مطوقًا كليًا، هو الموضوعات الموسيقية. إنى أستمع بشكل ما لما لايقلّ عن ساعتين من الموسيقى يوميًا. إنها الشيء الوحيد الذي يجعلني أسترخي، ويدخلني إلى الحالة النفسية الصحيحة .. وأنا أمضي عبر كل أنواع الحالات.

يكون البيت حيث تكون كتبك، كما يقولون. لكن بالنسبة إليَّ يكون البيت حيثما تكون تسجيلاتي. إننى أمتلك ما يربو على خمسة آلاف منها.

من منكم أيها الشباب ينصت إلى الموسيقى، كعادة، كما تعلمون ؟ هل تفعلون ؟ ولأي مدة؟ وإلى أي مدى يمكنكم أن تستمروا؟ للمثال، هل حصلتم على أوركسترا كازينو دي لا بلايا؟ هل يعدّ ميجيليتو فالديز وكازينو دي لا بلايا مرجعا لكم؟

❖ نعم، بطبيعة الحال

ماركيز: وانطلقتم من هناك إلى الموسيقى الإسبانية (البوليروز)؟

❖ نعم، دانييل سانتوس من ١٩٤٠م

ماركيز: مع الكورتيتو فلريز ؟

❖ نعم! الوداع، في السيرانايا ..

ماركيز: هذا هو أصل سالسا، أوركسترا كازينو دي لا بلايا. كان عازف البيانو ساكاساس، هو الأعظم شهرة لعزفه المنفرد، الذي يسمى مونتونوس. كانت هناك مشاجرة حضرتها مع الكوبيين. حرب قديمة، خاصة مع آرماندو هارت .. هيه! .. هل ذلك الشيء (شريط التسجيل) يدور ؟

❖ نعم .. إنه يعمل ..

ماركيز: اغلقه!

كانت خلفيتي الأدبية تكمن بشكل أساسي في الشعر، لكنه شعر سيئ، لأنه فقط عبر شعر سيئ يمكنك أن

تحتاج التجمعات البشرية إلى كاتبها. كاتب يمكنه أن يبدع شخصياتها. إنني كاتب بورجوازي صغير، ووجهة نظري هي دائما وجهة نظر بورجوازي صغير. ذلك هو مستواي، منطلقي. مع أن مزاجي المتضامن قد يختلف. لكنني لا أعرف وجهة النظر تلك



هيمنجواي

تتقدم إلى شعر جيد. لقد انطلقت من تلك المادة المسماة نثرًا شعبيًا، ذلك النوع الذي كان ينشر في تقويم، أو على أفرخ سائبة من الورق. كان بعضها متأثرًا بخوليو فلوريز. حين التحقت بالمدرسة العالية، مضيت مع الشعر، الذي

حين التحقت بالمدرسة العالية، مضيت مع الشعر، الذي كان يظهر في كتب قواعد اللغة. تيقنت هناك أن ما أحبه أكثر كان هو الشعر، وما كرهته أكثر كان فصل قواعد اللغة الإسبانية. ما أحببته هو الأمثلة. كانت هناك غالبًا أمثلة من الرومانتيكيين الإسبان

كان يظهر في كتب قواعد اللغة. تيقنت هناك أن ما أحبه أكثر كان هو الشعر، وما كرهته أكثر كان فصل قواعد اللغة الإسبانية. ما أحببته هو الأمثلة. كانت هناك غالبًا أمثلة من الرومانتيكيين الأسبان. التي ربما كانت هي أقرب شيء لخوليو فلوريز. ثم الأعمال الأدبية الإسبانية القديمة. لكن جاء الكشف حين غصت في حقيقة الشعر الكولومبي: دومينيجيز كامارجو. وتعلمت، في ذلك الوقت أول شيء من الأدب العالمي. كم كان مرعبًا! لم يكن هناك أي مدخل إلى تلك الكتب. قال الأستاذ إنها كانت جيدة، لهذا السبب أو ذاك. قرأتها بعد ذلك بكثير، وفكّرت كم كانت لا تصدق. إنني أشير إلى الأعمال الأدبية القديمة. لكنها لم تكن لاتصدق بسبب مما قاله الأستاذ، بل بسبب ما جرى: كان عوليس مقيدًا إلى حلمة، لذلك لم يستطع

أن يستسلم إلى أغنية منذرة .. وكل تلك الأحداث التي تجري. درسنا الأدب الأسباني بعد ذلك، ثم الأدب الكولومبي في السنة الأخيرة فقط من المدرسة العليا. وهناك عرفت في ذلك الفصل أكثر مما عرف الأستاذ. كنت حينذاك في زيبكيرل. ولم يكن لدي ما أفعله، فارتبطت بمكتبة المدرسة، حتى أتفادى الملل، حيث كانت لديهم مجموعة آلدينا. aldeana وقد قرأتها جميعا! من المجلد الأول حتى الأخير! قرأت الكارنيرو، المذكرات، وتأملات في خبرات الماضي. لقد قرأتها جميعا!. حين وصلت إلى السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية، كنت قد قرأت بطبيعة الحال أكثر مما قرأ الأستاذ. كان هناك، حين تيقنت من أن رفائيل نيز هو أسوأ شاعر في القطر .. النشيد الوطني! هل يمكنكم أن تتخيلوا أن غنائيات ذلك النشيد القومي قد تم اختيارها لأنها كانت قصيدة عظيمة لنيز؟ كانت تلك هي التي اختيرت أولا كنشيد. ربما تقبلوها، لكن ما يجلب الرعب هو أنه تم اختيارها نشيدًا قوميًا بسبب أنها كانت شعرًا.

بقدر ماكان الأدب محل اعتبار، فإن الشاطئ الكاريبي لم يكن موجودا. وحين انفصل الأدب عن الحياة وانغلق على نفسه في دوائر مغلقة، ظهرت فجوة، امتلأت بضيّقي الأفق .. إنهم يحافظون على الأدب، حين يصبح لغة منمقة.

وفي سن العشرين، كان قد أصبح لدي خلفية أدبية كافية كي أكتب كل ما كتبته .. . لا أدرى كيف اكتشفت الرواية. كنت قد اعتقدت أن ما يهمني هو الشعر .. لم أكن أعرف .. لا يمكنني أن أتذكر متى تأكدت من أن الرواية هي ما أحتاج إليه كي أعبر عن نفسي .. وأنتم أيها الشباب، لا يمكنكم أن تتخيلوا ما عنته لفتّي منحة دراسية في الليزيو دي زاباكيرك، للحصول على مدخل إلى الكتب .. ربما كانت رواية

يعدّ روبين داريو هو شاعر العصر، الذي كان يعدّ عصر الكتاب. وكما تعرف، أنه يقال، إن هناك صعوبات لدى كل المترجمين معه. إنه لم يترجم أبدا كما ينبغي، كشاعر عظيم. إنه ليس معروفًا في أي مكان. وهناك مشاكل أخرى، تضع المترجمين في فوضى رهيبة

«التحول» لكافكا، هي الكشف .. كان ذلك في عام ١٩٤٧م. وكنت وقتها في التاسعة عشرة من عمري .. كنت في السنة الأولى من مدرسة القانون .. أتذكر الجمل الافتتاحية، التي نصها كما يلي: «عندما استيقظ جريجور سامسا ذات صباح من أحلام مزعجة، وجد نفسه قد تحوّل إلى حشرة ضخمة» .. يا للعنة الرهيبة! حين قرأت ذلك قلت لنفسي «ليس ذلك صحيحا!» .. لم يخبرني أحد أن هذا يمكن أن يحدث! لأنه حقيقة يحدث! وهو ما يمكنني أنا أيضا! يا للعنة الرهيبة! كان ذلك هو ما كانت جدتي تحكي به قصص أشرس الأشياء، بأكثر الأساليب طبيعية».

وفي اليوم التالي خرجت، تماما هكذا، في اليوم التالي من الثامنة صباحا، كي أحاول أن اكتشف، ما هو الجحيم الذي حدث في الرواية منذ بدايات الإنسانية وصولا إلى الزمن الحالي الذي أوجد فيه. وهكذا علقت بالرواية في نظام صارم، دعنا نقل من الإنجيل إلى ما كان مكتوبًا في ذلك الزمن. بدءا من تلك اللحظة، ولمدة ست سنوات، لم أكتب أدبًا بنفسي، وأوقفت دراستي، وأهملت كل شيء. ثم بدأت كتابة سلسلة قصص تأملية بشكل كامل. كانت تلك هي قصصي الأولى، وقد نشرت في «الاسبكتادور». كانت

إذا دققتم النظر، ستجدون أن بناء "خريف البطريرك" هو نفسه بناء "عاصفة الأوراق". فكلاهما يتكونان من وجهات نظر منتظمة حول جسد رجل ميت. وهي في "عاصفة الأوراق" أكثر تنظيما، لأنني كنت في الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين من عمري

المشكلة الرئيسة لدي حين بدأت كتابة تلك القصص، تكمن عند الكتاب الآخرين: عمّا كانوا يكتبون.

لكن بعد شغب ٩ إبريل في بوجوتا، حين لم يبق لدي شيء ما عدا الملابس التي ارتديها، ارتحلت إلى منطقة الكوست، وبدأت أعمل هناك في صحيفة. ثم بدأت الموضوعات تغزوني. بدأت أواجه في منطقة الكوست واقعًا كاملاً كنت قد تركته ورائي، ولم أستطع أن أفسّره بسبب نقص الأساس الأدبي. كان ذلك هو الغزو الأول عنيفًا، إلى مثل ذلك المدى، حتى إنني كنت أكتب كما لو كنت محمومًا.

لدي درجة كبيرة من التأثر في رواية «عاصفة الأوراق»، بل وكثير من الحنو على ذلك الفتى الذي كتبها. يمكنني أن أراه جيداً. هو فتى يبلغ من العمر الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين. يشعر أنه لن يكتب أي شيء آخر في حياته، يشعر أن تلك هي فرصته الوحيدة، فيحاول أن يسقط فيها كل ما يتذكره، كل ما تعلّمه حول التقنية الأدبية، ويجعلها مشبّعة من كل مؤلف قرأه. كنت في ذلك الوقت عالقا، بين الروائيين الإنجليز وروائيي أمريكا الشمالية. وعندما بدأ النقاد يجدون تأثراتي من فوكنر وهمنجواي، فإن ما وجدوه - ليس لأنهم لم يكونوا على صواب، بل فقط بشكل آخر - هو أنني حين ووجهت بذلك الواقع كله على منطقة الكوست، وبدأت أتواصل مع خبراتي الأدبية .. بحثًا عن أفضل أسلوب كي أحكي به، تيقنت من أنه لم يكن أسلوب كافكا هو المطلوب .. بل تيقنت أن الأسلوب كان بشكل محدد هو أسلوب الروائيين الأمريكيين. ما وجدته لدى فوكنر هو أنه كان يفسّر ويعبّر عن واقع يبدو كثيرا مثل واقع آركاتاكا، مثل واقع منطقة الموز. فكان ما منحوني إيّاه هو الأداة.

حين أعدت تفحص رواية «عاصفة الأوراق»، وجدت على نحو صحيح القراءات التي ذهبت إلى ذلك العمل .. أعني تماما مثل ذلك! .. كان الأمر أني حين تركت ورائي كل تلك القصص التأملية، تيقنت من أن الواقع كان ملك يميني، في كل يوم في الحياة، في المباغ والموسيقى .. اكتشفت، بشكل محدد، أغاني الفالناتو. حدث ذلك حين قابلت اسكالونا، كما تعرفون. وبدأنا نعمل معا، قمنا برحلة رهيبة واحدة عبر لاجيخيرا، حيث كانت هناك تجارب يمكنني أن أعيد الآن اكتشافها مع أقصى درجة من الطبيعية. كانت هناك رحلة ايرانديرا، تلك الرحلة التي قمت بها عبر لاجيخيرا مع اسكالونا .. ليس هناك سطر مفرد في أي من كتبي، لا يمكنني أن أحكي لكم ما هي التجارب، التي جرت مناظرة له في الواقع. كان هناك دائما مرجع إلى واقع ملموس. ليس هناك مجرد كتاب مفرد! وذات يوم، مع مزيد من الوقت، يمكننا أن نثبت ذلك، يمكننا أن نبدأ بممارسة هذه المباراة، كي ندرك: أن هذا يناظر ذاك، وذاك يناظر آخر، ويمكنني أن أتذكر اليوم كل شيء وعلى نحو صحيح.

❖ قد يكون من المفيد أن يتم ذلك مع رواية «خريف البطريرك».

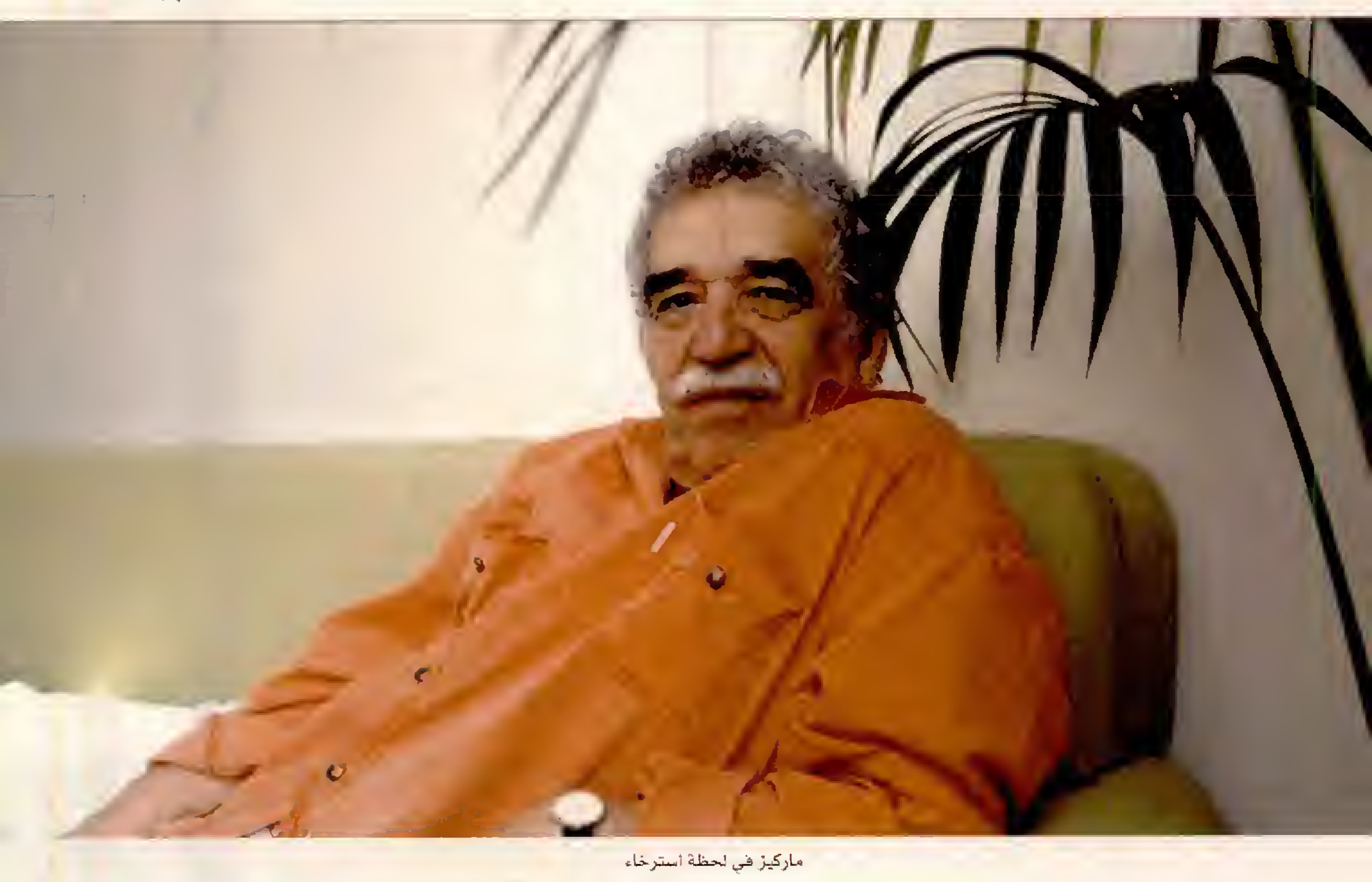
ماركيز: «خريف البطريرك» هو العمل الوحيد، الذي يمكنني أن أفعل ذلك معه أكثر من أي عمل آخر، وهو ما يرجع إلى كونه كتابًا مشفّرًا بشكل كامل».

❖ لنرجع ثانية إلى موضوع تأثراتك، وماذا تعني «مجموعة بارانكيلا» لتعليمك الأدبي؟

ماركيز: لقد كانت هي العنصر الأكثر أهمية، ويرجع ذلك إلى أنني بينما كنت هنا في بوجوتا، درست الأدب بأسلوب مجرّد، من خلال كتب. لم يكن هناك تناظر بين ما أقرأه وما هو كائن هناك في الطريق. وفي اللحظة التي قد أهبط فيها إلى أي ركن من أجل فنجان من القهوة، أجد عالمًا مختلفًا كليًا. حين أجبرت على أن أغادر إلى منطقة الكوست لظروف ٩ إبريل، كان ذلك اكتشافًا كاملاً: حيث كان يمكن أن يوجد هناك تناظر بين ما كنت أقرأه وما كنت أعيشه وعشته دائما. بالنسبة إليَّ، كان أهم شيء حول «مجموعة البارانكيلا»، أنها جعلت كل أنواع الكتب متاحة، بسبب آلفونسو فوزمايور، وآلفارو سيبيدا، وجرمل فارجاس. وكلهم كانوا هناك، وكانوا قراء نهمين. كان لديهم كل الكتب. قد نسهر حتى شروق الشمس، ونحن نتحدث عن الأدب، وقد يكون هناك ذات ليلة عشر كتب لا أعرف عنها شيئا، ولكنها تكون لدي في اليوم التالي. وقد يحضر إليَّ جرمل كتابين، وآلفونسو ثلاثة .. وقد يدعنا العجوز رامن فينيز نتورط في قراءة كل أنواع المغامرات، لكنه لم يكن يدعنا نرسو على خط الكلاسيكيات، ذلك الرفيق العجوز. قد يقول: «حسنا، أيها الشبان يمكنكم أن تقرؤوا فوكنر، الروائيين الإنجليز، الروس، أو الفرنسيين، لكن تذكروا دائما روابطهم معنا». ولن يدعك تقوم بذلك دون هومير، دون الرومان. لم يكن يتركنا نتوحش. ما كان مذهلا أن ذلك المرح الصاخب مع المشروبات، كان يمكننا من أن نصل إلى الجانب المناظر تماما لما نقرأ. لم تكن هناك أي فجوة. لذلك، بدأت أعيش، مدركًا عندئذ فقط من أن ما أعيشه له قيمة أدبية، ومتيقنًا كيف أعبر عنها. وهكذا، تجد أنه كان لدي انطباع في رواية «عاصفة الأوراق»، بأنني لن يكون لدي وقت كاف، هو ما أحتاج إليه كي أرمي بكل شيء هناك، وهي تعدّ رواية باروكية معقدة ومستغلقة تمامًا .. كنت أحاول أن أقوم بشيء قمت به بعد ذلك بشكل هادئ في رواية «خريف البطريرك». وإذا دققتم النظر، ستجدون أن بناء «خريف البطريرك» هو نفسه بناء «عاصفة الأوراق»، فكلاهما يتكونان من وجهات نظر منتظمة حول جسد رجل ميت. وهي في «عاصفة الأوراق» أكثر تنظيما، لأنني كنت في الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين من عمري، ولا أجرؤ على الطيران منفرداً، لذلك تبنيت قليلا أسلوب فوكنر في روايته «بينما أرقد أحتضر». كان فوكنر في الحقيقة طبعا. يضع أسماء مونولوجات مناجاة الذات. وهكذا، وحتى لا أفعل الشيء نفسه، قمت بالسرد من خلال ثلاث وجهات نظر يمكن التعرف إليها بسهولة، لأنها كانت لعجوز، ولد، وامرأة. في رواية «خريف البطريرك»، كنت متشظيًا في كل مكان، في الوقت الذي كان يمكنني فيه أن أفعل ما أريد. لم يكن يعنيني من هو الذي يتكلم، ومن لا يتكلم، كنت معنيًا فقط بالتعبير عن الواقع، الذي كان هناك. لكن ذلك لم يكن بلا مسوغ، دعني أقل ذلك. إنه ليس من

ماركيز يتسلم جائزة نوبل





ماركيز في لحظة استرخاء

قبيل المصادفة، أنه في العمق كنت ما أزال أحاول أن أكتب الكتاب الأول نفسه. لقد ظهر بجلاء في البطريرك، كيف يعود الفرد ثانية إلى البناء، وليس إلى البناء وحده، بل إلى الدراما أيضًا.

ذلك ما كان عليه الحال. كان أمرًا مدهشًا، لأنني كنت أعيش الأدب نفسه الذي كنت أحاول أن أبدعه. كانت تلك سنوات خيالية، لأنه كما ترى .. هناك شيء واحد يمسك به الأوربيون ضدي بشكل خاص، بالتحديد هو أني لا أنظّم أن أضع نظرية حول أي شيء كتبته، لأنه في كل مرة يسألون سؤالاً يكون على أن أجيبهم بفكرة أو بحقيقة تناسب واقعًا. إنه الشيء الوحيد، الذي يسمح إليَّ أن أدعّم به ما هو مكتوب، وما يسألونني عنه.

أتذكر حين كنت أعمل في «الهيرالد»، وكان عليَّ أن أكتب قطعة سيدفعون إليَّ عنها ثلاثة بيسو، ربما تكون افتتاحية لثلاث أخريات. الحقيقة، هي أنني لم أعش في أي مكان، بل عشت قريبًا فقط من الصحيفة، حيث كانت هناك بعض فنادق للعابرين. وكانت هناك عاهرات حول المكان. كن يذهبن إلى بعض الفنادق الصغيرة، التي كانت تقع فوق مكاتب الموثق العام تمامًا. كان مكاتب الموثق العام بالأسفل، والفنادق بأعلى. كانوا يسمحون بدخول

أي فرد مقابل بيسو وخمسين سنتا، وهو ما يمنحك حق دخـول لمدة ٢٤ سـاعـة. بدأت عندئذ أقـوم بأعظم اكتشافات: فنادق لم تكن معروفة مقابل بيسو وخمسين! كان ذلك مستحيلا. الشيء الوحيد، الذي كنت أحتاج إلى أن أفعله: هو أن أحرص على مسودات رواية «عاصفة الأوراق»، التي كانت قيد التطور. كنت أحملها في حقيبة جلدية، وأصحبها تحت ذراعي إلى أي مكان، وحين أصل كل ليلة وأدفع بيسو وخمسين، يمنحني الرجل المفتاح. ينبغي أن أذكر أن البواب كان عجوزا رقيقا صغير الحجم، وأنا أعرف أين هو الآن. قد أصل في فترة ما


دوستويفسكي

لا أدرى كيف اكتشفت الرواية. كنت قد اعتقدت أن ما يهمني هو الشعر .. لم أكن أعرف .. لا يمكنني أن أتذكر متى تأكدت من أن الرواية هي ما أحتاج إليه كي أعبر عن نفسي

بعد الظهيرة، فأدفع له البيسو والخمسين كل ليلة.

بعد أسبوعين، أصبح الأمر آليًا بطبيعة الحال. كان يجذب المفتاح، دائما للغرفة نفسها، فأعطيه البيسو والخمسين .. ذات ليلة، لم يكن لدي البيسو والخمسين .. وصلت، وقلت له: «انظر، أترى ما هنا ؟ إنها بعض الأوراق، وهي الأكثر أهمية بالنسبة إليَّ، وهي تساوي أكثر بكثير من بيسو وخمسين. سأتركها معك، وسأدفع لك غدا». ثم أصبح الأمر روتينًا متكررًا. أدفع حين يكون لدي البيسو والخمسون، وحين لا يكون لدي أدخل .. «مرحبا، مساء الخير!» و«أستاذ!» .. وقد أضع الملف على مكتبه، فيعطيني المفتاح. أمضيت أكثر من عام بذلك الأسلوب. ما كان يثير الدهشة أن ذلك الشخص، كان قد اعتاد أن يجعل سائق سيارة الحاكم تأتي من أجلي، لأنه طالما أني كنت صحفيا فلا بد أن توجد هناك سيارة

علقت بالرواية في نظام صارم. دعنا نقل بدءا من الإنجيل إلى ما كان مكتوبا في ذلك الزمن. وبدءا من تلك اللحظة، ولمدة ست سنوات. لم أكتب أدبا بنفسي. وأوقفت دراستي. وأهملت كل شيء!



كافكا

لتلتقطني. ولم يكن التابع العجوز يفهم شيئًا مما يجري!

لقد عشت هناك، وحين كنت أنهض في اليوم التالي، كان البشر الآخرون حولي بطبيعة الحال هنّ العاهرات. كنا أصدقاء طيبين، وقد تصنع إحداهن إفطارا لم أنسه أبدا، وقد يعرنني صابونة. أتذكر أن الصابون كان ينفد دائما عندي، فكن يعرنني واحدة .. وهناك أنهيت كتابة «عاصفة الأوراق».

كانت المشكلة مع تلك الأشياء حول «مجموعة البارانكيلا» هي .. حسنا، لقد قلت كثيرا عنها، ودائما يمضي الأمر على نحو خاطئ، لا أستطيع أن أرتب أن يمضي بشكل صحيح! بالنسبة إليَّ كان ذلك وقتًا كنت فيه منبهرًا تمامًا، لقد كان اكتشافًا صادقًا .. ليس عن الأدب، بل عن كون الأدب تطبيقا للحياة الحقيقية، التي أصبحت فيما بعد مشكلة كبيرة للأدب. الأدب الذي يهتم صدقا بأن يكون تطبيقا للواقع.

كنت شديد الاهتمام بما كنت أفعله، لدرجة أنني تيقنت أن عليَّ أن أنطلق وأسافر عبر نهر الماجدالينا بعيدًا إلى ريوهاشا، بعيدًا بقدر شبه جزيرة الجيخيرا. كان طريقا محددا هو العكس تماما للطريق الذي سافرت به أسرتي، لأنهم كانوا من ريوهاشا. ومن

الجيخيرا، ثم انتقلوا إلى بلد الموز .. كانت مثل رحلة عودتهم، مثل رحلة عودة إلى المنبع. ما كان لديَّ في رأسي، إنه كان على أن أقوم برحلة العودة تلك، لأنني حافظت فيها على إيجاد نقاط مرجعية أخرى، لكل الأشياء التي قيلت إليَّ حول أجدادي. كان عالمًا غامضًا بالنسبة إليَّ، وحين كنت أصل إلى المدن - فالاديبار، ولا باز - قد أجد أن هذا هو ما اعتادوا أن يتحدثوا عنه، وذلك هو السبب في أنهم اعتادوا أن يحكوا إليَّ حوله.

كان جدي قد قتل رجلا، وأتذكر أحمق شيء يمكن أن يحدث .. كنت في مدينة فالاديبار، وفجأة قدِم، فتى طويل، طويل حقيقة، بقبعة راعي بقر، تفسه لي، وقال «هل أنت ماركيز ؟» قلت «نعم!» عندئذ، حملق إليَّ هكذا .. وقال لي: «لقد قتل جدك جدي!» وأمسكت بنطلوني! نظرت إليه، ولم أعرف ما ينبغي أن أقول .. وأمرني .. أنني ينبغي أن أركع بشكل ما، منحنيا أمام الحائط .. وبدأ يحكي لي. كان اسمه خوسيه برودنسيو آجويلار! ولن أقول شيئًا آخر.

كان الأمر كله مثل ذلك. هل تعرفون كيف موّلت كل تلك الرحلة، التي استمرت أكثر من عام، تجوّلت فيها بهذا الشكل أو ذاك عبر المنطقة كلها؟ فيما بعد كانت تلك هي الرحلة التي وجدت فيها كل جذور «مائة عام من العزلة»، وكل شيء آخر. لقد كنت أبيع دوائر معارف! بعت دائرة معارف يوتي utea، التي كانت فيها كتب طبية. كتب لكل شيء!

حين غادرت لاجيخيرا، انتقلت إلى «الاسبكتادور». ما أردت أن أقوله هو أني حين قمت بالانتقال، لم أكن أحتاج إلى أن أقرأ أكثر أو أن أقوم بأي شيء آخر. كي أكتب كل شيء كتبته. كان تعليمي قد تمّ. منذ ذلك الحين، كان لدي نوع آخر من التطور، فكريا، إذا شئت .. وهو ماكان أمرا آخر، نوعًا من الحفر عميقًا بحثًا عن التفسير لكل تلك

من المحتمل أن تكون هناك مداخلة باتجاه فكرة أنني ينقصني تعليم أدبي. لدرجة أنني أكتب فقط من واقع خبراتي الشخصية. لأن منابعي كانت فوكنر، همنجواي، وكتابًا أجانب آخرين. لكن قليل ما هو معروف عن معرفتي بالأدب الكولومبي

المادة. كنت قد تشكلت تمامًا. وحين وصلت إلى باريس، بعد أن وصلت إلى أوربا، لقد كنت في أوربا .. ياللعنة الرهيبة! هناك كتبت «ليس للكولونيل من يكاتبه» في فندق باريسي. وكانت لذلك الشيء كل الروائح، المذاقات، درجة الحرارة، الحر، كل شيء. لقد كتبت خلال الشتاء، مع أحمال رهيبة من الجليد في الخارج، والبرد في الداخل، وكنت أرتدي معطفًا، وكان ذلك الكتاب يمتلك حرّ آركاتاكا، لأنني إذا لم أنجح في جعل الكتاب حارًا، لشعرت بأنه لم يكن صحيحًا .. لقد كان هناك كثير من العمل!.

❖ وماذا عن تجربتك الصحفية، وذلك بالنظر إلى تعليمك الأدبي ؟ بماذا يمكن أن تخبرنا حول ذلك؟ وكمثال، سلسلة مقالات «الماركيز الصغير لاسيرب»، التي كتبتها. إنها تقرير عن منطقة من القطر تبدو غير حقيقية تمامًا.

ماركيز: حسنًا. لقد كانت غير حقيقية، وذلك بحسّ أنه ليست مثبتة، فإنها ليست أحداثًا مبرهنًا عليها. لقد تم حكيها كما لو كانت مبرهنًا عليها. إنها أشياء قمت بسردها بشكل طبيعي كليًا. فأنت لا تعرف إذا ما كنت أشرح .. هذا هو .. أنني أعرف لاسيرب، لقد كنت في لاسيرب، لكن بطبيعة الحال لم أشاهد «القرع الذهبي» أو «التمساح الأبيض» أو أيًا من تلك الأشياء. لكنه كان

إني أستمع بشكل ما لما لايقلّ عن ساعتين من الموسيقا يوميًا. إنها الشيء الوحيد الذي يجعلني أسترخي. وأنا أمضي عبر كل أنواع الحالات. يكون البيت حيث تكون كتبك. كما يقولون. لكن بالنسبة إليَّ يكون البيت حيثما تكون تسجيلاتي

واقعًا، إنني عشت في داخل وعي البشر، حتى لتشعر دون أدنى شك كيف كانت الأمور تمضي، وذلك من خلال الطريقة التي كانوا يحكون بها. وبشكل محدد، كانت تلك هي طريقة الحكي في «مائة عام من العزلة» .. وعندئذ، فإنك لن تكون كاتبًا دون أن يكون لديك حيل. لكن الأمر المهم، هو شرعية تلك الحيل، صعودًا إلى أي نقطة تستخدم فيها وإلى أي مدى.

أتذكر جيدا، حين كنت في المكسيك، وأنا أكتب، واصفًا صعود ريميديوس الجميلة إلى السماء. كان واحدا من تلك المقاطع. كنت معنيًا، أولا، أنه دون شعر لن يمكنها الصعود. قد أقول: إنه يتحتم عليها أن تصعد إلى الشعر. ومع ذلك، فإنه حتى مع الشعر وما إلى ذلك، فإنها لن تصعد. كنت في طريقي إلى اليأس، لأنها كانت واقعًا خلال الكتاب. لم يكن يمكنني أن أتحلل من أمرها، لأنها كانت محاصرة من خلال الخطوط العريضة التي فرضتها على نفسي، حتى أصبحت محكومًا بقوانينها القاسية، لأنني بمجرد أن أفرضها على نفسي لا يمكنني أن أكسرها. لا أستطيع أن أقول إن الرخّ يتحرك بهذا الأسلوب، ثم حين يناسبني الأمر أجعله يتحرك بأسلوب آخر. إذا أسست كيف يتحرك الرخّ وكيف يتحرك الفارس، فقد حوصرت! .. لأنه مهما كان ما قد أفعل، فإنه يجب أن تستمر حركتهم بذلك الأسلوب. وإلا سيتحول الأمر بأكمله إلى فوضى رهيبة. لقد صعدت ريميديوس الجميلة إلى السماء، من خلال واقع الكتاب. لكنها لم يتيسر لها أن تصعد حتى الآن بواسطة الشعر. أتذكر أنني كنت يائسًا في ذلك اليوم، لأنني قد حوصرت وعلقت هناك. فخرجت إلى الباحة، حيث كانت هناك امرأة سوداء جميلة تقوم بأعمالها المنزلية. كانت تحاول أن تعلق الملاءات بواحد من مشابك الملابس تلك .. وكانت هناك ريح .. وهكذا، إذا علقت الملاءة على هذا الجانب، فإن الريح تطيح بها إلى الجانب الآخر .. حتى كانت تكاد تجنّ تماما مع تلك الملاءات .. فلم تستطع أن تمسك بها أكثر من ذلك، آآآآآهـ هـ هـ! آآآ هـ هـ هـ! حتى صرخت أخيرا بيأس! وهي ملفوفة في الملاءات! وإلى أعلى مضت .. وتلك هي الكيفية التي تمّ بها الأمر.

«ثم ذهب إلى شجرة الكستناء، مفكرا في السيرك، وبينما كان يتبول حاول أن يحافظ على التفكير في السيرك، لكن لم يمكنه أن يجد الذكرى أكثر من ذلك، فدفع رأسه بين كتفيه مثل كتكوت صغير، ومكث لا يتحرك مع جبهته أمام جذع الشجرة .. » (من رواية «مائة عام من العزلة»)

ماركيز: كانت تراجيديا إغريقية مقدرة، قبل أن تكون لدي «مائة عام من العزلة». لقد عرفت دائما أن هناك شخصية، جنرال عجوز من الحرب الأهلية، مات وهو يتبول أمام شجرة. كان ذلك هو ما عرفته. لم أكن أعرف كيف أو بأي أسلوب سوف يتم العمل. ذلك هو كيف تشكلت شخصية جنرال بويندیا.

كانت هناك لحظة في رواية «مائة عام من العزلة»، حين فكرت أن الكولونيل أورليانو بويندیا سيلفظ أنفاسه. وهو الأمر نفسه مع الديكتاتور في رواية «خريف البطريرك». لكن ذلك قد يدمر تماما بناء الكتاب، ويحوله



موتسارت

إلى شيء آخر. إلى جانب ذلك، كان هناك مسار الشخصية وواقع الكتاب. ما كان يهمني حقيقة، أن يبيع الحرب، يبيعها .. من .. وجهة نظر أيدلوجية، إذا ما شئت. لم يكن الرجل يجرؤ على أن يستمر في القتال من أجل السلطة، بسبب بعض اللبراليين، الذين قد ينزلون بنطلوناتهم في كل الحروب الأهلية للقرن الماضي في هذا البلد.

ومضيت قدمًا في كتابة الكتاب، وفجأة تذكرت في منتصف كل تلك الأشياء، أن هناك مشكلة تنتظر: الكولونيل بويندِيا وسمكاته الذهبية. ولم أكن أعرف إذا ماكان يتوجب على أن أقتله. كنت خائفًا من تلك اللحظة.

أظهر ماركيز ما كان لكافكا من تأثير حاسم في تطوره، واعترف إلى أي مدى احتاج أن يعمل حتى لا يكون مثل فوكنر، وذلك حين كتب رواية "عاصفة الأوراق". كما لاحظ، أخيرًا، نكهة الكاريبي العامية في رواية "خريف البطريرك

من المحتمل أنها كانت واحدة من أصعب الأوقات، التي مررت بها في حياتي، وذلك حين كتبت موت الكولونيل أورلويانو بوينديا. أتذكر بشكل تام .. أنني قلت ذات يوم، «اليوم سيناله!» .. لقد أردت دائما أن أكتب قصة قد تصف، بشكل تفصيلي، كل لحظة في حياة شخص من يوم عادي، حتى يموت. لقد حاولت أن أعطي ذلك الحل الأدبي لموت الكولونيل أورليانو بوينديا، لكنني وجدت أنني إذا اتبعت ذلك الممر، سيتغير الكتاب. لذلك، رميت تلك الإمكانية، وبدأت أنسج تعامل الكولونيل في ذهني، حتى .. (يلكم ماركيز المائدة)

(أصبح جابو صامتًا. كان ينظر إلى يديه، وبدأ يتكلم ببطء، ببطء شديد)

نهضت. كانت مرسيدس هناك في إحدى الحجرات تأخذ سنة من النوم .. ركعت إلى جانبها، وقلت لها «لقد مات!» .. وبكيت لمدة ساعتين.

لكن كان هناك ما هو مثير للفضول أكثر حول الكولونيل. كان لدي بثرات لمدة خمس سنوات. هل تعرفون ماهي البثرات؟ لاشيء يمكن أن يشفيها. لقد جربت كل أنواع العلاج. كانوا قد أزالوها في مستشفى في نيويورك، سحبوا دما من جانب وأعطوني حقنا في الآخر، كل أنواع المواد. ولم يفلح في علاجها أي شيء خلال خمس سنوات. قد تختفي البثرات، لكن سرعان ما كانت تعود ثانية. حسنًا، حين كنت أكتب رواية «مائة عام من العزلة»، جاءت إلى ذهني حول الكولونيل أورليانو بوينديا، كشخصية ممقوتة، وكانت دائما ممقوتة، لأن الوحش كان قابضًا على السلطة، كما لو أنه امتلكها، ولم يخرج أبدا من غروره المنحرف. وهكذا قلت، حسنا، ما هو المرض الذي يمكنني أن أمنحه إيّاه، وهو ما قد يصيبه بعلّة لكنه لن يقتله؟ .. هكذا منحته البثرات. أنتم تعرفون، أنه منذ اللحظة التي التصق فيها الكولونيل أورليانو بوينديا بالتقرحات، تمّ شفائي منها. كان ذلك منذ عشر سنوات، ولم تعد إليَّ بعد ذلك أبدًا.

كانت الحالة الأخرى، هي أورسولا. كنت قد خططت في مشروعاتي المبدئية بأن تموت أورسولا قبل الحروب الأهلية. إلى جانب ذلك، ومن خلال حد تأريخي، كانت ستبلغ عندئذ ما يقرب قرن من العمر. إذا ماتت عندئذ، فقد يتداعى الكتاب جزئيًا. هكذا تأكد لي، أنني يجب أن أتماسك حتى يجيء الوقت، حين يبدأ الكتاب في التداعي فعلا. لكن ذلك لن يكون مهمًا، لأن القصور الذاتي سيحمله حتى النهاية. ذلك هو السبب في أنه كان لا بد من الحفاظ عليها حتى النهاية الجحيمية. أنتم تعرفون، أنني لم أجرؤ على إخراج أورسولا من الصورة. كان يجب أن أراوغ من حولها، أن أفعل كل شيء ممكن كي أتبعها إلى أي مكان يمكن أن تذهب إليه.

❖ هل تعدّ التقرحات معك، هي الشيء نفسه مع صرع دوستويفسكي ؟

ماركيز: نعم، لكنه لم يشف. إنها ليست حقيقة، أن واحدا من أفضل المشاهد، التي لا تنسى في تاريخ الأدب، حين كان سمردياكوف يسقط على السلالم ؟ إلى جانب أننا لن نكتشف أبدًا إذا ماكان ذلك صحيحًا أم لا. أو إذا كانت هناك فعلا أزمة حقيقية أو فقط لمجرد الإقناع. ذلك هو ما يعدّ غير قابل للنسيان.

بعد شغب ٩ إبريل في بوجوتا، حين لم يبق لدي شيء ما عدا الملابس التي ارتديها، ارتحلت إلى منطقة الكوست، وبدأت أعمل هناك في صحيفة. ثم بدأت الموضوعات تغزوني

❖طالما أننا نتحدث عن الشخصيات. هناك شيء ما يجعلني قلقًا، لأن أعمالك عمومًا بشكل مماثل، قد حددت بوضوح الشخصيات، التي تبدو أنها تملأ كل عمل. بينما يبدو البشر العاديون وهم يملؤون العمل ضعاف اللون، على المستوى الثاني، كزوائد.

ماركيز: تحتاج التجمعات البشرية إلى كاتبها، كاتب يمكنه أن يبدع شخصياتها. إنني كاتب بورجوازي صغير، ووجهة نظري هي دائما وجهة نظر بورجوازي صغير. ذلك هو مستواي، منطلقي. مع أن مزاجي المتضامن قد يختلف. لكنني لا أعرف وجهة النظر تلك. أنا أكتب من داخلي، من نافذة حدث أن أكون فيها. ولا أعرف حول التجمعات البشرية أكثر مما قلت أو كتبت. من المحتمل أن أعرف أكثر، لكن ذلك أمر نظري تمامًا. تعدّ وجهة النظر هذه مخلصة. وخلال لا وقت، حاولت أن أقهر أشياء. هناك جملة قلتها، وقد علّت حتى أبي، الذي ظن أنها تسكت. «ماذا سأكون فيما بعد؟ إنني ابن عامل تلغراف في اركاتاكا». وما ظنّه أبي أنه ينتقص من قدره جدا، كان بالنسبة إليَّ، على الوجه المقابل، يبدو تقريبًا من النخبة من خلال ذلك المجتمع، لأن عامل التلغراف يظن نفسه مثل كبير مفكري المدينة. وهم عادة، كانوا طلبة فاشلين، شبان هجروا دراساتهم، وانتهوا إلى أداء ذلك العمل. في آراكاتاكا، تمتلئ المدينة بالعمال الكادحين، لكنكم نهمون. لقد كنت أتحدث حول الأدب مثلما لم أكن، أفعل، أوه، منذ سنين. وبالإضافة إلى ذلك، فإنني أكون خجولاً جدًا حين أتحدث عن الأدب.

❖ أجل، حسنًا، يعدّ الأمر، إنه ما زال هناك «خريف البطريرك». يقال أحيانا إنك قد صنعت سجل أعمال وأحداث صافية من عملك السابق؟.

ماركيز: نعم، هذا هو ما قلت.

❖ قلت أيضا في تقرير إنها سيرتك الذاتية مشفرة بشكل سري. وبالنظر إلى ذلك، فإنها تبدو كما لو أن الكتابة تصبح أكثر تعقيدا، أقل قابلية للتواصل مع الجمهور العام.

ماركيز: لكن بمضي الزمن. ستمنح نفسها للجمهور العام. لقد وضعت «خريف البطريرك»، لتنتظر البشر فقط كي يتعلقوا بها. وكما ترى، فأنا أعتقد أن القراء الذين أمسكوا بها كانوا غير مهتمين، لأن أولئك الذين تنقصهم المعرفة الأدبية، يمكن أن يقرؤوا البطريرك بشكل أكثر استعدادًا من قراء لهم خلفية أدبية. لقد رأيت في كوبا، حيث طرح الكتاب هناك في الشوارع، إن القراء غير العارفين لا يستبعدوا، بل يستبعدون بدرجة أقل. تعدّ خريف البطريرك .. رواية ممتدة إلى الأمام تمامًا، أولية بشكل مطلق، حيث الشيء الوحيد الذي فعلته هو كسر قواعد لغوية معينة من أجل خاطر التركيز والإيجاز، هذا هو، لكي يعاد اعمال موضوع الزمن. بطريقة ما، لدرجة أنها لن تصبح شيئا لا نهائيا. وأنا لا أرى أي شيء غبي في هذا. بالإضافة إلى ذلك، فهناك كثير من الأعمال مثل تلك الرواية في تاريخ الأدب. أنا لا أرى مكمن الصعوبة في الأمر.

أنتم أيها الشباب. لا يمكنكم أن تتخيلوا ما عنته لفتّي منحة دراسية في الليزيو دي زاباكيرك، للحصول على مدخل إلى الكتب .. ربما كانت رواية "التحول" لكافكا، هي الكشف .. كان ذلك في عام ١٩٤٧م. وكنت وقتها في التاسعة عشرة من عمري

❖ لكن الانطباع الذي يخرج به الفرد يعدّ أعظم تعقيداً من ذلك. إنه يبدو مثل كتاب من أجل التلقين.

ماركيز: في البناء، نعم يعدّ كذلك. لكن لغته تعدّ هي الأكثر عامية وشعبية من بين كل رواياتي. إنها مشفرة أكثر، بمعنى أنها أكثر تقييداً. إنها أكثر قربًا للناس، لسائقي سيارات الأجرة في بارانكيلا، تعدّ أقرب إلى الخطاب من اللغة الأدبية. إنها ممتلئة بجمل قصيرة من أغنيات، كل أنواع تعبيرات الأمثلة، واللهجات من الكاريبي.

❖ وهكذا تنطلق الصعوبة من حقيقة أن معظم القراء، الذين لم يعيشوا تلك التجربة يفتقدون إلى تلك المراجع نفسها.

ماركيز: لا، لأنه لو كانت تلك هي الحالة، فإن الكتاب يكون على خطأ، لأنه يجب أن يكون قابلا للتواصل حتى إذا كان القارئ يفتقد إلى تلك المعلومات. إذا كانوا يحتاجون إلى تلك المعلومات السابقة، فإن الكتاب يكون على خطأ. إنني لا أشعر بأن هؤلاء الذين يعرفون الشفرات يتمتعون بمدخل أسهل إليه. ربما سيتمتعون أكثر. أعتقد أن الكتاب يعدّ مفهومًا حتى دون العدد الكبير من الاستشهادات من روبين داريو التي بداخله، عبر كل المكان، لأن كل الكتاب قد كتب في روبين داريو. سيكون ذلك أمرًا خاطئًا، إذا كنت تحتاج إلى بعض المعلومات كي تقرأ الكتاب. لكنني لا أعتقد أنك تحتاج إليها.

كنت شديد الاهتمام بما كنت أفعله. لدرجة أنني تيقنت أن عليّ أن أنطلق وأسافر عبر نهر الماجدالينا بعيدًا إلى ريوهاشا. بعيدًا بقدر شبه جزيرة الجيخيرا. كان طريقا محددا هو العكس تماما للطريق الذي سافرت به أسرتي

إنني أعتقد أنها قصيدة أكثر منها رواية. لقد تحررت أكثر كقصيدة عنها كرواية. قد أكون كتبتها دون أن أقرأ مجرد كتاب واحد، لكن ليس دون سماع كل الموسيقى التي استمعت إليها. ذلك هو ما صنع منحني حرجًا للموسيقا، بينما كنت أكتبها. وذلك من أجل سبب أساسي مطلق: لأنه للمرة الأولى منذ «مائة عام من العزلة» يمكنني أن أقتني كل التسجيلات التي أريدها. قبل ذلك، كان على أن أنصت إلى موسيقى مستعارة. يعدّ الجانب الجمالي أكثر تعقيدًا في «خريف البطريرك»، لكنه ليس جمالاً جديداً، بل فقط أكثر تعقيداً.

لقد عملت عليها أكثر مما لو كانت قصيدة. إنها تعدّ رفاهة، لأن الكاتب الذي كتب «مائة عام من العزلة» يمكنه أن يتحملها، حين يقول. حسنًا، الآن سأكتب الكتاب الذي أريد. يمكنني أن ألعب، أن أصنع شيئا. أعترف بكثير من الأشياء. وكما ترون، فإن وحدة السلطة تشبه إلى حد بعيد وحدة الكاتب.

لكن هذا لا يعني أن الكتاب مشفّر، لأن المشفرة فقط هي الأحداث التي تخدم كأساس، مثل بعض أحداث «مائة عام من العزلة». تعدّ البقية تجارب عايشتها. تتعجب أمي حين تقرأ الكتاب، لأنها حين تمضي في قراءته تقول «إن هذا مثل كذا وكذا، وهذا هو ذاك، ذلك هو رفيقي، الذي قد يقول عنه أحد الناس إنه غريب، لكنه حقيقة ليس كذلك».

أعتقد أن المشكلة مع قراءة البطريرك تعدّ أساسا فكرية. يعدّ نقادك هم الوحيدين، الذين لم يفهموها، لأنهم يبحثون عمّا يوجد هناك، وليس هناك شيء. إنه

أكثر كتبي كوستالية (نسبة إلى منطقة الكوست)، أكثر كتاب مقيّد إلى الكاريبي بأسلوب متعصب. ذلك الكتاب الذي يقال عنه الكثير، اللعنة! لماذا نحن جميعا أيها الشبان متخاذلون ؟ يعدّ هذا قطرًا مختلفًا تمامًا، وثقافة أخرى. انه مستمد من رغبة في أن يجتذب مجموعة أشياء. يتكون لدي فرد ما انطباعا بأنه لم يفهمها. وهكذا، فإن ذلك المبغى الذي اعتدت أن أعيش فيه كان مترعا بمواد من الكاريبي. كما كانت هناك حانة الميناء، حيث قد نذهب لتناول طعام الإفطار، عندما يوزع الورق في الرابعة صباحًا، وحيث تنفجر مشاجرات مذهلة وتندلع فوضى. وتبحر المراكب الشراعية ذات الصاريين إلى أوربا وكوراكاو، محملة بالعاهرات .. أنا لا أدرى، ربما تلك التي ارتحلت ثم عادت مع التهريب .. وقرطاجينا فيما بعد ظهيرة أيام السبت، مع الطلبة، وكل تلك الأشياء. ها أنتم ترون، أنني أعرف الكاريبي، جزيرة جزيرة، مثل تلك، جزيرة تلو جزيرة تلو جزيرة. ويمكن لها أن تؤلف في شارع وحيد، مثل ذلك الذي يظهر في «خريف البطريرك»، ويعتبر الشارع الوحيد في باناما، وفي لا جييرا. ومع كل شيء، تنبعث هناك كل أعمال الشارع في مدينة بناما، حيث يمتلئ بالباعة الجائلين.

يوجد هناك جهد في محاولة الإمساك بكل ذلك وتأليفه بشكل ما. ربما لم تخرج بشكل صحيح. لكن تعدّ رواية البطريرك هي القنوات الاثنتي عشرة التي يحصل عليها من يتجول عبر الشارع المركزي في بناما، أو ذات ما بعد ظهيرة في كارتاجينا، كل تلك الكومة الملعونة للكاريبي، لأنها تعدّ ملعونة، بما فيها كوبا اليوم، مهما تكن، ومهما كانت هافانا .. أعتقد أن هناك جهدًا شعريًا في محاولة أن تستخرج النهاية الأخرى. كان يمكنني أن أحافظ على كتابة «مائة عام من العزلة»، متسلسلة، الجزء الثاني، الجزء الثالث، والرابع، مثل «الأب الروحي». لكن هذا لايمكن أن يحدث. إذا أردت أن أستمر في الكتابة، فاني أحتاج إلى أن أرى كيف يمكن للجحيم أن يكون. وهو شيء لا يعنيني بذلك القدر منذ البطريرك. إذا كتبت قصصا مرة أخرى، فإن النموذج الآن هو سومرست موم. إنها قصص هادئة، قصص خريفية، تسرد بواسطة رجل يحكي سلسلة أشياء عاشها ورآها، في شكل هو .. دعنا لا نقل كلاسيكيًا، لأن التعريفات تلوي عنق كل شيء، بل دعنا نقل شكلاً أكاديميًا، ذلك لأن موم كتب قصصًا جيدة جداً. ومن المحتمل أن تكون من أفضل ما عرفت. فهي تتمتع بإيقاع معين، ولا تسبب ضوضاء. إنها نموذج جيد لكتابة القصص .. هكذا! .. . ماذا سنقول أيضا حول البطريرك ؟

❖ ما هو الكتاب، الذي تعتبره من بين كتبك تجارب شخصية ؟

ماركيز: من الصعب أن أقول، لأن جميع التجارب قد تفككت وأذيبت. ربما يمكننا أن نجلس يوما ونقرأ مقاطع ونتحدث حولها ..

❖ حول روبين داريو، للمثال.

ماركيز: أجل، حسنا. يعدّ روبين داريو هو شاعر

أنني لا أستطيع التحدث عن الموسيقى، لكن لأنني ضبطت متورطًا، لا يمكن أن ينتهي الأمر هكذا، إنها .. شيء حميم جدًا، بل أكثر من سرّ، حين تتحدث مع الناس عنها .. بالنسبة إليّ تعدّ الموسيقى كأي شيء يصنع صوتًا

أتذكر حين كنت أعمل في "الهيرالد". وكان عليّ أن أكتب قطعة سيدفعون إليّ عنها ثلاثة بيسو. ربما تكون افتتاحية لثلاث أخريات. الحقيقة، هي أنني لم أعش في أي مكان، بل عشت قريبًا فقط من الصحيفة، حيث كانت هناك بعض فنادق للعابرين

العصر، الذي كان يعدّ عصر الكتاب. وكما تعرف، بإنه يقال، إن هناك صعوبات لدى كل المترجمين معه. إنه لم يترجم أبدا كما ينبغي، كشاعر عظيم. إنه ليس معروفًا في أي مكان. وهناك مشاكل أخرى، تضع المترجمين في فوضى رهيبة. سيجن مترجمو «خريف البطريرك» تماما. للمثال، سيسألون «ماذا تعنيla manta de la bandera؟» إنها تعني أدبيا «ملاءة العلم» في منطقة الكوست، لا أعرف ما تعني هنا، لكنmanta تعنى هناك ورق سيجارة يباع من أجل لفّ حشو المارجوانا. وقد وردت مرّة مع العلم الأمريكي. يعدّ الأمر بسيطا جدا، في منطقة الكوست، إن من يرى تعبير manta de bandera يعرف بشكل صحيح تماما

أنها ورقة مع علم الولايات المتحدة كقدر للتدخين. يمكنك أن تتخيل الملاحظة التي يجب على المترجم أن يضعها كي يشرح la manta de bandera. إن ما نحتاج إليه، هو أن ننسى المعاني السابقة والتضمينات، وأن نجد الصيغة الصحيحة.

هناك أيضا عنصر عجيب آخر: إنه-salchichn de hoy ito التي تعني أدبيا «سجق مع فجوة صغيرة». إنه تعبير متداول بين سائقي سيارات الأجرة في منطقة بارانكيلا. ❖ وماذا يعني ذلك ؟

ماركيز: إنه سجق فيه فجوة صغيرة على الطرف المستدق. إنهم يقولون عنه في إسبانيا la polla وفي الأقطار الأخرى يقولون la pinga. لكن عندما يقول سائقو سيارات الأجرة في البارانكيلا «سجق مع حفرة صغيرة «عندئذ يسأل كل مترجم «ماذا تعني سجق مع حفرة صغيرة»؟ ما هو التفسير؟ لكنها ليست كل الكتاب، بل هي فقط كل تلك المادة. صحيح؟ إنها المادة الكاريبية. للمثال، في كوبا لا يعرفون ما هو salchivhn de hoyito، لكن حين يقرأها كوبي، أو حين يقرؤها أي فرد من الدومينكان أو من بورتو ريكو، فإنهم يعرفون فورا ماذا تعني. إنهم يكتشفونها. لأنهم يعرفون آليات سياق الكلام، إنهم يعرفون كيف وصلت إلى هناك.

أعتقد أن المشكلة مع قراءة البطريرك تعدّ أساسا فكرية. يعدّ نقادك هم الوحيدين، الذين لم يفهموها، لأنهم يبحثون عمّا يوجد هناك. وليس هناك شيء. إنه أكثر كتبي كوستالية (نسبة إلى منطقة الكوست). أكثر كتاب مقيّد إلى الكاريبي بأسلوب متعصب

هامش

نشر هذا الحوار مترجما للمرة الأولى إلى اللغة الإنجليزية في مجلة «فيرجينيا كوارترلي ريفيو» عدد صيف ٢٠٠٥م، وقام بترجمته إلى الإنجليزية جين هـ. بيل نيفادا، وسيكون ضمن كتاب لهذا المترجم بعنوان «حوارات مع جابرييل جارسيا ماركيز»، سيصدر قريبا عن وكالة جامعة ميسيسيبي في شهر ديسمبر عام ٢٠٠٥م.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٤٧) جمادى الأولى ١٤٢٦هـ / يونيو ـ يوليو ٢٠٠٥م.

الفائز الأول: السيد مبروك عبدالخالق العيد ـ منوفية ـ مصر.
الفائز الثاني: ربى محمد ديب الدرع ـ الشارقة ـ الإمارات.
الفائز الثالث: سلطان أحمد عبدالله ـ صنعاء ـ اليمن.
الفائز الرابع: محمد نجيب إسماعيل باكير ـ حلب ـ سورية.
الفائز الخامس: ميرزا أحمد علي ـ مدينة حمد ـ البحرين.
الفائز السادس: فيصل لفرير ـ أغادير ـ المغرب.
الفائز السابع: رشيد الصكلبي ـ خنيس ـ تونس.
الفائز الثامن: مراد عبداللطيف محمد الخالد ـ الزرقاء ـ الأردن.

حلّ مسابقة العدد (٣٤٧)

١ـ نعى نفسي إليّ من الليالي
تصرّفُهنّ حالاً بعد حالِ
قائل البيت هو أبو العتاهية.

٢ـ أسماء «الثلاثية» لنجيب محفوظ هي: السكرية ـ قصر الشوق ـ بين القصرين.

٣ـ «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» عبارة شهيرة لأحد الشعراء الإنجليز هو: رديارد كيبلنغ.

أسئلة مسابقة العدد (٣٥٠)
أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) شاعر عربي أندلسي لقب بـ «متنبي المغرب» اذكر اسم هذا الشاعر؟

(٢) «لوليتا» رواية شهيرة اذكر اسم كاتبها؟

(٣) دون خوان «دون جوان» شخصية خيالية ابتكرها أحد المسرحيين الإسبان ..
اذكر اسم هذا المسرحي، واسم المسرحية التي ولدت بها هذه الشخصية؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

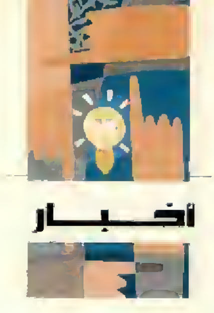
ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- مقتنيات جديدة لمركز الملك فيصل
- وفاة محمد النور وعبدالعزيز سعيد والشيخ أحمد ديدات
- الحضارة اليمنية في واشنطن والثقافة العراقية في الدانمارك
- موسوعة مكة تصدر كتبًا

●● خاتمة المطاف: العلاقة بين التعليم والاقتصاد



مقتنيات جديدة لمركز الملك فيصل

أهدى صاحب السمو الملكي الأمير عمرو بن محمد الفيصل إلى مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مجموعة من الكتب والفهارس الخاصة بالمسكوكات، من بينها نوادر مهمة. وتعدّ هذه المجموعة إضافة مميزة للمكتبة، نظراً لما تحتوي عليه من معلومات ذات قيمة علمية رفيعة، ولوحات توضيحية. وتعد المجموعة إضافة قيمة إلى مجموعة مقتنيات المركز من المصادر الأساسية. ومن بين العناوين التي أهداها سموه:

- BY BURTON HOBSON
HISTORIC GOLD COINS OF THE WORLD
from Groesus to Elizabeth ii.
Foreword by Howard Linecar
Photographs by Michael V.DiBiase
BLANDFORD PRESS, Ltd, LONDON

- Rare Islamic Coins
By GEORGEC C.MILES
THE AMERICAN NUMISMATIC SOCIETY
BROADWAY AT 156TH STREET
NEW YORK
1950.

- CATALOGUE
COINS OF THE SHAHS
OF PERSIA
BRITISH MUSEUM
LONDON
BY ORDER OF THE TRUSTEES.
1887.

- KARAMAN OGULLARI BEYLIGI
MADENI PARALARI
COINAGE OF THE KARAMANIDS
Guneyi olcer

- Coins of the Spanish
Muluk al -Tawa'if
BY GEORGE C. MILES
PUBLISHED IN CO - OPERATION WITH
THE HISPANIC SOCIETY OF AMERICA



الأمير عمرو بن محمد الفيصل

THE AMERICAN NUMISMATIC SOCIETY
NEW YORK
1954

- Modern Copper Coins
of the
MUHAMMADAN STATES
of
Turkey Persia Egypt
Afghanistan
Morocco
Tripoli
Tunis,
atc.
BY
W. H. VALENTINE
SPINK & SON, LTD
LONDON, W.
1911.

- تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي
حسان علي حَلاّق
دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان
دار الكتاب المصري - القاهرة - مصر، وغير ذلك من الكتب التاريخية القيمة.

محمد النور وعبدالعزيز سعيد في ذمة الله

فقد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الشهر الماضي اثنين من منسوبيه، فقد توفي في ٢٦جمادى الآخرة الماضي الأستاذ الزميل محمد علي عبدالله النور بالخرطوم في أثناء قضائه إجازته السنوية ببلاده.

ولد الفقيد بمحلية ود العباس بمحافظة سنار عام ١٩٥٨م، وتخرج في قسم المكتبات والمعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وحصل على شهادة الليسانس بتقدير جيد جداً في سنة ١٤٠٣هـ.

وكان من أوائل الذين التحقوا بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بعد إنشائه، وعمل في وظيفة أخصائي معلومات، واستمر في العمل فيه حتى لقي ربه، وهو متزوج وله ولدان وأربع بنات.

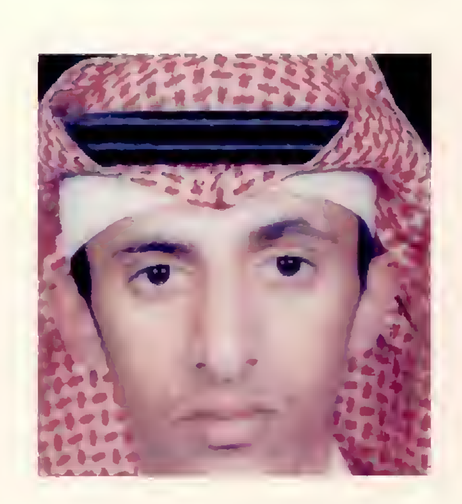


محمد علي عبدالله النور

وتميز الفقيد في عمله بالإخلاص والتفاني، مما جعله يقيم علاقات طيبة مع الباحثين المتعاملين مع مكتبة المركز.

كذلك فقد المركز في التاريخ نفسه الزميل عبدالعزيز عبدالله بن محمد بن سعيد بعد صراع مع المرض، عن عمر يناهز ٢٧ عامًا، وقد التحق الفقيد بالعمل في المركز في ١٤٢٠/٧/١هـ، وظل على رأس العمل حتى وفاته.

ولد الفقيد بمدينة الرياض في ٢٨ رمضان سنة ١٣٩٩هـ، وحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة الأعشى في الرياض. والكفاءة من متوسطة الخليج، والثانوية من مدرسة موسى بن نصير الثانوية، كما حصل على دورة في رام لعلوم الحاسب الآلي، وعلى شهادة في إدخال البيانات ومعالجة النصوص بتقدير ممتاز في الفترة من ١٤٢٠/١٠/٨هـ إلى ١٤٢١/٤/٨هـ. وهو متزوج حديثًا وله ابنة واحدة.



عبدالعزيز عبدالله بن محمد بن سعيد

وفاة الداعية أحمد ديدات

توفي في الثامن من أغسطس/آب الماضي في ديربان بجنوب إفريقية الداعية الإسلامي المشهور الشيخ أحمد حسين ديدات عن عمر يناهز ٨٧ عامًا، وقد عانى الشيخ أحمد ديدات من شلل دماغي أقعده طريح الفراش منذ عام ١٩٩٦م بعد رجوعه من رحلته الدعوية في أستراليا، وقد أمر صاحب السمو الملكي الأمير سلطان ابن عبدالعزيز ولي العهد بإرسال طائرة إخلاء طبي نقلت الشيخ ديدات إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض للعلاج، مما كان له الأثر الأكبر في استقرار حالته المرضية حتى وفاته.

اشتهر الداعية الراحل بمناظراته التي تركزت في جانب الدفاع عن الإسلام. ومن أشهرها مناظرته للقس الأمريكي جيمي سويجارت حول تناقضات الأناجيل، التي أسلم على أثرها عدد كبير من الحاضرين لتلك المناظرة.

ولد الشيخ أحمد حسين ديدات عام ١٩١٨م في بلدة «تادكيشنار» بولاية «سوارات» الهندية، وقد أخطأ بعض مترجمي كتبه حين ذكروا أنه ولد في جنوب إفريقية. وكان والده حسين ديدات خياطًا هاجر من الهند إلى جنوب إفريقية مباشرة بعد مولد ابنه أحمد بسبب الظروف المعيشية القاسية التي كانت في الهند. ولحق أحمد ديدات بوالده في جنوب إفريقية في عام ١٩٢٧م، وكانت تلك بالنسبة إلى أحمد فراق ووداع لوالدته التي ما لبثت أن توفيت بعد هجرته بأشهر قليلة.

واستطاع أحمد، الذي عرف بذكائه وهمته العالية، تعلم الإنجليزية، لغة البلد، فبدأ دراسته حتى أكمل بنجاح وامتياز الصف السادس، ولكن الظروف المادية الصعبة أعاقت استكماله دراسته، فتوقف وعمره إذ ذاك ستة عشر عامًا، وبدأ منذ ذلك الوقت التنقل في أعمال ووظائف مختلفة من أجل لقمة العيش.

وعكف في غضون ذلك كله على حفظ القرآن، ودراسة الإسلام ومبادئ الشريعة، وأولى عناية خاصة بدراسة سيرة الرسول ﷺ، كما قرأ الكتب التي ترد على شبهات المستشرقين حول رسول الإسلام محمد ﷺ، والقرآن الكريم.

ورحل إلى باكستان عام ١٩٤٩م، ومكث فيها فترة منكباً على تنظيم

موسوعة مكة والمدينة تصدر كتبًا



قامت موسوعة مكة والمدينة المنبثقة عن مؤسسة الفرقان في لندن بإصدار سلسلة كتب جديدة بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية. وقد نشر ضمن هذه السلسلة حتى الآن العناوين الآتية:

- الثبت الكبير في مشيخة وأسانيد وإجازات العلامة المسند الشيخ حسن المشاط المالكي، تحقيق: الدكتور محمد عبدالكريم بن عبيد.
- مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز، ترجمة وتعليق: الدكتور سهيل صابان.
- الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العهد المملوكي، تأليف: الدكتور حسين عبدالعزيز الشافعي.

معمل للنسيج، ولكنه اضطر إلى العودة مرة أخرى إلى جنوب إفريقية بعد ثلاث سنوات للحيلولة دون فقدانه لجنسيتها، اذ أنه ليس من مواليد جنوب إفريقية، وقد عرض عليه فور وصوله إلى جنوب إفريقية استلام منصب مدير مصنع الأثاث الذي كان يعمل فيه سابقاً.
عرف الشيخ أحمد ديدات بشجاعته وجرأته في الدفاع عن الإسلام، والرد على الأباطيل والشبهات التي كان يثيرها أعداء الإسلام، وأسلم على يديه بضعة آلاف من النصارى من مختلف أنحاء العالم، والبعض منهم الآن دعاة إلى الإسلام.
ألّف الشيخ أحمد ديدات ما يزيد على عشرين كتاباً، من أبرزها: «الاختيار بين المسيحية والإسلام»، و«هل الكتاب المقدس كلام الله»، و«السير ضد التيار»، و«القرآن معجزة المعجزات»، وطبع الملايين منها لتوزع بالمجان، بخلاف المناظرات التي طبع بعضها، وقام بإلقاء آلاف المحاضرات في عدد كبير من بلدان العالم، كما قام بتأسيس معهد السلام لتخريج الدعاة، بالإضافة إلى المركز الدولي للدعوة الإسلامية بمدينة «ديربان» بجنوب إفريقية.
وقد مُنح الشيخ أحمد ديدات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦م، تقديراً لمجهوداته الضخمة في الدفاع عن الإسلام مدة تزيد على ٢٥ عاماً.

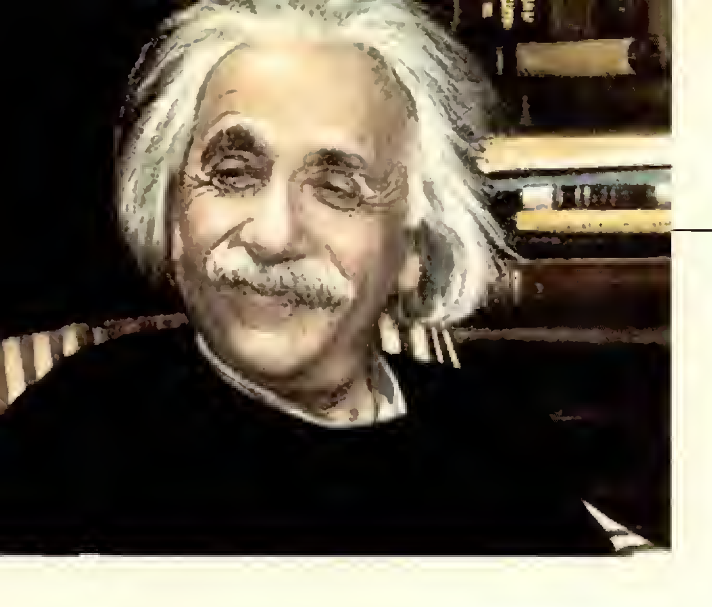


الشيخ أحمد حسين ديدات

- الأربطة في مكة المكرمة في العهد العثماني: دراسة تاريخية حضارية، تأليف: الدكتور حسين عبدالعزيز الشافعي.
- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، تأليف: خالد محسن الجابري.
- رحلة الرحلات: مكة المكرمة في مئة رحلة مغربية ورحلة، تأليف: الدكتور عبدالهادي التازي.

وهنالك بعض العناوين الجاهزة التي ستصدر قريبًا، وهي:
- الكتابة والكتاب في عصر النبي والخلفاء الراشدين، تأليف: الأستاذ ماجد بن عبود بادحدح.
- الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان، تأليف: زكريا عبدالله بيلا، وتحقيق: الدكتور عبدالله أبوسليمان، والدكتور محمد إبراهيم محمد علي.

وتحتوي هذه الكتب على معلومات قيمة تعدّ إضافة حقيقية إلى تاريخ مكة المكرمة، أعدّها علماء كبار وأساتذة متخصصون، كما أن بعضها رسائل جامعية نوقشت في الجامعات السعودية، وقد أخرجت هذه الكتب في طباعة أنيقة.
وتنوي الموسوعة المضي قدمًا في هذا المشروع بإصدار أكبر قدر ممكن من هذه الكتب العلمية عن تاريخ مكة المكرمة، وهي بذلك تقدم خدمة جليلة لإظهار الدور الحضاري الرائد لمنطلق الإسلام ومهده مكة المكرمة، وهو ما لم تقم به أي مؤسسة أخرى خلال فعاليات هذه المناسبة.



الحضارة اليمنية في واشنطن

شهدت العاصمة الأمريكية واشنطن مؤخرًا معرض «الحضارة اليمنية»، بهدف استقطاب المجتمع الأمريكي للسياحة في اليمن. ويجيء هذا المعرض في تزامن مقصود مع توافد السياح على واشنطن خلال فصل الصيف.

وقال وزير الثقافة والسياحة اليمني خالد الرويشان في تصريح صحفي: إن المعرض يشكل محاولة لتقديم الصورة الحقيقية لليمن، بوصفها حضارة قديمة وواقعًا وحاضرًا يسعى صوب التحديث.

ويحتوي المعرض على ٥٠٠ قطعة من أهم القطع الأثرية اليمنية المتنوعة جمعت من متاحف كثيرة في اليمن، وقال الوزير اليمني: إنه تم اختيارها وفقا لرؤية تحاول تقديم الحضارة اليمنية بألوان الطيف. وأشار إلى أن المعرض الحالي يتنقل في أوربا منذ سنوات حيث حط في ألمانيا وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا في جولة تستمر حتى سبتمبر/أيلول القادم. وهذه هي أول فعالية يمنية كبيرة بهذا الحجم تقام في الولايات المتحدة، وأُقيم على هامش المعرض فعاليات ثقافية موازية، إلى جانب افتتاح معرض الحضارة، حيث هناك فرقة فنية ستؤدي عددًا من الوصلات الفنية المختلفة للفلكلور الشعبي اليمني. وعبّر الرويشان عن أمله في أن تكون فعاليات معرض الحضارة اليمنية في مستوى العلاقات بين صنعاء وواشنطن، وقال: إن اليمن تسعى من خلال هذه الفعاليات إلى فتح باب جديد للسياحة الأمريكية بالتوازي مع السياحة الأوربية.



نظرية آينشتاين للتكثيف بخطه

عثر طالب هولندي في جامعة ليدن على النسخة الأصلية لنظرية عن تكثيف ذرات الغاز كتبها ألبرت آينشتاين بخط يده قبل ٨١ عامًا، وعثر الطالب على النسخة الأصلية في مكتبة أستاذ سابق وصديق لآينشتاين يدعى بول إيهرنفيست.

وتصور النظرية سلوك ذرات الغاز في درجات حرارة متدنية جدًا وهي نظرية عرفت بنظرية بوس آينشتاين للتكثيف، علمًا أن بوس هو العالم الهندي الذي طور معه آينشتاين نظرية التكثيف هذه.

وتنبأت النظرية بأن ذرات الغاز إن أخضعت لدرجة حرارة تصل ٢٧٣ تحت الصفر تضعف طاقتها، مما يجعلها تتحد بعضها مع بعض في ذرة كبرى أطلق عليها اسم مونو أتوم.

وقد كتب آينشتاين النظرية في عام ١٩٢٤م، ونشرها في العام التالي في محاضر الأكاديمية البروسية للعلوم في برلين التي بقي فيها حتى ١٩٣٣م، وهو تاريخ هروبه إلى الولايات المتحدة، ولم تثبت النظرية إلا في عام ١٩٩٥م على يد العالمين إيريك كورنيل وكارل ويماهن مستعلمين الروبيديوم ونالا بفضلها جائزة نوبل في ٢٠٠١م.

يذكر أن آينشتاين كان أستاذًا في جامعة ليدن، وكان يحرص على زيارة زميله عالم الفيزياء الهولندي بول إيهرنفيست وترك لديه هذه المخطوطة التي يبلغ عدد صفحاتها ١٧ صفحة، وظلت ضائعة حتى عثر عليها هذا الطالب بين نسختين قديمتين لمجلة «الفيزياء»، خلال تحضيره لبحث يجريه.

الثقافة العراقية الدانماركية

من المقرر أن يقيم تجمع السنونو الثقافي فعالية «أيام الثقافة العراقية الدانماركية» في العاصمة كوبنهاغن خلال الفترة من ٢٣ إلى ٣٠ نوفمبر/تشرين الثاني القادم، بمشاركة ٣٥ كاتباً وفناناً ومفكراً من العراق والدانمارك. ولا تقتصر المشاركة في هذه الفعاليات على الأفراد، بل تشمل المؤسسات والاتحادات والجمعيات المهتمة بالشأن الثقافي.

وتعد هذه المبادرة التي يطرحها تجمع السنونو الأولى من نوعها في إطار التبادل الثقافي بين الدانمارك والعراق، وهي المرة الأولى أيضًا التي تتم فيها دعوة مثقفين من داخل العراق إلى زيارة الدانمارك من أجل تعريف العراقيين بالمنجزات الدانماركية في مجالات التنمية والثقافة والشفافية والعملية الديمقراطية.

وأوضح رئيس تجمع السنونو الشاعر العراقي الدانماركي منعم الفقير في تصريح صحفي أن الضيوف العراقيين سيتعرفون أيضاً إلى دور الاتحادات المهنية المستقلة في مراقبة أداء المؤسسات المعنية حيال أعضائها وحقوقهم. كما يطلع الضيوف على اللوائح الدانماركية التي تنظم العملية الثقافية، والممارسة الدانماركية في نطاق إلغاء الرقابة على المصنفات الفنية والأدبية والأفكار، والتعرف إلى الرؤية الدانماركية للحداثة المجتمعية في العالم العربي. وأضاف الفقير أنه يسعى إلى إقناع المسؤولين عن المبادرة العربية بالمساهمة في أنشطة هذه الأيام الثقافية، وطرح أفكارهم عن العالم العربي عموماً، والعراق خصوصاً؛ وذلك في المنتدى الفكري الذي ينظمه اتحاد البين كلوب الدانماركي بعنوان «الديمقراطية وحرية التعبير.. العراق نموذجاً». وأشار إلى أنه سيتم الإعلان لاحقاً عن أسماء الوفد العراقي المشارك، وعن البرنامج التفصيلي، كما سيصدر كتاباً بالعربية والدانماركية يتضمن نماذج من الأعمال الأدبية للمشاركين من كلا البلدين، فضلاً عن طباعة ملصق الفعالية وتوزيعه، ومنشور وبطاقات بريدية.

وبهذه المناسبة ستشهد ثلاث مدن دانماركية رئيسة إقامة فعاليات عراقية دانماركية مشتركة تدرج ضمن سياق البرنامج الكلي للأيام الثقافية، وهذا ما يوسع فرص المشاركة من قبل الجمهور والكتّاب والفنانين والمعنيين بالشأن الثقافي. يذكر أن تجمع السنونو هو اتحاد ثقافي دانماركي مستقل، يعنى بتنمية الأواصر الثقافية بين الدانمارك والعالم العربي، ويضم في عضويته نخبة من فناني الدانمارك وأدبائها، وقد تأسس عام ١٩٩٢م، ويتخذ من العاصمة الدانماركية كوبنهاغن مقراً له.

مدينة أثرية في خطر

أعرب علماء الآثار الأتراك عن سعادتهم إزاء توقف أعمال البناء أخيراً في مشروع لبناء سد «إسميكايا» في سهول وسط الأناضول، إثر نضوب المياه في المنطقة. ويأتي هذا التحول، الذي وقع بمحض الصدفة، بعد أن أنفقت الحكومة التركية ما يعادل نحو سبعة ملايين يورو لبناء هذا السد.

وكانت الخمس السنوات الماضية قد شهدت غرق الأطلال الباقية من مدينة زيوجما نتيجة ارتفاع منسوب المياه خلف سد بيرتشيك، لتغرق هذه المدينة التي بناها أحد قادة الإسكندر الأكبر قبل ٢٣٠٠ عام على جداول نهر الفرات العليا.

وبعد حملة احتجاج دولية في اللحظة الأخيرة جرى تشكيل فريق من علماء الآثار تمكن من خلال الاعتماد على التبرعات الدولية من إنقاذ بعض أطلال «بومبي الثانية». وكشف العلماء عن أرضيات فسيفساء فريدة من نوعها في القصور التي كانت مشيدة داخل هذه المدينة التي كانت بمنزلة حامية عسكرية ومركز تجاري والتي ازدهرت في عصر الإمبراطورية الرومانية.

وقد جرى نقل هذه الفسيفساء والتماثيل واللوحات الجصية الجدارية التي عثر عليها وسط الأطلال إلى متحف في مدينة غازي عنتيب القريبة من الجنوب الشرقي تركيا .ولم يبق في موقع المدينة ذاتها سوى مساحة واسعة من الأرض تغطيها المياه وتحيط بها أشجار الفستق وخلفها الجبال.

الجابري، خالد محسن حسان/ الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م) ـ مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٧٤١ص.

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تمثل تاريخًا مفصلاً عن الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، الذي لم ينل الدراسة الكافية، ولا يجد الباحث بحثًا تاريخيًا مفصلاً عن الحياة العلمية في هذه الفترة، وإنما يجد مؤلفات - على كثرتها - يعتورها النقص، ويعوزها العمق والاستقصاء.

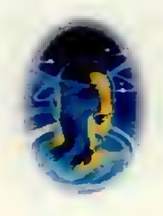
ويشتمل البحث على أهمية الموضوع، ثم دراسة تحليلية لأهم المصادر المخطوطة والمطبوعة التي اعتمد عليها البحث، ثم تمهيد يشتمل على تحديد منطقة الحجاز وأهميتها، ثم استعراض الحياة العامة في الحجاز من النواحي السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

وتتضمن الدراسة ثلاثة فصول رئيسة، تناول فصلها الأول اهتمام أمراء الحجاز بالحركة العلمية في الحجاز، وبيان أثر العلماء والعالمات والأعيان والعامة في تنشيط الحركة العلمية، ثم تناول العلاقات العلمية بين الحجاز والأطراف الأخرى من خلال الرحلات العلمية، كما تحدث عن الوراقة والوراقين وأثرهم في تنشيط الحركة العلمية، والكتب والمكتبات.

وجاء الفصل الثاني عن مراكز التعليم في الحجاز مثل الكتاتيب الخاصة والعامة، ثم الحديث عن المساجد التي ينقسم النشاط العلمي فيه إلى قسمين هي: حلقات العلم في الحرمين الشريفين، والدروس المخصصة التي قررها السلاطين والأمراء في الحرمين الشريفين.

واشتمل الفصل الثالث «العلماء والإنتاج العلمي»، وهو أهم فصول البحث، على: الدراسات الشرعية، والدراسات الأدبية واللغوية، والدراسات الاجتماعية، والدراسات العقلية والتطبيقية.

كما تطرق إلى المدارس في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأبرز دورها في تنشيط الحركة العلمية، ويتناول وظيفة الأربطة في تنشيط الحركة العلمية.



القحطاني، سلطان سعد / التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي ـ الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٤٤ص.

يحاول هذا الكتاب، عبر فصوله الأربعة، الإجابة عن التساؤلات حول المصطلح النقدي منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، وكيف قابله الرسول صلى الله عليه وسلم والرسل من قبله، وهل هو إشكالية معرفية، أو إشكالية تراثية؟ وهل شكّل ظهور الدولة العربية الإسلامية مصطلحًا عربيًا إسلاميًا على أنقاض الدولتين «الرومية والفارسية»؟ وما موقف أبناء هاتين الدولتين من اللغة والدين الجديد؟ وكيف ظهرت الفرق الإسلامية من داخل المنظومة، مثل: المعتزلة، والخوارج، والشيعة الباطنية، وما موقف الدولة من

فرق الزنادقة والحشاشين والمارقين على الدين واللغة؟ وما موقف الفكر الوسطي من هذه التيارات؟ وما هو السبب الرئيس لظهور التيارات الغربية الحديثة والمعاصرة في العالم العربي المسلم. مثل: العلمانية والفلسفة والحداثة؟ وكيف تعامل معها الفكر العربي؟ وهل نجحت هذه التيارات في البلاد العربية؟ وإذا كانت فشلت فما السبب؟ وما هو موقف الإسلاميين من التيارات العربية الحديثة، مثل: تيار العروبة والأممية، وتيار العروبة الإسلامي، والتيار الناصري؟ ولماذا فشل الإسلاميون في مشروع الحكومة الإسلامية والجامعة الإسلامية، وهل استفاد الوطن العربي من هذه التيارات، والتيارات المضادة؟ ولماذا قسّم الاستشراق الأدب العربي الإسلامي، في تركيا وإيران إلى أدب عرقي، وفصله عن الأدب العربي في التراث الإسلامي، واختار له مصطلحات خاصة؟ وهل الأدب الإسلامي بديل عن الأدب - قبل الإسلام وبعده ؟

الراشد، سعد بن عبدالعزيز/ هويتنا ومغالطات مي يماني - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٩٢ص.



ارتبط الفكر الغربي بالكتاب منذ زمن. وأصبح الكتاب محركًا للفكر السياسي الغربي ومصدرًا لصناعة القرار في علاقة الغرب مع العالم الإسلامي، وقد اهتم المؤلفون الغربيون في كتاباتهم بالإسلام عامة، وبالمملكة خاصة، إذ ظهر عدد من الكتب التي تتناول المملكة، ومنها بعض الكتب المعادية وربط كثير من الكتب الصادرة عام ٢٠٠٤م بين الإسلام والإرهاب كأنهما وجهان لعملة واحدة، وأن الإسلام يدعو إلى العنف، كما ظهر عدد من الكتابات حول حقوق المرأة في المجتمعات الإسلامية كما تقررها الشريعة وغلب على هذه الكتابات انتقاد الإسلام فيما يتعلق بأوضاع المرأة.

والمتأمل في هذه الكتابات الغربية يجد أن المتعاطف منها مع الواقع العربي قليل، كما أن هناك ندرة في الكتب التي ألّفها كتّاب عرب، والتي تعرض قضايا العالم العربي للقارئ الغربي بهدف التأثير في العقل الغربي ومواجهة الرسالة الإعلامية والفكرية لتيارات معاداة الإسلام والسعودية، التي تظهر بقوة في الساحة الغربية من قوى صهيونية أو متعاطفة معها.

وهذا الواقع المؤلم يزداد ألمًا وحسرة عندما يظهر كتاب ألفته باحثة سعودية ينساق مع هذه التوجهات المشوهة لصورة المملكة العربية السعودية، ويناقش قضايا المواطنة والارتباط الجغرافي لأرض المملكة وقضايا الهوية والانتساب الثقافي لقيمها ومعتقداتها، ويسعى هذا التوجه إلى محاولة تعدد هوياتها ليقينه بأن وحدة الهوية مهم لتحقيق الاستقرار السياسي والتطور الاقتصادي والعلمي والتقني.

إلا أننا نتفاءل عندما يؤلف شقيق تلك الباحثة الأستاذ هاني أحمد زكي يماني

كتاب «السعودي» الذي حرص فيه على تبديد التحامل الغربي على بلده، وقدم فيه دراسة موضوعية لواقع السعودية وشعوبها وحضارتها وإنجازاتها وتطلعاتها للمستقبل.
ويقف المؤلف في هذا الكتاب وقفات هادئة مع الكاتبة مي أحمد زكي يماني ومن سار على نهجها.



المعتوق، أحمد محمد/ نظرية اللغة الثالثة: دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م/٢٧٢ص.
يبحث هذا الكتاب في إمكانيات إيجاد ما سمي بـ «اللغة العربية الثالثة» التي تقف وسطًا ليس فقط بين فصحى العربية وعاميتها، كما بحث ذلك في دراسات سابقة، وإنما بين الأجنبية والعربية أيضًا. أي إيجاد لغة عربية عصرية محكية مشتركة فصيحة سائغة، يجيدها الخاصة ولا يعجز عن استعمالها العامة، وتتسع الفرص للتعبير بواسطتها في كل مجالات الإعلام والتعليم والتوعية والتثاقف المحكي بنحو عام، لغة تمهّد لسيادة العربية الفصحى، وتسهم في تحقيق المزيد من ديمقراطية العلم والثقافة في المجتمع العربي، وتضيّق الفجوات الثقافية والفكرية في طبقات المجتمع.
هذه الدراسة رؤية جديدة لطبيعة اللغة الثالثة وللمواصفات والأسس التي يمكن أن ترتكز عليها، مع تركيز خاص في دور وسائل الإعلام، بسبب تأثيرها الكبير، في بث هذه اللغة، وجعلها أداة طيعة للتعلم والتبادل المعرفي.
ويطرح هذا الكتاب رؤية تقوم على مناقشة مجموعة من النظريات حول هذا الموضوع، كما تقوم أيضًا على تحليل لنماذج حيوية من الواقع اللغوي التعليمي والإعلامي، في محاولة لتوضيح ما في بعض الواقع من مظاهر وتأثيرات سلبية في اللغة، وما يتعلق بها من أنشطة فكرية، ومن ثم إثبات الحاجة إلى تطوير لغة عربية ثالثة محكية سليمة تؤدي إلى واقع لغوي أفضل.

السلطي، أبو بكر محيي الدين/ صُبابة المُعاني وصبّابة المعاني، تحقيق فاطمة بنت محمد السويدي ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ٣٢٥ص: (تحقيق التراث: ٧).
هدف المؤلف من هذا الكتاب المؤانسة والمجالسة «وهذا باب واسع جدًا، ولكن نذكر منه ... طرفًا يسيرًا للمؤانسة، ليكون للمشتاق بمنزلة المجالسة» كما يقول المؤلف.
ويتضمن الكتاب أربعة أبواب رئيسة، تبدأ بمقدمة في معنى بيان النفس، وجاء الباب الأول عن العشق ورسمه، واشتقاق المعنى في اسمه، وحدوده وأسبابه وعلاماته بأصحابه، ويناقش في هذا الفصل آراء الحكماء.
وتطرق الباب الثاني إلى المحبة وأسمائها، وعلاماتها وآثارها، ويشرح الآراء التي

ذكرتها المعجمات اللغوية، ويضيف إليها رأي ابن قيم الجوزية في كتابه «روضة المحبين ونزهة المشتاقين».

وبيّن الباب الثالث ما قالته الحكماء ووافقت عليه العلماء في الخلق والأخلاق وفطرة المولى الخلاق، حقوق الصحبة، وبيان المحبة، ويشير هذا الباب إلى بعض الكتب التي اهتمت بهذا الموضوع، ويختم الكتاب بالباب الرابع الذي يبين فيمن استلب الهوى والعشق نفسه. ويتكون من فصلين: الأول فيمن عرف من العشاق واشتهر، مع عرض لقصص العشاق المشهورين، واهتم الفصل الثاني بكتاب طرائف الأخبار وأخبار الطرائف، وكتاب الامتزاج للتميمي، وكتاب ديوان الصبابة لابن أبي حجلة، وما حكاه الحلبي في كتابه منازل الأحباب ومنازه الألباب، وبعض الأمالي من شيوخه، وتزيين الأسواق للأنطاكي.

وختم الكتاب بخاتمة تناولت عشق ما سوى البشر، العشق المعنوي. وهو عشق الطيور والحيوان، والنبات، والأحجار، وفيه حكايات تكررت في الكتب السابقة. ويضيف إليها كتاب اختصار الكائنات للمعلم أرسطو.

مؤلف الكتاب هو أبوبكر محيي الدين بن تقي الدين السلطي نسبًا، والدمشقي مولدًا ووطنًا، والشافعي مذهبًا، ولد سنة ١٠٢٥هـ، وتوفي سنة ١١٠٣هـ.

الهويمل، حسن بن فهد/ أبجديات سياسية على سور الوطن ـ بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤٢٥هـ، ٤٩٤ص.



يحتوي هذا الكتاب مجموعة من البحوث والمقالات كلها تدور حول محاور هي: الوطن، الإرهاب، الغرب، وقد ناقش المؤلف تلك المقالات في ثلاثة فصول رئيسة: جاء الأول بعنوان «مخاضات الإصلاح ونتوءات السبيل»، تناول خلاله الكاتب موضوعات مثل: الإصلاح السياسي بين الديمقراطي والثيوقراطي، ومن أرهق الأمة صعودًا: الثوريون أم المصلحون؟ والظلاميون في زمن الادعاء التنويري، والمواطنة بين تعدد المفاهيم وتشعب القيم الثقافية، والقمة العربية بن جدلية التأجيل وحتمية التفعيل، وجلد المناهج جلد للذات المقنَّعة، ومصداقية التسامح ومغالطة التماكر، وسلبيات الإفراط والتفريط والضربات العنتريات.

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان «الإرهاب على السفود» إذ ناقش المؤلف خلاله موضوعات مثل: الإرهاب بين تضارب المفاهيم وتعدد الأسباب، والإرهاب وتدافع الانتماء، وصناعة الإرهاب بين المناهج الدراسية، واللعب السياسية، ومسؤولية رجل الأمن ورجل الفكر في الظروف العصيبة، والموقف من الإنسان والأشياء في العمليات الأمنية.

وكان الفصل الثالث بعنوان «هوامش على الأجندة الغربية»، إذ تناول خلاله المؤلف موضوعات مثل: تفكيك الفعل الأمريكي، وتفكيك الخطابات المتلاحقة في المشهد السياسي، وتعارض مصالح، لاصدام حضارات، والكبرياء العربية، والجبروت الأمريكي

في مأزق. والانحناء للريح خير من الاجتثاث، والاحتلال أخطر من الاستعمار، وحقوق الإنسان وتهافت الفارغين، ومن يعتذر للإنسان العربي؟، ولكل حدث قراءته والموقف منه.

أبوسليمان، عبدالوهاب إبراهيم/ فقه المعاملات الحديثة مع مقدمات ممهدات وقرارات - مكة المكرمة: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ ٦٣٢ص.

لقد اتسع نطاق عقود المعاملات المالية في العصر الحديث، وتشعّبت أمورها. فلم تقتصر على تلك العقود المدونة في كتب الفقه الإسلامي، بل تعددت، وتنوّعت بسبب ما يشهده العالم من تقدم في المجالين: المالي، والاقتصادي، مما لا عهد للأمة به، بل شمل التطوير عقود المعاملات المعروفة قديمًا كعقد السلم، والشركات، والبيوع، والإجازات، وغيرها، ولم يمثل هذا التنوع والتعدد تحديًا أو مشكلة أمام الفقهاء؛ ذلك أن لقواعد الفقه الإسلامي، وأصوله، ومقاصده مع الفهم الصحيح من الشمول ما يكفل إيجاد الحلول التي تلبي ذلك التطور في اعتدال لا يتعارض وثوابت الشريعة الإسلامية ومبادئها المحكمة.

تتضمن هذه الدراسة مقدمات ممهدات تناولت المقاصد الشرعية في المعاملات المالية، وبعض القواعد الفقهية المهمة المشتملة على المقاصد الشرعية، وكيفية التعرف إلى المقاصد، وتناول المال تعريفًا ومقصداً، والقواعد المقاصدية في المعاملات المالية، والتعرف إلى الحكم الشرعي في المعاملات الحديثة.

واحتوى الكتاب على سبعة أبواب رئيسة: جاء الباب الأول عن عقد التوريد، وتناول الثاني الاختبارات، وتطرق الثالث إلى خيار الشرط نظريًا وتطبيقًا في المعاملات المصرفية، وجاء الرابع بعنوان عقد الإجارة مصدر من مصادر التمويل الإسلامية، وبيّن الباب الخامس موضوع الإجارة المنتهية بالتمليك، وجاء الباب السادس عن عقد المزايدة، وجاء الباب السابع عن قرارات مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة فيما يتعلق بالمعاملات.



مشيخة الإمام سراج الدين عمر بن علي القزويني المحدث المقرئ القرشي الشافعي إمام جامع الخلافة العباسية ببغداد، تحقيق وتقديم: عامر حسن صبري - بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٦٨٠ ص.

إن علم المشيخات الحديثية أحد العلوم التي خدمت سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف، ومروياتهم إلى كتب أهل العلم المتقدمين، وتشتمل كذلك على المؤلفات التي رويت عنهم، مع الإشارة إلى حال هؤلاء الشيوخ، وترجمتهم، ومعرفة مصنفاتهم، وما اشتغلوا به من ألوان المعرفة، وبيان طريقة الرواية عنهم سماعًا أو إجازة، وتحديد مكان اللقاء وزمانه، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وهذه المشيخة التي صنفها الإمام سراج الدين القزويني لها قيمة علمية كبيرة تتجلى

في ذكر كتب في مختلف فنون المعرفة من حديث، وتفسير، وقراءات، وفقه، ونحو، ولغة، وتصوّف، وغير ذلك، التي وصلنا بعضها، وذهب الزمان بالبعض الآخر، وقد تلقاها المؤلف بطرق مختلفة من قراءة، أو سماع، أو إجازة. وذكر سنده في روايته لكل كتاب، وذكر بعض الفوائد المتعلقة بالكتب أو بالمؤلفين. كما أنه قد ترجم لشيوخهم، وذكر شيئًا من أخبارهم، ومناقبهم، وطريقة تلقي العلم عنهم، هذا بالإضافة إلى أنها تكشف بعض ملامح الحياة العلمية في بغداد غداة سقوطها بيد التتار، سنة (٦٥٦هـ)، والأجواء العلمية في هذه المدينة، ومجالس العلم، وخزائن الكتب بها، وتظهر طرائق التدريس، والروايات السائدة للكتب التي كانت متداولة في ذلك العصر.

وقد قام المحقق بالتحقيق والضبط، والترجمة لجميع رواة الإسناد، والتعريف بجميع الكتب التي وصلت إلينا، وبيان ما طبع منها وما لم يطبع، مع التنبيه على طبعات الكتاب من حيث الجودة أو عدمها، وتحديد الأماكن التي ذكرها، خصوصًا تلك التي جاءت في بغداد، وموقعها في الوقت الحاضر.

الأمير محمد علي باشا/ الرحلة اليابانية، تحرير وتقديم: علي أحمد كنعان ـ أبوظبي: دارالسويدي للنشر والتوزيع، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ١٣٥ص.



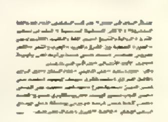
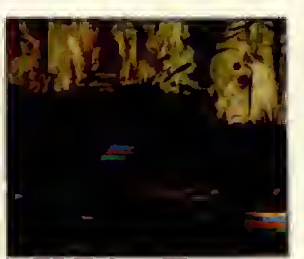
تبدأ هذه الرحلة من القاهرة إلى الإسكندرية بالقطار، ومن ثم يركب الأمير البحر متجهًا شمالاً، لتنهي مرحلة الذهاب في كوريا، مرورًا بإيطاليا وفيينا وموسكو، لينطلق منها مخترقًا سيبريا بالقطار إلى ميناء فلاديفوستوك في أقصى روسيا، ومن ثم يسافر بحرًا إلى اليابان فكوريا، ومنها يبدأ رحلة العودة عبر شمال الصين حتى يصل خاربين ـ عاصمة منشوريا، ومن خاربين يستقل القطار عائدًا عبر سيبيريا، إلى موسكو بالقطار ذاته الذي حمله من قبل إلى شاطئ بحراليابان.

وتأتي أهمية هذه الرحلة من كونها جاءت بعد انتصار اليابان على روسيا القيصرية، بينما يضفي طريق السفر الذي اختاره الرحالة مسحة جذابة عليها، ولعل خلع السلطان عبدالحميد كان السبب الذي جعل الأمير يسافر من الإسكندرية إلى موسكو عبر إيطاليا والنمسا من موسكو واستقل الأمير القطار الذي يعبر سيبريا مسافة تقارب عشرة آلاف كيلو متر وصولاً إلى بحر اليابان، ثم عبره إلى تلك البلدان.

وتحفل الرحلة بمشاهد مما يحيط بهذه السكة من مزارع وملامح خاصة بالمكان والسكان، وبوصف حي للمحطات التي مر بها المسافر، دون أن ينسى الإشارة إلى قطّاع الطرق الذين كانوا يتنكرون بزي مسافرين عاديين.

وفي اليابان التي تمتاز بطبيعة ساحرة يقوم الأمير محمد علي بزيارة أهم المدن الحافلة بالمعالم التاريخية والصناعات والأسواق والفنون والآداب.



نزوى (ع٤٣، يوليو ٢٠٠٥م، جمادى الأولى ١٤٢٦هـ)

مجلة فصلية ثقافية تصدر عن مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان.

صدر العدد الثالث والأربعون من مجلة «نزوى» متناولاً عدداً كبيراً من الدراسات والبحوث حول الفلسفة والفكر والأدب بأجناسه المختلفة والمتنوعة، كما تناول محوراً عن الأدب الإسباني. جاءت الافتتاحية بعنوان «على حدّ الصيف: عن البراكين والموتى والحيوانات» للشاعر سيف الرحبي رئيس التحرير.

وتناولت دراسات العدد: «ماريو سكاليزي: أشعار من قلب الجحيم» لمحمد لطفي اليوسفي، و«هل كتب البابليون أشعارهم الأولى باللغة السومرية؟» لسامي مهدي، و«الرواية والتاريخ: جميس رستن، الابن، ترجمة وتعليق: حسام الخطيب»، و«ما بعد الحداثة: فوكو، لاكان، النسائية الفرنسية، لهانس بارتنس، ترجمة خميسي بوغرارة، ورواية «الغيمة الرصاصية» لعلي الدميني، و«الشعر المغربي المعاصر بين الخيبة والأمل .. من الواقع إلى اللغة» لخالد بلقاسم، و«درس اللغة والتقليد الأنثروبولوجي» لمحمد الحافظ دياب، و«الصورة النمطية بين الشرق والغرب» لعمر كوش، و«النقد من منظور القارئ» لآن موريل، ترجمة: إبراهيم أولحيان، و«الحرب والشعر» لكمال سبتي، و«إدوراد سعيد: صورة المثقف الكوني» لفرج أبوالعشة، وغير ذلك من الدراسات.

وتضمن العدد ثلاثة حوارات: جاء الأول مع أمين الزاوي في رحلته الروائية، أجرته فاتن حمودي. والثاني مع يوسف المحيميد، أجرته زوينة خلفان، والأخير مع غادة السمان، أجراه إسماعيل فقيه. كما تناول العدد محوراً عن الأدب الإسباني: خوسية أنخيل بالينطي وتجربة الصمت، ترجمة وتقديم: خالد الريسوني، وخايمه خل بيدما: ٢٧ قصيدة (منتخبات شعرية)، ترجمة: عبدالهادي سعدون، وخوسيه ماريا ميرينو، ترجمة: صالح علماني، وإرنستو ساباتو، ترجمة باسم المرعبي. وفي السينما كتبت داليا سعيد مصطفى موضوعًا عن الفنانة الراحلة سعاد حسني بعنوان «عندما يرتبط الفن بالحياة». وجاء في الشعر عدد من القصائد: لمحمد علي شمس الدين، ومحمد علي اليوسفي، وسعدية مفرح، ونصار الصادق الحاج، وغيرهم من الشعراء. وفي باب النصوص القصصية: محمود الريماوي، وبنعيسى بوحمالة، وقاسم حول، وسمير عبدالفتاح، وفيفان بلامب، ترجمة: عاصم السعيدي، وغير ذلك من النصوص القصصية. وجاء في متابعات: «عراقي في باريس» لصموئيل شمعون، لفاضل العزاوي، و«سمير اليوسفي في ثلاثة نصوص» لخالد الحروب، و«سميح القاسم في ديوانه (أحبك كما يشتهي الموت) لفاروق مواسي، وغيرها.

العنوان:

ص.ب: ٨٥٥، الرمز البريدي: ١١٧، الوادي الكبير مسقط. سلطنة عمان.

هاتف: ٦٠١٦٠٨

ناسوخ: ٦٩٤٢٥٤

موقع المجلة على الإنترنت: www.nizwa.com



التعاون «س ٢٠،ع ٦١، جمادى الأولى ١٤٢٦هـ، يونيو ٢٠٠٥م»

مجلة فصلية فكرية، تصدر عن الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

احتوى هذا العدد الجديد من مجلة «التعاون» على عدد كبير من الأبحاث والدراسات والمقالات ذات الصلة المباشرة بقضايا مجلس التعاون في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بدأت بكلمة العدد، ثم ورقة معالي الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في منتدى الدوحة للتنمية عبدالرحمن حمد العطية حول «دور مجلس التعاون في تعزيز التنمية المستدامة: التحديات والفرص».

وجاءت الدراسة الرئيسة بعنوان «القطاعات الاقتصادية الواعدة والخصائص الجغرافية الداعمة لها: دراسة تطبيقية على المنشآت الصغيرة والمتوسطة في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية»، أعدّها د.خالد بن عبدالعزيز السهلاوي ود.عبدالمحسن حسين العرفج.

وتناول م/ عبدالله بن صالح المزروع «اتفاقية باريس لحماية الملكية الصناعية: الحقوق والالتزامات المترتبة على دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، كما قدّم الدكتور عبدالصمد الأغبري دراسة ميدانية عن «إدارة الجودة الشاملة من وجهة نظر مديري ومعلمي المدارس الحكومية المطبقة لها والحاصلة على شهادة الأيزو «٩٠٠٢» في محافظة الإحساء بالمملكة العربية السعودية».

وفي مجال التقارير قدّم زياد عربية بن علي عرضًا لـ «تقريرالتنمية البشرية لعام ٢٠٠٣م» الذي أعدّه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في نيويورك. كما جاء في باب «وثائق» البيان الختامي للدورة الخامسة والعشرين للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، قمة زائد الذي عقد في المنامة في ٩ ذي القعدة ١٤٢٥هـ، الموافق ٢١ ديسمبر ٢٠٠٤م.

وجاء في عرض الكتب: «جذور الحملة على الإسلام والسعودية وصراع الهويات» للدكتور فهد العرابي الحارثي، راجعه: المامي عبدالعزيز إسماعيل أحمد، و«بالإضافة إلى الأبواب الأخرى: «يوميات مجلس التعاون»، و«بيلوغرافيا مجلس التعاون»، و«إحصاءات مجلس التعاون».

العنوان:

ص.ب ٧١٥٣ الرياض ١١٤٦٢ المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٤٨٨٠٤١٢

ناسوخ ٤٨٢٩١٠٩

E. Mail: Aattawun @ gcc - sg. org



عالم الفكر «مج ٣٤، ١ يوليو - سبتمبر ٢٠٠٥م»

مجلة دورية محكّمة تصدر عن المجلس الوطني للثقاف والفنون والآداب بالكويت.

جاء هذا العدد من المجلة وهو يزخر بعدد كبير من الدراسات المتنوعة بلغت ثماني دراسات، ناقش الدكتور حسام الخطيب في الدراسة الأولى موضوع «العالمية والعولمة من منظور مقارني». وأطلق الدكتور محمود الذوادي في الدراسة الثانية «نداء حول ضرورة تأصيل علم الاجتماع العربي في صلب فكر مرجعيته الثقافية». كما عالج الدكتور صالح غرم الله زياد «مجاز العائق الاجتماعي في القصة السعودية القصيرة» وقدّم الدكتور عبدالرحمن عبدالسلام محمود بحثًا بعنوان «وعي الشعر: قراءة تأصيلية في اللغة والمصطلح النقدي». وكتب الدكتور نزار التجديتي عن «السيميائيات الأدبية» لألجرداس ج. جريماس، والدكتور أحمد المنادي عن «التلقي والتواصل الأدبي: قراءة في نموذج تراثي»، والدكتور الراضي رشيد عن «الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، وحتى لا يكون التركيز زائدًا في مجال دون غيره، كان البحث الأخير من نصيب العلوم. إذ تناول الدكتور جهاد ملحم «علم الفيزياء والحياة».

العنوان:

ص.ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٠٠ دولة الكويت.

البريد الإلكتروني: Elfikr@nccal.org.kw



العرب «س ٤١، ج ١، ٢، رجب وشعبان ١٤٢٦هـ/ أغسطس - سبتمبر/ آب - أيلول ٢٠٠٥م»

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري، تصدر عن دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع في الرياض.

احتوى هذا العدد من المجلة على عدد كبير من البحوث والدراسات، بدأت ببحث الدكتور عبدالقادر الربّاعي الذي جاء بعنوان «جهود استشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم »، وقدّم الدكتور عبدالعزيز بن صالح الهلابي قراءة في «برديات قرة بن شريك العبسي»، دراسة وتحقيق: الدكتور جاسر أبوصفية، كما قدّم الدكتور حاتم صالح الضامن تعريفًا بمخطوطة «ما تلحن فيه العامة» لأبي طالب المفضّل بن سلمة، والدكتور عبدالله بن سليم الرشيد عن «تغيّر أسماء المواضع والحاجة إلى معجم مختص». والأستاذ أحمد زكي الأنباري عن «المستدرك على ديوان ابن زيلاق». كما ناقش الأستاذ محمد الخطيب «النظام القبلي عند العرب في الجاهلية، وختمت البحوث ببحث الدكتور عبدالرازق حويزي «تحقيق الأستاذ هلال ناجي لشعر الببغاء: تكملة وإصلاح أخطاء».

بالإضافة إلى الأبواب الأخرى: «بريد العرب»: وقد جاء حول مقال «تحقيق بلاد ونسب بني شبابة» ورد من الأستاذ راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي، و«مكتبة العرب»، وفيها قراءة موجزة لكتاب «كشف الحال في وصف الخال» تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفيد «ت ٧٦٤هـ». تحقيق: الأستاذ عبدالرحمن بن محمد العقيل، وجاءت في الخاتمة: «إهداءات إلى مكتبة العرب».

العنوان:

ص.ب ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦ ـ المملكة العربية السعودية.

شارع التحلية، عمارة التوفيق.

هاتف: ٢١٩٢١٩٤

الفيصل العلمية (مج٣، ع١، ربيع الآخر ـ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ/ مايو ـ يوليو ٢٠٠٥م)

مجلة فصلية تهتم بنشر الثقافة العلمية.

صدر العدد الجديد من مجلة «الفيصل العلمية» وهو يحوي كثيرًا من الموضوعات العلمية المتنوعة، جاء في بدايته «آفاق علمية» أوردت مجموعة من الأخبار العلمية، منها: دواء جديد يقلل احتمالات الوفاة بعد الأزمة القلبية، واكتشاف الجين المسؤول عن نصف أمراض العيون، والجزر يساعد على تجنب الإصابة بمرض السرطان، ودراسة أمراض نادرة تصيب الحوامل، وروبوت يجري جراحة طبية على أرض المعركة، والمحار يثير الشهوة الجنسية، وعلاج جديد لمرضى السكري، والأرز المعدل وراثيًا يقلل عمى الأطفال، وغيرها من الأخبار العلمية.



ومن بحوث العدد: «العناصر الكيميائية فكرة تصنيفها الدوري» لفيصل أخي، و«التدخين والإصابة بالسرطان» لمحيى الدين لبنية، و«مضاعفات عمليات التنظير البطني» ليحيى محمد أحمد داود، و«إجراء التجارب عن الأجنة البشرية» لعبدالرحمن عبداللطيف النمر، و«بدائل المضادات الحيوية» عرض: وليد نذير عتمة، و«دراسة الملوثات الجوية بالليزر» لإبراهيم كامل بلال، و«الاستنساخ: مناقشة دينية وأخلاقية وفلسفية» لأنس كاريتش، و«العوامل البيولوجية والثقافية في اضطرابات الطعام» لعبدالرحمن محمد العيسوي، والإجهاد قنبلة موقوتة» لمسعد شتيوي، وغير ذلك من البحوث العلمية المختلفة.

العنوان:

دار الفيصل الثقافية ـ ص ب: ٢٨٦٩٨٠ الرياض: ١١٣٢٣

هاتف: ٤٦١١٢٠٨ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٥٩٩٩٣





العلاقة بين التعليم والاقتصاد

عبدالله محمد المالكي
الرياض – السعودية

تداخل الاقتصاد والتعليم ظاهرة قديمة جدًا بدأت منذ بدأ الفرد (الإنسان) يتعلم كيف ينتج، وكيف ينظم أمور حياته المعيشية، ثم تطورت هذه الظاهرة، ونمت بنمو السكان، وتشعب جوانب الحياة. وبدأ التركيز على الظاهرة منذ القرن الثامن عشر (١)، والعلاقة بين الاقتصاد والتعليم علاقة متبادلة، ولم تعد، كما هو الحال في العصور القديمة والوسطى ومطلع العصور الحديثة، علاقة من طرف واحد تبدأ من الاقتصاد، وتنتهي بالتعليم (الاقتصاد أبو التعليم)، بل أصبح الاقتصاد يؤثر في تطوير التعليم، والتعليم يرد هذا التطوير على الاقتصاد، وقد بلغ التفاعل بين الاقتصاد والتعليم حداً من الصعب معرفة من أين يبدأ فعل التطوير، أمن الاقتصاد أم من التعليم؟ (٢). وهناك من يضيف أن العلاقة بين الاقتصاد والتعليم علاقة متبادلة. ولقد أثبتت التجارب التي أجريت في هذا المجال أن التعليم هو الطريق إلى إعداد القوة البشرية المدرّبة واللازمة لتطوير الاقتصاد، وقد أكد الاقتصادي الإنجليزي آدم سميث Adam Smith في القرن الثامن عشر أهمية التعليم والتدريب في رفع الكفاءة الإنتاجية للعامل وزيادة مهارته اليدوية، كما أوضح أن القدرات المكتسبة والنافعة لدى أفراد المجتمع تعدّ عنصرًا أساسيًا في رأس المال الثابت. فكما أن اكتساب القدرة في أثناء التعليم والتدريب يكلف دائمًا نفقات حقيقية فإن هذه المواهب التي تعدّ جزءًا من ثروة الفرد تمثل جزءًا من ثروة المجتمع الذي ينتمي إليه (٣). كما أن مالثوس Malthus صاحب نظرية السكان التشاؤمية المعروفة اتفق مع سميث على تأكيد أهمية التعليم في تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي وتهيئة الظروف الملائمة للتنمية الاقتصادية (٤)، إلا أنه اهتم بشكل أكبر بالمشكلة السكانية. فهو يرى أن زيادة التعليم تؤدي إلى زيادة الوعي بتنظيم الأسرة، ثم ارتفاع المستوى المعيشي. ويعد ألفرد مارشال Alfred Marshall أول من أشار بشكل مباشر إلى اعتبار التعليم نوعًا من الاستثمار. فقد أكد ضرورة اهتمام الاقتصاديين بدور التعليم في التنمية الاقتصادية. فهو إذًا يؤمن بالقيمة الاقتصادية للتعليم. كما أكّد أهمية التعليم بوصفه استثمارًا قوميًا، إذ إن تقدم الأمم يكون عن طريق تقدم الإنسان. فالعلم هو الذي يحول الثروات الصناعية والزراعية والمعدنية والنقدية بواسطة القوى البشرية من كميات عينية إلى طاقات تكنولوجية متنوعة، وتقدم ملموس. لذلك فإنه يمكن تصور التعليم على أنه صناعة تتمثل في المدارس والمعاهد التي تتخصص في إنتاج التعليم (السلع الإنتاجية) في شكل أشخاص ازدادت طاقاتهم الإنتاجية والروحية من أجل التمتع بحياة أفضل، كما هو الحال عندما تتخصص المصانع الأخرى في إنتاج السلع الاستهلاكية (٥).

كما أن دراسة هاربيسون ومايرز Harbison & Mayers الشهيرة التي قسمت دول العالم إلى أربعة مستويات تعكس أنظمة تعليمية تحمل خصائص متميزة، هي: (مجموعة الدول المتخلفة، ومجموعة الدول المتطورة جزئيًا، ومجموعة الدول متوسطة التطور، والدول المتطورة)، التي ربط فيها بين التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادي. وإلى جانب هذا الارتباط نجد أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين النظام التعليمي والبناء الاقتصادي للدولة (٦).

ومع وجود هذه العلاقة من أقدم العصور إلا أنها أكثر وضوحًا في العصور الحديثة، وبشكل خاص عندما يتحول البناء الاقتصادي من الزراعة إلى الصناعة، فتنتشر مراكز التحضر، وتزداد الحاجة إلى الأيدي العاملة المدربة، ويتضاعف الطلب الاجتماعي على التعليم، مثلما حدث في إنجلترا عقب الثورة الصناعية، أو ما حدث في الاتحاد السوفييتي (سابقًا) عقب الثورة البلشفية. فقد استجاب إن النظام التعليمي في الدولتين لهذا التغير مع العلم أن الاستجابة

كانت في الاتحاد السوفييتي أسرع، بل إنها كانت واضحة ومدهشة، ويعود ذلك إلى تبني الدولة أسلوب التخطيط الشامل. يقول هانز في هذا الشأن: «إن مئة وخمسين سنة في الاقتصاد وتاريخ التربية الإنجليزية قد اختصرت في الاتحاد السوفييتي إلى أقل من عشرين عامًا، وأنتجت تغييرًا أكثر جذرية وسرعة في التاريخ» (٧).

وتعدّ دراسة هاربيسون ومايرز (٨) أكثر واقعية؛ لأنهما بينا فيها الارتباط الإيجابي القوي بين معدلات تزايد القيد (التسجيل) في كل من المدارس والجامعات، ومعدلات تزايد مجمل الناتج القومي في ٧٥ دولة بعد تقسيم دول العالم إلى المجموعات الأربع المشار إليها آنفًا، كما أنهما وضعا بعض المؤشرات لقياس مستوى التنمية في الموارد الديمغرافية (البشرية). مثل: نسبة القيد في المدارس للفئة العمرية ١٥- ١٩ سنة التي يفترض أن تكون المرحلة الثانوية بعد تثقيلها بطول مدة الدراسة الثانوية. ونسبة القيد الجامعي للفئة العمرية ٢٠- ٢٤ سنة مثقلة بخمس سنوات تمثل متوسط مدة الدراسة الجامعية. وقد توصلا إلى أن هناك ارتباطًا إيجابيًا قويًا بين المؤشرات السابقة ونصيب الفرد الواحد من إجمالي الناتج القومي G N P، وكان معامل الارتباط (٠,٨٨٨). كما توصلا إلى أن هناك ارتباطًا سلبيًا (عكسيًا) قويًا بين المؤشرات السابقة نفسها ونسبة السكان العاملين في القطاع الزراعي، وكان معامل الارتباط (-٠,٨١٤)؛ وهذا يدل على أنه كلما انخفضت نسبة العاملين في القطاع الزراعي إلى إجمالي عدد السكان تزايدت نسبة القيد في المراحل التعليمية المختلفة؛ الثانوية والجامعية إلى مجموع الفئات العمرية في هذه المراحل.

ويقول جبلز في هذا الشأن: «لقد دعمت الدراسات الأخيرة التي قام بها البنك الدولي الفكرة القائلة: إن لتطوير رأس المال البشري انعكاسات مهمة على النمو الاقتصادي؛ ذلك أن هناك سببًا للاعتقاد أن العلاقة ذات اتجاهين، وأن التعليم والنمو يدعم كل منهما الآخر». ويبدو وبشكل واضح أن الاستثمار في العنصر البشري يساعد على سرعة عملية النمو الاقتصادي (٩).

ولم يعد يقتصر هدف التعليم على سد حاجات الأفراد ومطالبهم الشخصية فقط، بل إنه يرتبط ارتباطًا مباشرًا بحاجات المجتمع ومطالبه، سواء كانت آنية أو مستقبلية. كما أن نظرة الدول النامية إلى التعليم قد تغيرت عن النظرة التقليدية، التي نادى بها كينز في الثلاثينيات من القرن العشرين حال الأزمة الاقتصادية (الكساد الكبير ١٩٢٩- ١٩٣٣م) التي أكد من خلالها كينز أهمية الاستثمار في رأس المال المادي وما يحدثه من دور كبير في تحقيق التنمية، وأصبح ينظر إليه على أنه قوة فعالة في إحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية ودفعها إلى الأمام. وهذا ما جعل الكثير من رجال الاقتصاد يولون اهتمامهم بالتعليم واقتصادياته حتى أصبح له فرع خاص سمي باقتصاديات التعليم (١٠).

الهوامش والمراجع

١. انظر انمار الكيلاني، التقويم الاقتصادي للتعليم وأهميته في اتخاذ القرار الإداري والتربوي، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية(٢)، ١٩٩٥م، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

٢. محمد أحمد الغنام، تطور العلاقة بين الاقتصاد والتعليم، مجلة التربية الحديثة، السنة الثانية والأربعون، العدد ٣، ١٩٦٩م.

٣. حسين المطوع، اقتصاديات التعليم، دبي، ١٩٨٧م، وعبدالعزيز السنبل وآخرون، نظام التعليم في المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ.

٤. عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي يعدّ من أهم معوقات عملية التنمية، وللمزيد انظر: فايز الحبيب، التنمية الاقتصادية بين النظرية وواقع الدول النامية، ١٩٨٥م، الرياض.

٥. حسين المطوع، مرجع سابق.

٦. لدرجة أن هانز Hans يعتقد أنه في حالة عدم وجود هذا الارتباط فإن النظام التعليمي يكون معلقًا في الهواء.

٧. عبدالعزيز السنبل، وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٦و٤٨.

٨. أحمد منير نجار، التعليم بين التكلفة والمردود الاقتصادي والاجتماعي، مجلة بحوث جامعة حلب (العلوم الاقتصادية)، ١٩٨٩م، ص ١٦٩.

٩. مالكولم جبلز، وآخرون، تعريب طه منصور، وعبدالعظيم محمد مصطفى، اقتصاديات التنمية، الرياض، ١٩٩٥م، ص ٣٦٠.

١٠. محمد مرسي، وعبدالغني النوري، تخطيط التعليم واقتصادياته، القاهرة، ١٩٧٧م.